منبر الإسلام

العدد ٦ السنة ٣٨
جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ
مايو ١٩٨٠م
الثمن ١٥ قرشاً

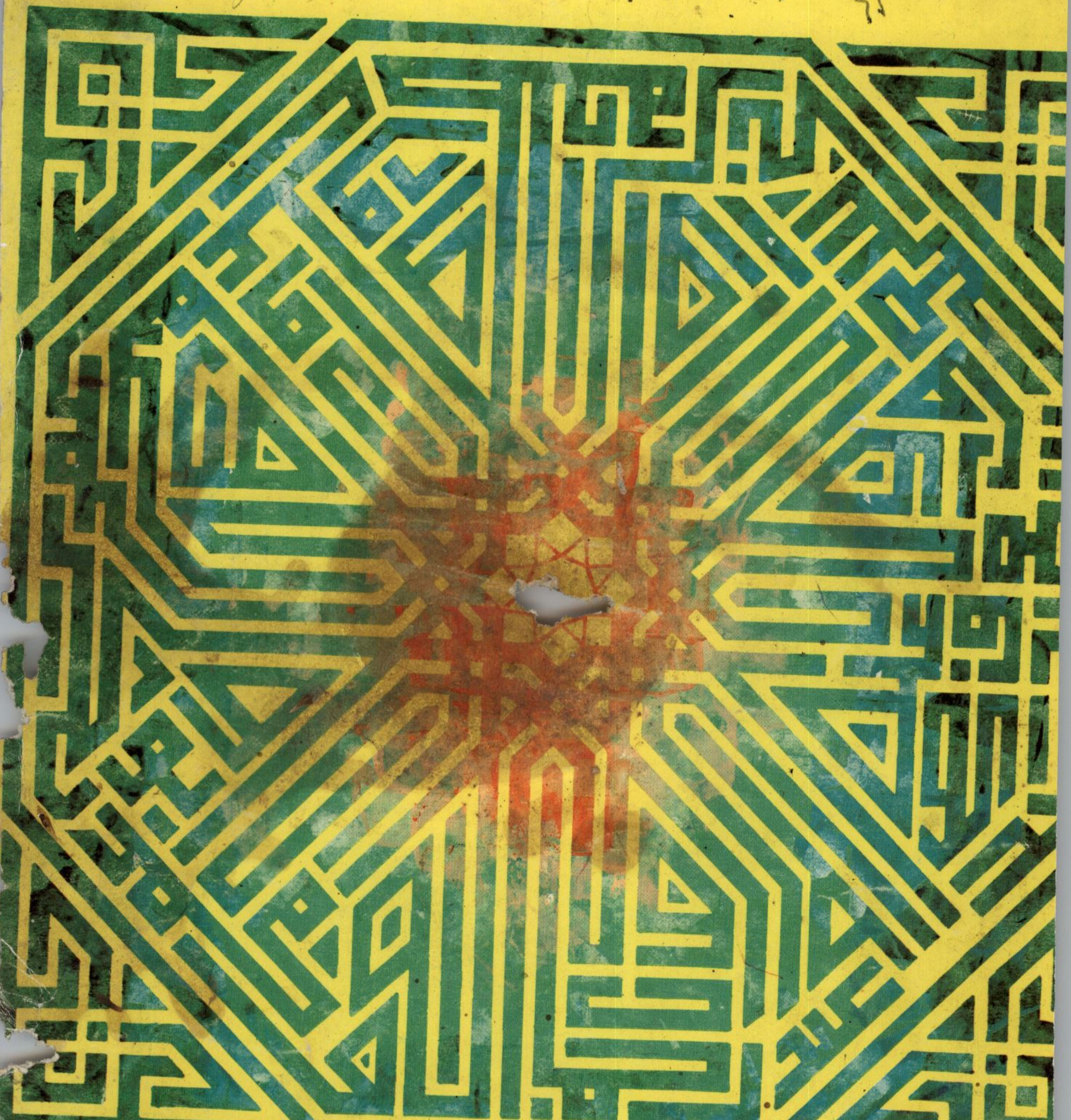

مع العدد هدية:
«مجلة الفردوس»

مواقيت الصلاة

الأيام	جمادى الآخرة ١٤٠٠	أبريل ١٩٨٠	فجر م	فجر ت	شروق م	شروق ت	ظهر م	ظهر ت	عصر م	عصر ت	مغرب م	مغرب ت	عشاء م	عشاء ت
الأربعاء	١	١٦	٥٦	٣	٢٨	٥	٥٥	١١	٣٠	٣	٢٣	٦	٤٤	٧
الخميس	٢	١٧	٥٥		٢٧		٥٥		٣٠		٢٣		٤٥	
الجمعة	٣	١٨	٥٤		٢٥		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
السبت	٤	١٩	٥٣		٢٤		٥٤		٣٠		٢٤		٤٦	
الأحد	٥	٢٠	٥١		٢٣		٥٤		٣٠		٢٥		٤٧	
الاثنين	٦	٢١	٥٠		٢٢		٥٤		٣٠		٢٦		٤٨	
الثلاثاء	٧	٢٢	٤٩		٢١		٥٤		٣٠		٢٦		٤٩	
الأربعاء	٨	٢٣	٤٧		٢٠		٥٣		٣٠		٢٧		٥٠	
الخميس	٩	٢٤	٤٦		١٩		٥٣		٣٠		٢٨		٥١	
الجمعة	١٠	٢٥	٤٥		١٨		٥٣		٣٠		٢٨		٥٢	
السبت	١١	٢٦	٤٤		١٧		٥٣		٢٩		٢٩		٥٣	
الأحد	١٢	٢٧	٤٣		١٦		٥٣		٢٩		٢٩		٥٣	
الاثنين	١٣	٢٨	٤١		١٥		٥٢		٢٩		٣٠		٥٤	
الثلاثاء	١٤	٢٩	٤٠		١٤		٥٢		٢٩		٣١		٥٥	
الأربعاء	١٥	٣٠	٣٩		١٣		٥٢		٢٩		٣١		٥٦	
الخميس	١٦	أول مايو	[illegible]		١٣		٥٢		٢٩		٣٢		٥٧	
الجمعة	١٧	٢	[illegible]٧		١٢		٥٢		٢٩		٣٣		٥٨	
السبت	١٨	٣	٣٦		١١		٥٢		٢٩		٣٣		٥٩	
الأحد	١٩	٤	٣٤		١٠		٥٢		٢٩		٣٤		٠٠	٨
الاثنين	٢٠	٥	٣٣		٩		٥٢		٢٩		٣٥		١	
الثلاثاء	٢١	٦	٣٢		٨		٥٢		٢٩		٣٥		١	
الأربعاء	٢٢	٧	٣٠		٧		٥١		٢٨		٣٦		٢	
الخميس	٢٣	٨	٢٩		٧		٥١		٢٨		٣٧		٣	
الجمعة	٢٤	٩	٢٨		٦		٥١		٢٨		٣٧		٤	
السبت	٢٥	١٠	٢٧		٥		٥١		٢٨		٣٨		٥	
الأحد	٢٦	١١	٢٦		٤		٥١		٢٨		٣٨		٦	
الاثنين	٢٧	١٢	٢٥		٣		٥١		٢٨		٣٩		٧	
الثلاثاء	٢٨	١٣	٢٤		٢		٥١		٢٨		٤٠		٨	
الأربعاء	٢٩	١٤	٢٣		٢		٥١		٢٨		٤٠		٩	
الخميس	٣٠	١٥	٢٢		١		٥١		٢٨		٤١		١٠	

بسم الله الرحمن الرحيم

منبر الإسلام

تصدرها : وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير الدكتور عبد المعطى محمد بيومى

مدير التحرير فؤاد هيبة

صورة الغلاف

اشكال هندسية بديعة لاسماء اجلاء الصحابة وهم العشرة المبشرون بالجنة رضى الله عنهم أجمعين :

أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، طلحة بن عبيدالله ، الزبير بن العوام : عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبى وقاص ، سعيد بن زيد ، أبو عبيدة عامر بن الجراح .

تصدر فى غرة كل شهر عربى

العدد ٦ السنة ٣٨ جمادى الآخرة ١٤٠٠ هـ

مايو ١٩٨٠ م الثمن ١٥ قرشا

الاشتراكات :
١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

العنوان :
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة .

كلمة التحرير

كما وعدنا القارىء العزيز أن نطور أسلوبنا ونخرج من قاعات التحرير الى الأفق الاسلامى الأوسع حيث ميادين العمل الرحبة .

وها نحن بفضل الله ثم بفضل الاستجابة السريعة لفضيلة الدكتور وزير الأوقاف ورغبة فى تطوير هذه المجلة لتؤدى خدمتها الكاملة للدين والوطن ، نحقق ما وعدنا به القارىء وننقله فى هذا العدد من مصر الى بقعة قصية من شرق العالم الاسلامى فى الهند وباكستان بل الى مجلس السيدة أنديرا غاندى ، والرئيس الباكستانى المسلم الودود ضياء الحق .

ورغم أننا عدنا من الرحلة الى الهند وباكستان فى وقت متأخر الا أننا بالتعاون والانسجام الكامل بين المحررين والفنيين استطعنا أن نخرج بعض آثار الرحلة فى هذا العدد .

وفى الاعداد القادمة ان شاء الله نوالى الكتابة عن بقية مشاهداتنا فى الهند وباكستان ونعالج بعض المشكلات التى يصادفها العمل الاسلامى هناك وننقل صورا أمينة للمسلمين والاسلام فى هذه البلاد .

ومن حسن الأقدار أن تبدأ استطلاعات منبر الاسلام بالهند وباكستان .

لأننا بزيارة الهند استطعنا أن نتعرف على أحوال هذه الأقلية الاسلامية كنموذج للأقليات الاسلامية فى أنحاء الأرض وتمسكها بدينها .

وبزيارة الباكستان استطعنا أن نتعرف على أحوال بلد اسلامى يشابه فى ظروفه مصر الى حد كبير فى العمل الاسلامى الجاد وتحقيق النهضة الاسلامية باسلوب علمى صادق بكل صدق الرغبة وهدوء وموضوعية العلم فتقنين الشريعة الاسلامية والعمل على تطبيقها باخلاص كان يذكرنا باستمرار بمصر وبجهود العاملين فيها من أجل التقنين وصولا الى التطبيق المأمول .

(التحرير)

لقاء العدد

من باكستان

تنقل منبر الاسلام لقاء هذا الشهر من خارج حدود مصر من قطعة عزيزة من الوطن الاسلامى العام من الارض الطاهرة فى باكستان حيث جرى اللقاء الاسلامى الاخوى الودى بين فخامة الرئيس الباكستانى ضياء الحق وفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف والوفد الموافق لفضيلته فى حديقة منزل الرئيس ..

وقصة هذا اللقاء تعكس معنيين على غاية الاهميـة .

ـ فهى تعكس مكانة مصر فى قلوب المسلمين المخلصين الذين تملأ قلوبهم حرارة الايمان ويقدرون ما تقدمه مصر لهذا الايمان .

ـ كما تعكس عمق الروابط والمـودة بين مصر وباكستان وحرص الرئيس ضياء الحق شخصيا وحكومة باكستان وشعبها على هـذه الروابط التى تحرص عليهـا مصر فى نفس الوقت .

ذلك انه لم يكن فى برنامج فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن يزور باكستان بعد زيارته للهند ومشاركة مسلمى الهند احتفالاتهم بالعيد المئوى لدار العلوم بديوبند ولكن الرئيس الباكستانى ضياءالحق عندما علم بوجود الدكتور الوزير فى الهند عز عليه كما قال فخامته أن يكون فضيلته فى الهند ويعود الى مصر دون أن يزور باكسـتان ويرى أخوته هناك وعلى الفور أصدر توجيهاته بدعوة الدكتور النمر والوفد المرافق له لزيارة باكستان .

مصر وباكستان معاً على طريق واحد

وقد تجلى اهتمام الرئيس المسلم بالدكتور الوزير واخلاصه لمصر فى أكثر من مظهر ٠

● فبالرغم من أن موعد مقابلة الرئيس لفضيلة الوزير الذى كان صباح يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الاولى ١٤٠٠ (١/٤/١٩٨٠) ألغى لتأخر الطائرة التى كانت ستقل الدكتور الوزير من الهند الى باكستان وكثرة ارتباطات الرئيس ومشاغله الا أنه حرصا من فخامته على هذا اللقاء وافق على أن يتم فى المساء ٠

● وما أن وصلت السيارات المقلةللوفد المصرى حتى هرع فخامة الرئيس الى الحديقة لمقابلة الدكتور النمر ومعانقته ومعانقة أعضاء الوفد جميعا ٠

● ثم قام فى نهاية اللقاء بتوصيل الدكتور الوزير الى سيارته وظل واقفا حتى مرت آخر سيارة من سيارات الوفد من مقدمة الحديقة الى نهاية الممر الذى يوصل الى الشارع وهو يحيى فى اخلاص وود ٠

ومن حديثه مع فضيلة الوزيرنقتطف هذه اللقطات ٠ قال فخامة الرئيس ضياء الحق :

ـ عندما علمت بوجودكم فى الهند قلنا من الواجب أن نوجه الدعوة اليكم ٠

ـ أنا شاكر لكم وانقل لكم تحيات السيد الرئيس ونائبه ورئيس الحكومة ورئيس مجلس الشعب ٠

فخامة الرئيس ضياء الحق يهتم بدعوة فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف بمجرد علمه بوجود فضيلته فى الهند

ـ هذه الفرصة طيبة لكى أعبر عن تقدير العلماء جميعا وكل الشعب المسلم لخطوتكم الطيبة فى تطبيق الشريعة الاسلامية ونحن نعمل الآن فى التقنين وأنا من المشرفين على هذا المشروع وأحب أن أعرف ماذا تم هنا لكى نتعاون معا ٠

ـ قال الرئيس أنا أرجو أن نحقق جميعا نجاحا فى هذا المضمار وان الأزهر هو الينبوع الاساسى والحقيقى لمعرفة الاسلام ٠

فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف يقدم مصحفا شريفا الى فخامة الرئيس الباكستانى .

● فخامة الرئيس الباكستانى يقول :

إنه لشرف أن يكون بيننا وزير من مصر ..

إننا نستمد العون من الله ، والعلم من الجامع الأزهر

● فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف يقترح على الرئيس ضياء الحق إنشاء كلية للغة العربية .

● الازهر للمسلمين جميعا .

● قال الرئيس : أتمنى لكم كل نجاح وتوفيق واننا نستمد العون من الله ، والعلم من الجامع الازهر .

● والجامع الازهر بطبيعة الحال مستعد لكل تعاون معكم .

● قال الرئيس : أحب أن يكون هناك ارتباط دائم .

— نحن نشرف بوجود كثير من أبنائنا الباكستانيين ومستعدين لارسال الاساتذة المصريين الى هنا كما أننا مستعدون لاى صورة من صور التعاون .

● قال الرئيس . سوف نتعاون معا ولدينا سفير ممتاز نعتز به وباخلاصه .

— ان شاء الله سنبدأ عهدا أقوى من أجل تعميق اللغة العربية وقد علمت انكم انشأتم كلية للشريعة واقترح أن يتم فى عهدكم كلية للغة العربية بحيث يتعلم ويتخرج فى هذه الكلية أساتذة للغة العربية من الباكستانيين .

— قال الرئيس : لقد جعلنا اللغة العربية اجبارية ولدينا معهد للغة العربية ولكن يجب أن نخرج أساتذة لهذه اللغة .

اننا نحرص عليها ليست فقطلانها لغة القرآن ولكن أيضا لانها تربط بين أبناء المسلمين فى باكستان والعالم كله .

• فخامة الرئيس الباكستانى يقول :

سنسهر على تنفيذ هذا المشروع وسأدعو معاليكم لافتتاحه .

– ولهذا اقترح أن تكون هذه الكلية :

● هذا اقتراح ممتاز وان شاء الله سننشىء كلية للشريعة وكلية للغة العربية وسنسهر على تنفيذ هذا المشروع وسأدعو معاليك لافتتاحه وسأدعو الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ليتلو القرآن فى هذا الافتتاح .

وتطرق الحديث فى اللقاء الى مواضيع شتى .

قال الرئيس : انه لشرف عظيم أن يكون بيننا وزير من مصر – وشرف لنا أيضا .

قال الرئيس : أرجو أن تبلغ تحياتى الى فخامة الرئيس محمد أنور السادات فهو صديق عظيم .

وندعو الله أن يهيىء لكم الخير ويهيىء لنا جميعا ما نتمناه .

وفى هذه الجلسة الاخوية الهادئة ختم الشيخ عبد الباسط عبد الصمد اللقاء بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم التى كان وقعها على قلب الرئيس والحاضرين جميلا ومؤثرا غاية التأثير والجمال .

مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞

صدق الله العظيم

نظرات ودراسات

تفسير سورة النساء

الآيات من ١٢٧ إلى ١٣٠

- التشريع الاسلامى تشريع سماوى الهى فهو لا يعكس البيئة ، وانما هو عام خالد غير مخصص بزمان أو مكان .
- التعدد نظام أقرته الشريعة بشروطه
- الطلاق نظام اسلامى ، وحظره هو انحراف عن الاسلام .

الأستاذ احمد حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ
بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا
بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ
وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ
اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

صدق الله العظيم

التشريع الاسلامى تشريع الهى :

لو كنت أكتب هذا التفسير منذ ثلاثة قرون مضت أو فيما هو أبعد من هذا لكان هذا العنوان الفرعى يعتبر تزيدا وفضولا ، فلم تكن الهية التشريع الاسلامى محل بحث ، ومن هنا كان مثل هذا العنوان غير مقبول .

اما وانا افسر القرآن الكريم فى أخريات القرن العشرين ، فلا مناص من أن يحمل التفسير طابع العصر ، وطابع العصر هو غلبة الأفكار الأوروبية ، بمادياتها وعقلانياتها ، واخضاع كل شىء (وبدون استثناء) لما يسمونه تفكيرا علميا ، ولذلك فقد زعموا « ويا سوء ما زعموا » أن التشريع الاسلامى كأى تشريع آخر هو من عمل البشر ، فينبغى أن يتطور وفقا لمقتضيات الزمن ، وحاجات البشر فأصبح لزاما علينا أن نقف فى تفسيرنا من حين لآخر لنبين مواطن الاعجاز واستحالة أن يكون القرآن الكريم وما تضمنه من تشريع ، من

صنع البشر ، فبكل المقاييس العلمية المتعارف عليها بين البشر ، تقطع بأن كل تشريع يعكس البيئة واحوالها واحتياجاتها ، ولقد صورنا بيئة العرب فى الجاهلية وكيف كانت تقوم على اعتبار النساء احدى مصائب الحياة ، وكان الرجل يعزى اذا رزق بالأنثى ، واذا كان الأعراب يدفنون أطفالهم البنات بمجرد ولادتهن ، فان من لم يكن يفعل ذلك ، كان وجهه يظل مسودا لفرط مايكظم صاحبه من الغيظ .

وكان للعرب فلسفتهم التى تجعلهم يقفون هذا الموقف من النساء ، فقد كن يجلبن العار على ذويهم فى حالة الأسر ، ووسط حياة كلها صراع وقتال يفوز فيه الأقوى عسكريا ، ومن هنا كان ينظر للنساء باعتبارهن عبئا لا يشتركن فى القتال ، وتأسيسا على ذلك فقد كانت النساء لا يشتركن فى الميراث عن قرب أو بعد وكذلك الولدان الصغار .

ونزل القرآن :

فلو لم يكن القرآن كتابا سماويا ، لو انه كان من صنع بشر ، لعكس هذا الوضع ، ولو تصورنا انه أراد تحسين وضع الأنثى ، لأخذ الذكور برفق ، فتدرج بهم (وقد فعل فيما هو اقل خطرا كشرب الخمر) ولكنه فى موضوع النساء ، صادم العرف والتقاليد المجمع عليها الى درجة التحدى، فأعطى للبنت (عند انعدام الأخ نصف الميراث) مما فصلته آيات المواريث ، وسبق لنا أن شرحناها وغنى عن البيان ، **ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان كل ذلك جديدا عليهم ، ولا عهد لهم به ، فقد كانوا لايفتأون يسألون فى الموضوع « ويستفتونك فى النساء » أى يطلبون منك أيها الرسول « الفتيا » فى شأنهن وبيان المشكل والغامض من أحكامهن وقد قيل ان سبب نزول هذه الآية ان «عيينة بن حصن » قال للنبى صلى الله عليه وسلم : بلغنا انك تعطى الأبنة ، والأخت النصف ، وانما كنا نورث من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم « بذلك أمرت » .**

الوحى مؤيد لرسول الله :

والآن فلننظر بماذا كانوا يستفتون رسول الله ، وكيف رد عليهم القرآن مؤيدا ومدعما لكل ماقاله من قبل وتعرضنا له فى حينه :

ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن .

يتضح من مطالعة هذه الآية انه بالرغم من وضوح وصراحة الأحكام التى نزل بها القرآن الكريم فى أول سورة النساء فقد ظل المسلمون كما قدمنا يتساءلون عن مدلول هذه الأحكام ، والقرآن هنا يجيب، بأنه سيؤكد ماقرره فى بادىء الأمر « قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » مما نزل آنفا فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتوهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن .

رأى المفسرين :

قدر بعض المفسرين حرف « عن » وانه محذوف ، أى ان المقصود « وترغبون عن ان تنكحوهن » كما قدر بعض آخر ان المحذوف هو « فى » ويكون المعنى وترغبون فى نكاحهن ، وقد ساعد على هذا التقدير المتضاد ، حديث للسيدة عائشة ورد فى تفسير هذه الآية حيث قالت : هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ، ويكره أن يزوجها غيره حتى لا يذهب بمالها ، فيحبسها حتى موت فيرثها ، وفى رواية أخرى منسوبة للسيدة عائشة كذلك تقول : نزلت فى اليتيمة تكون فى حجر الرجل فيرغب فى زواجها اذا كانت ذات جمال ومال ، بأقل من مهر مثلها ، واذا كانت مرغوبا عنها لقلة مالها وجمالها تركها .

ولعلك رايت لماذا قدر المفسرون حرفى عن وفى ليصلوا الى هذا المعنى .

وكيفما كان الأمر فقد نهى المسلمون عن فعل ذلك ، وطلب منهم ان يتقوا فى يتامى النساء ، والمستضعفين من الولدان ، ذلك أن الضعف الذى يغرى باضاعة الحقوق ، ليس قاصرا على الاناث بل هو يشمل أيضا « صغار الذكور » وقد حذر الله من اغتيال حق الضعيف ذكرا كان أو أنثى .

وان تقوموا لليتامى بالقسط :

بالقسط : أى بالعدل .

وعمم القرآن الأمر فى معاملة « اليتامى » بالقسط، وواضح أن الأحوال التى تنهى عنها الآية مما فصلته السيدة عائشة هو جور وظلم .

وماذا تفعلوا من خير فان الله كان به عليما .

وكان طبيعيا والقرآن يصادر ما جبلت عليه النفوس من الاستهانة بالضعفاء وخاصة الأناث منهم ، ان يذكر بأن الله يكافىء على عمل الخير ، اى خير ، وانه عليم بذلك كله ومحاسب عليه **« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير »** .

معانى المفردات :

الخوف : هو الشعور بتوقع ما يكره من الأمور .

النشوز : من النشز ، وهو المرتفع من الأرض ، وهى تعنى هنا الترفع والكبر الذى يقع من الزوج وما يترتب عليه من سوء المعاملة
الاعراض : هو الميل والانحراف عن الشىء .

ويصبح المعنى أن المراة اذا توقعت (بحق) أن زوجها فى الطريق الى أن يزور عنها لأى سبب من الأسباب (كأن تكون كبرت فى السن) **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا** ، وقد ضربنا المثل بكبر السن ، لأن هذه كانت حالة السيدة « سودة بنت زمعة » فقد كبرت فى السن وهى تحت رسول الله ، فوهبت ليلتها للسيدة عائشة رضى الله عنها ، فرضى رسول الله عن ذلك وسار عليه ، وهذا تفسير **« فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا »** .

فانظر يارعاك الله الى هذه الرقة والعدالة المطلقة فى ذات الوقت ، فالأصل ان يعدل الزوج عدلا مطلقا صارما بين نسائه اذا كان متزوجا بأكثر من واحدة ، وعلى رأس العدل وفى أول القائمة التسوية فى المبيت عند كل زوجة ، فماذا يكون العمل اذا طعنت احدى الزوجات فى السن ، بحيث لم تعد تصلح للمبيت عندها ، هنا وحلت لنا السيدة « سودة » القضية بأن وهبت ليلتها للسيدة عائشة رضى الله عنها ، وقبل منها سيدنا محمد ذلك وابقى عليها ولم ينفصل عنها ، وعلينا أن نفهم **« فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا »** وينتهز القرآن الكريم هذه المناسبة ليطلق حكمه العام الأبدى الخالد « والصلح خير » لأن الصلح يعنى السلام ، والسلام هو الأصل والخصام والمنازعة فضلا عن القتال هو الشذوذ ، **والله سبحانه وتعالى هو « السلام » ومن هنا جعله الله هو الأصل : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها »** ولما كان الصلح دائما هو مفتاح السلام والوفاق وكل ما هو طيب ، فقد أطلق الله الحكم « والصلح خير » .

ولا يغيب عن بالنا أن الصلح لا يكون صلحا الا اذا كان اساسه الرضا اى القبول عن طواعية واختيار نتيجة ارادة حرة كاملة وبغير هذا لا يكون صلحا حقيقيا ، وهو ما وصفه القرآن بأنه خير .

وأحضرت الأنفس الشح :

الشح هو البخل ، واحضرت الأنفس : اى انها عرضة له وهذا تحريض وحث من القرآن على المضى فى الصلح الذى هو خير ، ولو أدى ، وهو يؤدى غالبا ، الى النزول عن بعض الأرباح والخسائر مادية كانت أو أدبية ، وذلك بالرغم من الطبيعة البشرية التى جلبت على « الشح » .

ولكن الانصراف عن هذه الطبيعة واجب فى سبيل الصلح الذى هو خير دائما .

وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا .

ويعود القرآن لدعوته التى لا يفتأ يدعوننا اليه من الألف الى الياء وهى : « الاحسان والتقوى » فما من أمر من الأمور الا وفوقه ماهو أحسن واتقى ، وهذه هى عظمة القرآن وسر تفوق الاسلام ، فهو يقدم حلولا عادلة ترتبط بالواقع وتهدف لاحلال الصلح اى السلام فان امرأة خافت من زوجها نشوزا أو اعراضا ، وان رجل خاف من سوء عشرة زوجته ، الى آخر مايمكن أن يقع بين الزوجين ، فليس هناك مانع ابدا من أن يتراضيا على أى حل واقعى « والصلح خير » .

أصل الأصول الاحسان والتقوى :

ولكن القرآن يعود فيذكر بأن أصل الأصول هو « الاحسان والتقوى » .

وان الله عالم بكل ذلك ومحيط ومكافىء عليه أعظم الجزاء .

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم .

العدل بين الزوجات :

نصل الآن الى جزء من آية يسبب الوقوف عنده دون النظر الى باقى الآية الى الوقوع فى

خطأ القول من ان الاسلام ينهى عن تعدد الزوجات، فهو يبيح التعدد بشرط العدل بين الزوجات «فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » أى أن القرآن الكريم جعل «العدل» هو الشرط الأساسى لامكان التعدد ، وهنا الشطر من الآية ينفى عن الانسان بقرار الهى ، امكان العدل بين النساء ، ويكون المفهوم المنطقى والمحتوم لذلك هو حظر التعدد لانتفاء شرطه ، ولقد كنت أنا واحد ممن وقعوا فى هذا الفهم الخاطىء ابان شبابى ، وان كنت بعون الله لم أقع فى خطأ الدعوة الى حظره ، وكان الذى عصمنى من الوقوع فى الخطأ ، هو أن أحكام الشريعة ، لا تؤخذ من القرآن فحسب، بل ومن عمل الرسول أيضا ، وقد عدد الرسول زوجاته وعدد أصحابه ، فدل ذلك على أن هذا كان شرعا متبعا ، وأحمد الله ان وقانى شر القول بأن الاسلام ينهى عن التعدد ، ولكنى أشهد أن النفس ظلت فيها أشياء الى أن كان هذا التفسير الذى يفرض على الوقوف طويلا أمام الآيات .

فلا تميلوا كل الميل .

فلو أن القرآن نفى عن الانسان امكان العدل المطلق ، فهو لم يطلب من الانسان أن يفارق ، فلا تكون له الا زوجة واحدة وانما طلب منه « عدم المبالغة » فى ايثار بعض الزوجات بكل شىء ، وحرمان الباقيات من كل شىء ، وانما طلب منه الاجتهاد ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته فى التسوية بينهن فى كل شىء ، حتى بلغ به الأمر فى مرض الموت الى انه كان يبيت كل ليلة عند واحدة من نسائه ، حتى أذن له فى أن يمرض فى بيت عائشة .

ومفهوم ذلك أن العدل المطلوب هو فى قسمة الأعراض المادية بالتساوى ، ومن هنا كان عدل رسول الله بين زوجاته فى كل ما يقدر عليه ، أما ما زاد على ذلك مما لا يقدر عليه كهوى القلب فهذا لا يدخل فى دائرة العدل لأنه غير مستطاع .

القسم بين الزوجات :

ولذلك فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قسم بين زوجاته بالعدل والسوية عرضا من الأعراض المادية ، انه كان يقول ما معناه : اللهم هذا حظى فيما اقدر عليه فسامحنى فيما لا اقدر عليه ، وهو يعنى حبه للسيدة عائشة ، وبالرغم من أن هذا كان طبيعيا جدا فقد كانت السيدة عائشة صغيرة جدا عندما بنى بها رسول الله ، وغالب زوجاته الأخريات ، كان قد سبق لهن التزوج بآخرين قبل رسول الله ، فأن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة ، أكثر من باقى زوجاته هو أمر جد طبيعى ، ومع ذلك فقد كان الرسول صلوات الله عليه يخشى أن يكون فى هذا الميل انحرافا عن جادة العدل فكان هذا الدعاء من رسول الله ان يسامحه الله فيما لا سلطان للنفس البشرية عليه وهو « الميل والهوى » وهكذا دل نفى العدل عن الانسان مع شدة الحرص على أن المقصود منه ليس هو منع التعدد فالعدالة المطلقة مستحيلة، فالزوجات ليست كأى بضاعة مادية يمكن التسوية بينها فى كل شىء ، واذ كان الأمر كذلك ، فان القرآن الكريم يطالب الأزواج فى هذه الحالة : « فلا تميلوا كل الميل » ويمضى القرآن الكريم فى تحديد هذا « الميل » بحيث لا يصل الى جعل الأخرى لا ندرى أين موقعها وما هو وضعها ، أهى متزوجة أو غير متزوجة ، أهى محل رضاء زوجها ، أو هى مكروهة منه فكل ذلك وأمثاله يدخل تحت القول « فتذروها كالمعلقة » .

وهكذا صح امكان الزواج بأخرى وعدم الخوف من امكان العدل والتسوية فى كل شىء بشرط : « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » .

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

وكشأن القرآن دائما ، يعود الى القاعدة الاساسية، من أن الله لا يكلف نفسا الا وسعها، وانه فى خاتمة المطاف هو الغفور الرحيم ، فبعد أن طالب كل مسلم بالعدل ما استطاع اليه سبيلا، وبعد أن بين تعذر العدل فى بعض المعنويات رسم السمة العامة للانسان المسلم ، وهو ان يصلح فى كل شئونه ما استطاع اليه سبيلا ، وان يتقى الله فلا يخالف أوامره وان ينتهى بنواهيه **«ما استطاع الى ذلك سبيلا »** فاذا سألنى سائل ، ومن اين جئت (بقيد الاستطاعة) قلت ان ذلك وارد بصريح النص فى آيات أخرى ، وهو وارد هنا ضمنا فى قوله : **« فان الله كان غفورا رحيما»** أى انه بالرغم من صلاحكم وتقواكم فسوف تقع منكم أمور (رغم ارادتكم) تستوجب رحمة الله الله وغفرانه ، وهو ما يعد به الله عباده الصالحين المتقين .

وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ..

ليغفر الله لى آدميتى وانسانيتى التى تجعلنى اقف مبهورا من حين لآخر ، امام احكام القرآن المعجز ، فأيا اتجه يمينا أو شمالا ، أو شرقا أو غربا حسب تيار الحديث، فان القاعدة الأساسية لا تنفك تطالعنا وتواجهنا ولما كانت القاعدة الأساسية فى (الزواج) هى : (امساك بمعروف أو تسريح باحسان) فها هى تطالعنا والحديث يدور حول خلاف يقوم بين الزوجين .

والصورة التى أمامنا ، نزاع لم يفد فيه التصالح بل ولم يفد نهى القرآن لرجل عن المبالغة فى الميل فى أى اتجاه ، ويذكر بقوة فى حق الزوجة على زوجها أن لا يذرها معلقة ، لا تعرف اين مكانتها منه ، الا يزال يعتبرها زوجته صاحبة الحق عليه ، أم انه أصبح ينظر اليها بمنظار آخر ، هنا ويعود القرآن الكريم الى قاعدته الأساسية **« امساك بمعروف أو تسريح باحسان »** فيقول لنا تعالى :

« وان يتفرقا » أى الزوجين يتفرقان بالانفصال أى بالطلاق « يغن الله كلا من سعته » .

وانت ترى ان التشريع الاسلامى لم يقف عند حد اقتراح الافتراق والانفصال باعتباره الحل الأمثل لنزاع مستعصى عن الحل بين الزوجين ، وقد تحول الى ينبوع كراهة ومساءة ، أقول لم يقف القرآن الكريم عند حد الاشارة الى التفريق والانفصال ، بل انه وعد ان يكون هذا الانفصال مصدرا للخير « يغن الله كلا من سعته » .

رأى القرطبى :

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره : انه روى عن جعفر بن محمد أن رجلا اشتكى له الفقر ، فأمره بالزواج ، فذهب الرجل وتزوج ، وشكا اليه الفقر مرة أخرى ، فأمره بالطلاق ، فسئل (أى جعفر بن محمد) فى تفسير ذلك فقال : أمرته بالزواج لعله من أهل هذه الآية » ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فلما لم يكن من أهل هذه الآية أمره بالطلاق ، لعله من أهل هذه الآية : **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .**

والذى نريد نحن ان نضيفه لعصرنا الحديث ان البعض فى ايامنا تأثرا بالأفكار الأوروبية المسيحية القديمة ، قد بات يتصور استحالة الطلاق ، مع ان الزمن قد أثبت ضرر هذا التصور ، حيث يصبح لا سبيل للخلاص من الطرف الآخر الا بقتله .

وبرىء الاسلام وهو التشريع الكامل من هذه الوصمة ، فأباح الطلاق اذا ما توفرت دواعيه وموجباته ، كما هو الشأن فى هذه الآية ، فليحذر بعض المسلمين من المبالغة جريا وراء افكار ليست من الاسلام .

وكان الله واسعا عليما .

أى كان وسيبقى واسع الفضل والرحمة والمغفرة ، عالما بكل ما يدور فى نفوسكم ودوافعكم لهذا العمل أو ذاك ، ومثيبكم عليه ، أن خيرا فخير ، وان شرا فشر .

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وألا تباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى »

« على بن أبى طالب »

واقعية المثل القرآنى ودلالته

الدكتور أحمد أحمد غلوش

القرآن الكريم فى جملته اساليب بيانية تحتوى على مجموعة من المعانى والحقائق هى دين الله تعالى .

والاسلام دعوة يوجهها القرآن الكريم بأساليبه المختلفة الى الناس أجمعين كى يفهموا ويعلموا ويؤمنوا .

والمثل أحد أساليب القرآن الكريم فى البيان والدعوة . ضربه الله تعالى لما فيه من قوة الاقناع . ودقة التأثير . وقد وضعه الله بقدرته المعجزة بصورة تشتمل على جملة من الخصائص التى تعطيه امكانية التأثير أكثر فى الناس . ومن أهم هذه الخصائص واقعيته الواضحة .

واقعية المثل القرآنى

والواقعية دائما ترضى الانسان وتقنعه ، لأنها تعنى الصدق وتدور مع الممكن ، وتحث على المصلحة ، انها الانسان فى حقيقته المركبة من الخير والشر .. ولذلك كانت واقعية المثل القرآنى ذات تأثير فيما ضرب له وهذا أمر يتضح فى عديد من أمثال القرآن الكريم نختار منها مثالين **أولهما** قوله تعالى **((ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)) .**

وتلك قصة حدثت مع رسولين من رسل الله تعالى هما نوح ولوط عليهما السلام ، حيث كفرت امرأة نوح برسالته وكفرت زوجة لوط بدعوته ، وخانت كل منهما زوجها فى رسالته ودعوته فكانت امرأة نوح تقول عنه : انه مجنون، وكانت اذا رأت فردا آمن بنوح أخبرت الجبابرة الكافرين بنوح ليوقعوا عليه الايذاء والعنت ، وكانت امرأة لوط ترى أضيافه وتخبر الكافرين بهم ، وعلى ذلك تفهم خيانة هاتين المرأتين . يروى الضحاك عن ابن عباس : ما بغت امرأة نبى قط ، وسمى كفرهما خيانة اشارة لشدة الجرم فيه .

وهذا المثل تصوير لبيئة صالحة ، هى بيئة الرسول والرسالة ، ففيها نوح عليه السلام بما عرف عنه من دعوة استمرت الف سنة الا خمسين عاما ، كان يدعو خلالها ليلا ونهارا ، سرا وعلنا ، يدور مع الناس حيث كانوا فلم تزدهم دعوته الا فرارا ، وكان كلما ذكرهم بنعم الله عليهم وأفضاله فيهم انصرفوا عنه ، ووضعوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا على كفرهم واستكبروا استكبارا وكان المأمول مع نوح عليه السلام أن تخلص زوجته له تخفف تعبه ، وتسانده فى وقت الشدة ، وتسرى عنه صد الناس وعنتهم ، لكن الأمر لم يكن على هذا الأمل اذ انتقلت زوجة نوح الى جانب الكفرة وكانت عونا لهم ، وعينا على رسول الله نوح ، ولوط عليه السلام دعا قومه . وهاجر لربه بعدما يئس من الكافرين . وكان المأمول أن تساعده زوجته وتخفف عنه ، وتستر خبر أضيافه حتى لا يعتدى المعتدون عليهم لكنها

لم تفعل ذلك وانما وقفت مع الكافرين تمدهم بما يطلبون . وتخبرهم بأضياف لوط عليه السلام.

بعض القضايا

وذلك الواقع يبرز عددا من القضايا بعضها مع الرسول الداعية ، وبعضها مع هذه الزوجة التى خانت زوجها فى دعوته ورسالته . وبعضها مع موقف هذا الزوج مع زوجته هذه ، وبعضها عن الجزاء والعقاب وعدم تأثيره بفعل الغير . وجريانه على قاعدة « كل نفس بما كسبت رهينة » وهذه القضايا تعد دروسا للدعاة يستفيدون بها فى مسيرة الحياة والدعوة .

فالزوج الرسول اتجه بدعوته الى زوجته أولا . لان ايمانها دعوة لغيرها ، فهى أقرب الناس اليه ، وأعرفهم بنفسه . وخلقه . وصدقه ، وأى معارضة منها له تعد طعنة كبرى فى عمله ودعوته ، وأول من آمن برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هى زوجته خديجة وقد حملت دعوة زوجها الى غيرها من أهل مكة فكانت خير معين لزوجها رسول الله .

ضرب الأمثال فى القرآن

ان المخالفة بين الرجل وزوجته تعنى فى نظر الناس أن القضايا المعروضة بينهما غير مسلمة من أحدهما . وهذا عامل هام فى عدم نجاح هذه القضية أو القضايا .

ومن هنا كانت خيانة زوجة نوح وزوجة لوط من الآلام القاسية التى عانى منهما رسولا الله . وعلى نمطهما كل داع الى الله تتحرك زوجته بغير حركته ، وتسلك خطا مغايرا لدعوته ان **الزوجة التى تخرج سافرة عارية لا تساعد زوجها وهو يدعو الى الاحتشام والتستر ، بل ان لسان الواقع سينعكس على الزوج يقول له أصلح زوجك أولا . ولو كنت صادقا لبان صدقك على زوجتك ، وأولادك . ان خيانة زوجتى نوح ولوط كانت قاسية ومؤلمة . ولذلك سمى الله كفرهما خيانة لزوجهما .**

الانطلاق بالدعوة

ومع صعوبة هذه الخيانة فان الرسل الدعاة لم يعبأ بها وانما انطلقا بالدعوة الى الله معرضين عن سفاهة السفهاء ومعارضة الجاحدين . وكل توكلهما على الله .

ان نوحا ولوطا عليهما السلام لم يتخذا موقفا من زوجتيهما وكل ما فعلاه تبليغ الرسالة لهما . فما على الرسول الا البلاغ ، ولا اكراه فى الدين .

والعقل يتساءل عن السبب الذى يجعل امرأة تعيش فى كنف الرسول ، تعلم خبره ، وترى هداه ، وتدرك أحقيته ومع ذلك تعارضه . ولا تتبعه . وتتبع ضلالا بينا فتعبد صنما ، وتسلك فى حياتها مسلك الضالين المكذبين .

نعم يتساءل العقل عن ذلك وعن صور عديدة تشبهها كعالم يضل بعد علم ومعرفة ، وجماعة تهجر منهج الله وهو فيها ، وعقلاء يؤمنون بحيوان أو جماد مع تحضرهم وثقافتهم وكل ما يجمع هذه الصور هو الضلال بعد العلم . والانصراف عن الخير بعد وضوحه ، وترك الهدى مع ظهور أحقيته . ولعل تفسير هذا يعود الى طبيعة النفوس الكافرة . وطبيعة أصحابها ، فالكافر مظلم النفس ، مرتبط بالمادة ، مغرق فى الشهوة ، محب للذات ، يتصور أن خضوعه للحق اذلال له ، لا يتأمل بعيدا ، وانما يقصر نظرته الى يومه فقط ، ولذلك فهو راض بالاشباع المادى المؤقت ، أما الأصالة فى الهدى . والاستمرارية فى الخير ، والاشباع الشامل ، كل ذلك معطل لأنانيته ، معارض لنظرته القاصرة . ومن هنا يندفع الكافر الى كفره وجحوده بتعطيل القوى الراقية فيه فيرضى بعبادة عجل . ويسلك منهج البشر المعارض لمنهج الله . ويسعد بالكسب الضئيل بعد ما زينه له الهوى .

ان الكافر يتخذ هواه الها ، ويعتبر الصد عن الدين منهجا ، ويكره ما أنزل الله بسبب ما فى قلبه من مرض وضغينة . والمريض غالبا يرى أن الحلو مر ، والأعمى لا يبصر النور ، والأصم لا يسمع والأبكم لا يتكلم ، وما دام الكفر ينبع من خصائص فى النفس فلا غرابة أن يكفر الأخ بدعوة أخيه . وتعارض الزوجة زوجها وهو رسول ، ولا يطيع الأهل ابنهم وهو يدعوهم الى الله .

ومن هنا ضرب الله للدعاة مثلا فى امرأة نوح وامرأة لوط اذ كفرا ، وخانا أزواجهما ومع ذلك لم يكن لهما تأثير ما فى مسيرة الدعوة والبلاغ .

وحتى لا يتصور بعض الناس مجاملة فى الايمان قضى الله بمعاقبة زوجتى نوح ولوط بسبب كفرهما ، ولم يجعل للصلة الروحية مدخلا فى العقاب الالهى ، وأخبر عن ذلك فقال تعالى: « فلم يغنيا عنهما من الله شيئا . وقيل ادخلا

النار مع الداخلين » وهذا القضاء الواضح يحدد عدل الله فى الناس .

تنوع الأسلوب القرآنى

ومن عجب أن يتم هذا القضاء منذ نوح عليه السلام وهو أب البشرية الثانى فلقد قضى له بذلك مرة مع زوجته فلم يغن نوح عن زوجته شيئا . ومرة أخرى مع ابن نوح الذى كفر فلقد طلب نوح عليه السلام من ربه عفوا عن ابنه فقال : « رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » وكان عدل الله أن قال « يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » .

أقول من عجب أن يتم ذلك منذ أيام نوح وبينه وبين آدم عليهما السلام فترة وجيزة . وكان الله يريد أن يعرفنا منذ البداية أن عدل الله لا يورث الخطيئة لغير المخطىء حيث قضى سبحانه وتعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « كل نفس بما كسبت رهينة » « كل امرىء بما كسب رهين » نعم قضى الله بذلك لكيلا تصدق مزاعم ستظهر بعد نوح ومدارها وراثة الخطيئة ، وتنقلها جيلا بعد جيل وعدم انتهائها الى أن يتحملها عن الجميع فرد واحد هو اله فى نظر زاعميه .

ان الخطيئة لا تورث مطلقا ، وما قيمة الحياة اذا كان الانسان يحمل أوزار غيره ؟ ! وما قيمة الانسان اذا كان يخطىء ليعاقب سواه ؟ ! وهل العدل الالهى يكون بترك المذنب ، ومعاقبة البرىء ؟ ؟

ان فى مثل زوجتى نوح ولوط درسا للدعاة بجعلهم يخلصون الدعوة الى الله مؤمنين بانه سبحانه مطلع على كل شىء . وانه سيجازى على كل فعل بالقسطاس المستقيم وحينئذ لا توقفهم معارضة ، ولا يؤلمهم جحود . ولا يمنعهم عن مسيرة الدعوة كثرة الباطل وزهوه . ويكون منهجهم الدائم « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » وهدفهم الله « وان الى ربك المنتهى » « وان الى ربك الرجعى » .

واجب الدعاة الثقة بدعوتهم

وعلى معارضى الدعوة أن لا يغتروا بباطلهم وان تزين بالجاه والمال والقوة ، وعليهم أن يعرفوا أنهم بالنسبة لما فى الكون لا يساوون شيئا .

يقول المرحوم سيد قطب « ان البغاة الطغاة الظالمين المفسدين الذين يظهرون فى ثوب البطش . ويتراءون لأنفسهم . ولأتباعهم كثرة قادرة قوية تعيش على الأرض بين الكواكب والنجوم والمجموعات الفلكية . والمخلوقات التى لا يعلم عددها ولا يدرك مداها الا الله تعالى .. فاين هؤلاء الطغاة من ذلك كله ؟ ! بل أين أهل الأرض جميعا منها » ؟ ومن هنا كان على الدعاة أن يثقوا بدعوتهم . وعلى البغاة أن يرتدعوا عن الباطل . ويعودوا لرشدهم .

ومن المسلم أن زوجة نوح وزوجة لوط وهما صورة للكفر والاستكبار دخلتا النار مع الداخلين بلا منقذ لهما . ولا نصير لهما ، وهو شأن الكافرين دائما .

أمام العقلاء
المثل الثانى :

وحتى تتعادل الكفة البشرية أمام العقلاء ، وحتى لا يتصور أحد أن الدنيا قد غلب عليها الكفر والبغى والضلال ضرب الله مثلا آخر مع المثل الأول هو مثل للمؤمنين حيث قال الله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » .

وهو مثل من الواقع حدث فى بيت ملك بيت فرعون الذى ملك مصر . وانهارها . وقومها . وكل شىء فيها . وملأ بيته بالخدم والحشم والوصيفات . وانزل زوجته فى المصريين منزلة عليا . فهى زوجة رب المصريين الأعلى .

فى هذا المجتمع المادى القائم على الأنانية وحب الذات . ونكران القيم والمثل . فى هذا الوسط تخرج ربة القصر . والمستفيدة بكل شىء فيه لتعلن للناس مثالا ايمانيا مليئا بالدروس والعبر . حتى ضربه مثلا للذين آمنوا .

نعم تخرج سيدة القصر «آسية» امرأة فرعون عن عالمها المادى المحدود . وتؤمن بخالق كل هذا ، وتعترف لله بأنها أخطأت يوم اتبعت فرعون فظلمت نفسها وانسانيتها . وتطلب المغفرة والنجاة . انها لم تقف عند حد الدنيا الفانية ونعيمها المحدود . بل طلبت بيتا عند الله فى الجنة ، انه أعظم من قصرها . بل أعظم من كل ملك فرعون ، بل هو أعظم من الدنيا بحذافيرها .

لو اعتمدت زوجة فرعون على النظرة المادية، والأنانية البسيطة والشهوات السريعة لرضيت عما كانت فيه من ملك وجاه ومال . لكنها نظرت الى الحقيقة المجردة ، وتأملت فى الكون بسعته وما فيه . وقارنت بين الدنيا والآخرة فوصلت الى الحق وقالت : رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » وفى ذلك دروس ودروس .

فهو تصوير صحيح للحقيقة فلا قيمة للدنيا كلها اذا لم تحكم بمنهج الله لأنها الى زوال حتمى والباقى للبشر منها هو الاتباع الصحيح لدين الله تعالى ، اذ متعة يوم لا تساوى شيئا ان واجهت متاعب العام كله . ومتعة الحياة الدنيا ان هدمت المتعة الأخروية لأن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » والآخرة خير وأبقى .

والظواهر ليست هى الحقيقة فملك فرعون بكل ما فيه ومعه تضاءل أمام نظرة صحيحة وتحول الى عبء وآلام يطلب العقلاء النجاة منه .

وأين الآن فرعون ؟ وأين زوجته ؟

لقد ذهب فرعون مع الجميع وقيل له ادخل النار مع الداخلين .

أما امرأته التى استعلت بذاتها . واسلمت أمرها لخالقها هى الآن فى قصر منيع عند ربها . وقد نجت من الظالمين وافعالهم ..

وأين حاشية فرعون . واشياعه . ودعاته . والمنتفعون به ، انهم جميعا معه . وقد قصر بهم الآجل . وعجزت معهم الحيل ، وماتوا جميعا على ضلالهم وظلمهم . وصاروا مثلا لمن بعدهم .

عدالة السماء :

وبمقارنة عادلة بين فرعون وزوجته يقف العقل المحايد بكل الاعجاب والتقدير أمام المرأة يهتز بموقفها ويعيش وجدانها ، ويبارك نظرتها البعيدة التى هى فيها الآن أما فرعون فان العقل المحايد يتصور صوته مناديا « يا ليتنى قدمت لحياتى » .

ان زوجة فرعون استعملت عقلها . ولم تضعف امام زوجها فتركت ضلاله الى هدى الله وتبرأت من ظلمه ومظالمه ، وهكذا الصالحات يعلمن انه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فتتمسك بالحق . وتعمل بمنهجه .

وتمتلىء الدنيا بالأعاجيب فلئن كان الرسول هدى كله فان زوجته قد تكفر به وتعارضه . ولئن كان فرعون مادة كله . فان زوجته تترك مادته وتؤمن بالحق . والمهم ان لا يقلد الناس غيرهم حتى لا يضلوا تبعا لهم .

دروس للدعاة :

وعلى الدعاة ان يعلموا أن التكامل البيئى عامل فى نجاح دعوتهم فليبدأ كل بنفسه وأهله وولده فهم عنوان ودليل عملى على صدق ما يأمر به .

وعلى الدعاة ان يثقوا بدعوتهم ، ويتأكدوا من نصر الله لهم . وحينئذ لا قيمة لأى معارضة موجعة وان أتت من أقرب الناس اليهم واحقهم فى التأييد والمؤازرة .

وعلى الدعاة ان لا يغتروا بزخارف الدنيا فانه لا بركة فى دنيا اذا لم تسر على منهج الله .

وعلى الدعاة ان يكونوا دائما على طريق « نجنى من فرعون وعمله . ونجنى من القوم الظالمين » .

والله خير موفق ومعين ..

من أساليب القرآن الكريم في آداب التعلم وأهدافه

الدكتور عبد الحليم حفني

رأينا في مقال سابق كيف كان حرص موسى عليه السلام على طلب العلم ، وكيف كان أدبه مع معلمه الخضر عليه السلام ، وكيف حدد الخضر منهجه للطالب واشترط عليه التزامه ، وكيف وافق موسى على قبول هذا المنهج على صعوبته مستعينا بالله على الصبر عليه .

عند ذلك يبدأ الخضر في القاء دروسه ، فينطلق ومعه موسى حتى يركبا سفينة مع الراكبين ، ويدور حوار غير ودى مع الخضر وبعض من فيها ، واذا الخضر يتناول فأسا فيهوى على بعض ألواح السفينة ، فيحطمها حتى يظهر الماء ، وسواء أكانت السفينة قد بعدت عن الشاطىء حينئذ أم لم تبعد ، فان خرقها يعرض من فيها أو بعضهم على الأقل للغرق ، فحتى قربها الشديد من الشاطىء لا يمنع هذا الاحتمال ، فلا تخلو سفينة عامة عادة من نساء أو أطفال من أشخاص لا يحسنون السباحة ، وفي كل الأحوال فان خرقها فيه خطر عظيم ، واذن فالذي صدر من الخضر منكر شديد النكر ، حيث يعرض أرواحا بريئة للخطر واذا موسى بطبيعة الحال يجد نفسه مدفوعا الى النهى عن هذا المنكر ، ومحاولة الحيلولة دون جريمة نكراء ، وكان الواجب حينئذ واضحا أمام موسى ، فلا طاعة لمخلوق ولو كان الخضر ، في معصية الخالق ، واذا هو يبادر الخضر بالانكار وبيان خطورة عمله ، قائلا **(أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا)** ونستطيع ان نتصور ان موسى حين شعر أنه أدى الواجب في النهى عن المنكر بدأت نفسه تهدأ من ثورة الانفعال بالمنكر ، وفي هدوء نفسه راجع تفكيره ، فاذا هو يستعيد انه يعلم مقدما أن علم الخضر غير عادى ، وأنه على صلة بربه ، وأنه من أجل ذلك الزم نفسه تبعيته المطلقة له ، فمن المستبعد اذن وحال الخضر هذا أن يكون ما صدر منه منكرا ، وآية ذلك أن الخضر نفسه مستريح البال هادىء النفس بعد فعلته ، لا يبدو عليه ما يبدو على مرتكبي الجرائم من القلق والاضطراب ومنازعة الضمير ، ثم الآية الكبرى وهي أن السفينة رغم خرقها لم تغرق ، ولم يغرق بالتالي أحد من ركابها ، واذن فقد أحس موسى من تلقاء نفسه بأنه تسرع ، وأنه أخل باتفاقه مع معلمه ، حيث يقضى الاتفاق التزام الصبر ، وعدم تدخل الطالب فيما يرى

من أستاذه مهما يكن نوع ما يرى ، وبهذه الأحاسيس ظل موسى منتظرا موقف معلمه منه .

بين المعلم والطالب :

وهنا يتضح أنه حدث خلاف بين المعلم والطالب ، مصدره أن الطالب أخل بالاتفاق الذى تم بينهما ، ولم يكن موقف الطالب حينئذ مجرد اخلال ، بل تجاوزه الى ما يشبه العدوان أو الاساءة الى معلمه ، فى صورة الاتهام ، وسنرى كيف كان كل منهما يعالج الموقف .

١ — أصبح الخضر فى موقف المعتدى عليه أدبيا من جانب تلميذه الذى أخل باتفاقه معه ، بل ان العدوان الذى وقع عليه تمثل فى أكثر من صورة ، فموسى تلميذه أخل بالاتفاق ، وهذا انتهاك لحق المعلم ، ولم يكتف موسى بذلك ، وانما اتهم معلمه صراحة بالشروع فى جريمة بشعة ، حيث قال له **(أخرقتها لتغرق أهلها ؟)** بل يؤكد أن معلمه أجرم فعلا جريمة كبيرة ، بقوله لمعلمه **(لقد جئت شيئا امرا)** يعنى ارتكبت جريمة عظيمة .

وقد كان من حق الخضر حينئذ أن يغضب ، وأن يبادل تلميذه على أيسر الفروض عنفا فى القول بعنف ، وهجوما بهجوم ، ولكن وضعه بصفته معلما يفرض عليه أن يكون أسمى من ذلك وأرفع ، واذا جانب التلميذ الحكمة أو اللين أو حسن معالجة الموقف ، فما يكون له هو أن يفعل ذلك ، بل انه يتجاهل كل ما وجه الى شخصه ، ولا يناقش الا الاخلال بمنهج التعليم ، هذا الاخلال الذى يترتب عليه أن يكون التعليم حينئذ نوعا من العبث الذى لا ثمرة له ، فيكتفى بأن يقول عن هذا المعنى **(ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟)** واذا تأملنا هذا التعبير من الخضر نلاحظ أنه يلتزم غاية الرفق بتلميذه ، فهو لا يؤنبه ولا يلومه ، وانما يكاد يقتصر على تذكيره بالمنهج ، بل يبلغ من تحاشيه ايذاء نفسية تلميذه أنه يتحاشى التصريح بتوجيه هذا التذكير لتلميذه مباشرة فلا يقول مثلا : الم اقل لك ؟ وانما يقول **(الم اقل ؟)** بل يوشك الخضر أن يبحث لتلميذه ، عن العذر الذى يعتذر به عن نفسه ، وهو عدم الاستطاعة ، ولو أراد موسى أو غيره أن يعتذر عما حدث ، لما وجد أبلغ من هذا العذر ، من حيث ان النفوس لا تكلف فوق طاقتها .

٢ — لم يكابر موسى فى الحق ، بل كان مهيأ ومستعدا لتلقى ما هو أكثر من ذلك من معلمه ، فاعتذر بأقصى ما يمكن أن يحمل الاعتذار الكريم ، وقد حمل موسى اعتذاره شقين ، أحدهما بيان السبب وهو النسيان ، والآخر من نوع ما لمح به الخضر فى الاعتذار عن موسى ، وهو عدم الاستطاعة والمقدرة على الصبر ، ولذلك يطلب من الخضر الرفق به ، فيقول لأستاذه **(لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا)** ولم يكن معلمه أقل حرصا على الرفق به ، فقد تكرر اخلال الطالب بالاتفاق ، بل وتكرر عدوانه على معلمه ، ومع ذلك فقد احتمله ، ولم يبادله عدوانه أو عنفه ، حتى اننا نلاحظ فى أواخر القصة أنه لم يفارق تلميذه لمجرد تكرار الاخلال ، وانما لأن اخلاله الأخير بالاتفاق لم يكن فيه عذر ، فالذى فعله الخضر أخيرا وهو اقامة الجدار المختل لم يكن فى ظاهره منكرا ، وانما كان من الواضح أنه عمل من أعمال الخير الصريح ، ولا لبس فى ذلك ، بصرف النظر عن استحقاق أهل القرية لهذا الخير أو عدم استحقاقهم ، فلم يكن لموسى حينئذ عذر فى عدم استطاعته الصبر والسكوت ، ولذلك قرر الخضر حينئذ أن ينهى التعليم ، وأن يعلن تلميذه بهذا القرار(١) .

نتائج وأهداف

تبرز لنا بوضوح من خلال هذا المثل الذى ضربه لنا القرآن الكريم فى قصة موسى والخضر ، أهداف ونتائج عديدة ، من أوضحها :

١ — بيان أن طلب العلم لا ينبغى أن يعلو عليه أحد ، وأن المرء مهما يتسر له من العلم فلا ينبغى أن يصرفه ذلك عن طلب المزيد ما وجد الى ذلك سبيلا ، وقد كان التطبيق العملى للمعنى الأول أن موسى عليه السلام كان أفضل عصره على الاطلاق بحكم كونه نبيا ، والا لو افترضنا من هو أفضل منه لكان الأفضل هو الأولى بالنبوة ، ومع ذلك لم يمنعه هذا أن يطلب العلم ، وأن يبذل فى ذلك كل الجهد والعناء ، وأما التطبيق للمعنى الثانى فقد كان موسى أيضا أعلم أهل عصره بحكم النبوة ، ولكنه وجد نوعا من العلم لم يتح له ، فجهد فى أن يحصله مهما كبده ذلك من جهد ومشقة .

وهذا كله ينبع من معنى واحد ، هو أن العلم لا حدود له ، وقد وضح القرآن الكريم ذلك كثيرا كقوله تعالى : **(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** والغاية المحددة من هذا كله الدعوة الملحة الدائبة الى طلب العلم والاهتمام به ، والا يتوقف طلب العلم والبحث العلمى عند غاية أو نهاية ، وشعار ذلك فى القرآن الكريم **(وقل رب زدنى علما)** .

---

(١) القصة فى سورة الكهف الآيات ٦٠ — ٨٢ .

٢ — يرسم القرآن الكريم صورة لما ينبغى أن يكون عليه طالب العلم ، ومن أوضح عناصر هذه الصورة ما يأتى :

(أ) الأدب والطاعة واحترام المعلم ، وقد ضرب موسى مع جلال قدره ونبوته أبلغ الأمثلة فى ذلك ، ولم يكن ذلك فى موقف أو ظرف معين ، وانما كان التزاما ثابتا ودائما ، وأما اعتراض موسى فقد كان فى سياق النهى عن المنكر .

(ب) من أهم ما يحتاجه الطالب لتحصيل العلم الصبر ومجاهدة النفس ، وهذا واضح فى التطبيق الواقعى ، فكم من طالب ذكى فاهم ، ومع ذلك لا يبلغ من العلم ما يريد ، لأنه لا يستطيع أن يروض نفسه او يلزمها الصبر على طول المذاكرة وكثرة التحصيل ، وكم من طالب ضعيف الفهم أو متوسط الذكاء يبلغ من التحصيل فوق ما ينتظر منه الناس ، لأنه يملك الصبر والمقدرة على توجيه ارادته ، ولذلك كان كل ما طلبه الخضر من موسى هو الصبر وضبط النفس أثناء التعليم ، وكان هذا أيضا هو كل ما لامه عليه حين لم يلتزمه .

٣ — يرسم القرآن الكريم صورة للعالم او المعلم ، نجد من ابرزها ما يأتى :

(أ) اهتمامه بمادة علمه ، وتحديد منهجه وتوضيحه ، ولذلك نجد الخضر لا يبذل علمه كيفما اتفق ، وانما يحاول ان يطمئن أولا الى جدوى تعليمه ، والى أن جهده غير ضائع ، وحين لاح أن هناك أملا فى أن يكون تعليمه مثمرا ، وضح منهجه ، ومتطلبات علمه ، وكان كل حواره، وكل مطالبه تدور حول ذلك .

(ب) من الحاجات الأساسية لشخصية المعلم المثالى الرفق وسعة الأفق أثناء التعليم ، فان المفروض فى المعلم ان يكون أوسع افقا من تلاميذه واكبر منهم سنا وعلما وخبرة ، وهذا يفرض عليه أن يكون اكثر رحابة وأوسع صدرا ، فضلا عن أن الصلة المثالية بين المعلم وتلاميذه تتحول الى نوع من الأبوة ، وهذا مما يزيد فى حفزه الى الرفق وسعة الأفق ، وهنا نجد الخضر بوصفه معلما يرفق بتلميذه ، بل يتحمل منه ، ويلتمس له العذر غير مرة كما راينا .

من مميزات العالم الأمانة :

(ج) ومن ابرز ما ينبغى أن يتميز به العالم الأمانة فى علمه ، هذه الأمانة التى تلازمه فلا يبيح لنفسه قط أن يتخلى عنها ، سواء فى نقله عن غيره ، أو فى املائه على غيره ، فان ما يترتب على هذه الأمانة أو التفريط فيها كبير وخطير ، لأن العلماء فى كل عصر وكل مكان ، هم قادة الفكر وموجهو الحضارة ، ومن هنا كانت اهمية مكانتهم من ناحية ، واهمية التزامهم الأمانة من جهة أخرى ، فان فقدان الأمانة العلمية بالقياس الى العالم لا مؤثر فى أمره وحده ، وانما قد يؤثر فى مجرى تفكير كثير من الناس ، بل وفى مجرى حياتهم أيضا ، وقد لخص الخضر امانته العلمية فى قوله بعد كل ما حدث (وما فعلته عن أمرى) ومما لا شك فيه أن ما فعله الخضر عن علم بماضيه وحاضره ومستقبله كما وضح فى القصة قد أثار أعجاب موسى وزاده اكبارا واجلالا نحو أستاذه ، وقد كان يمكن لغير الخضر ان يحاول المحافظة على هذه الهالة التى احيط بها من الاعجاب والاكبار ، بأن يبقى نفوس مشاهديه على وهمها أن ذلك من صنعه وعلمه وموهبته ولكن ذلك لا يتفق مع أمانة العلم التى تقضى فيما تقضى برد كل معلومة وكل شىء الى مصدره ، ولذلك يقول الخضر لتلميذه (وما فعلته عن أمرى) ولا شك أن ذلك لم يقلل من قدر الخضر ولا من علمه ، وانما من شأنه أن يزيده جلالا وفضلا .

٤ — من الملامح الواضحة فى القصة ان عمل الخير ينبغى أن يؤدى لذات الخير ، مع صرف النظر عن الظروف التى يؤدى فيها ، بل وعن الشخص الذى يؤدى اليه الخير ، فان الخضر بعد أن طلب من أهل القرية طعاما وقد نال منه ومن صاحبه الجهد والجوع فأبوا أن يطعموهما، لم يمنعه ذلك أن يسدى فى هذه القرية خيرا ، فيقيم الجدار الذى كان يريد أن ينقض .

٥ — وهناك جانب شديد الوضوح فى القصة ، هو جانب النهى عن المنكر ، فقد رأينا كيف أن موسى عليه السلام مع حرصه البالغ على طلب العلم ، ومع استعداده لكل تضحية ، وقبوله كل شرط فى سبيل تحصيله ، لم يستطع السكوت على منكر رآه ، وهو خرق السفينة ، واذا كان قد اعتذر فى المرة الأولى بالنسيان فى قوله (لا تؤاخذنى بما نسيت) فانه لم يستطع السكوت عند المنكر الثانى وهو قتل الغلام ، ولم يكن فى هذه المرة ناسيا ، بل ولم يكن له عذر قط غير أنه لم يحتمل السكوت على المنكر ، ولذلك لم يعتذر هذه المرة لمعلمه ، وانما كان رده (ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا) ونلاحظ أن موسى لم يقل انه اخطأ فى اى من المرتين ، والواقع انه لم يخطىء ، فان المنكر حين يتضح انه منكر لا يجوز السكوت عليه ، ولذلك أيضا نلاحظ ان الخضر فى كل المرات لم يلمه ولم يخطئه ، وانما كان يذكره بأنه لا يستطيع الصبر على ما يجهل حقيقته .

للمقال بقية ص ٣٨

مقام ومقال

أكبر مظاه
مليون ونصف
بكلمة مصور رساد

عائد من بلاد الهند والسند .

بلاد العجائب كما وصفها الامام الشهرستانى حيث تعيش المتناقضات جنبا الى جنب .

سمعت الاذان الشرعى باللغة العربية الفصحى وصليت الجمعة فى مسجد مزدحم بالمصلين ، وعبرت نهر جانجا المقدس لدى الهندوس حيث يلقى فيه رماد الأجساد التى يحرقونها بعد الموت ، ورأيت فى المساء عابدا يركع فى خشوع ويسجد فى ضراعة امام تمثال كريشنا وعلى ربوة عالية فى مدينة نيودلهى الجميلة الواسعة النظيفة المليئة بالحدائق الغناء أقيم المعبد الكبير الذى يحتوى على ((فاترينات)) وغرف صغيرة جلدت حوائطها وأرضها بالرخام الأبيض الناصع ووضعت فيها تماثيل الآلهة المرصعة بالذهب حيث يدخل اليها الناس حفاة بكل خشوع وتبتل .

وليس شيئا غريبا فى الهند فقد تجاورت الحقيقة والسحر والحكمة والخرافة، والتوحيد والشرك والجمال والقبح والحب والكراهية والثراء والرفاهية والعذاب والبؤس .

والهند مكونة من احدى وعشرين ولاية بها أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة واللغة الهندية لغة غريبة تشبه فى حروفها مزيجا من اللغة الصينية واللغة اللاتينية وهى مجرد لغة من لغات الهند الكثيرة تليها اللغة الأوردية وهى اللغة المفضلة لدى المسلمين هناك ولذلك ألقت السيدة أنديرا غاندى كلمتها بهذه اللغة حين حضرت مهرجان الاحتفال المئوى لجامعة دار العلوم بديوبند مجاملة للمسلمين الذين كانوا عنصرا مؤثرا فى الانتخابات التى جاءت بأنديرا مرة أخرى الى الحكم .

وبالهند حوالى مائة وعشرين جامعة منها ثمانى وثمانون جامعة تعلم اللغة العربية وعلاقة الاسلام بالهند علاقة لا تكاد تنسى فالمسلمون حكموا الهند مدة طويلة

ولم ينته الحكم الاسلامى فى الهند الا على يد الاستعمار الانجليزى فى القرن الماضى وعلى التحديد ١٨٥٧ م .

وفى نهاية الاستعمار الانجليزى وقف المسلمون مع فكرتين :

الفكرة الأولى : فكرة الدكتور محمد اقبال وهى انفصال المسلمين فى الولايات التى يغلب عددهم فيها على عدد الهندوس والفئات الأخرى فى دولة يتمكنون فيها من اقامة الحياة الاسلامية والمجتمع الاسلامى .

ـــرة إسلامية

يرحبون ...

الرئيس السادات

بقلم : رئيس التحرير

الفكرة الثانية : ان يظل المسلمون فى دولة الهند الموحدة ليمارسوا الدعوة الى الله وسط الفئات الأخرى .

وقد أتيح لى ان ادرس الدكتور اقبال وهو يعرض ميزات فكرته فى خطبة كان قد القاها سنة ١٩٤٠ وبعض أعماله الأخرى كما أتيح لى أن أناقش الفكرة الأخرى مع بعض علماء المسلمين الذين ظلوا فى الهند يرفضون حتى الآن الهجرة الى باكستان .

كان رأى الدكتور اقبال ان الحياة اذا كانت ممكنة فى اى بلد بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب فليست ممكنة على الاطلاق بين المسلمين والهندوس لأن الكتب السماوية تجمع بين المسلمين وغيرهم من أهل هذه الكتب أما المسلمون والهندوس فلا تجمعهم جامعة بل ان الفواصل التى تفرق بين المسلمين والهندوس أكثر من أن تحصى فى الحياة اليومية فالمسلمون على سبيل المثال يأكلون لحم البقر ويعدونه رزقا حلالا والهندوس يعبدون البقرة مخلوقا مقدسا ولا يتسامحون لحظة مع من يمسها بأذى ولذلك تكثر المذابح بين المسلمين والهندوس مما يفقد الكل نعمة الاستقرار والأمن .

ولذلك رأى أن الأفضل أن ينعزل المسلمون فى مجتمع يمارسون فيه عقائدهم ويقيمون مجتمعهم ويعطون البشرية كلها المثل والقدوة ويبينون لها كيف والى أى مدى تسعد البشرية عندما تطبق نظام الاسلام .

ولكن بعض المسلمين الذين فضلوا البقاء فى التجمع الهندى رأوا أن الهجرة فرار وأن الأفضل أن يظلوا فى جهاد الدعوة الى الله والصبر على الأذى وممارسة الدعوة الى الاسلام وسط الهندوس وغيرهم فذلك خير من ايثار الراحة والدعة أو كما قال لى أحدهم الحياة فى الهند جهاد والموت فيها شهادة ومجابهة الخطر عزيمة .

وعلى كل حال أقام حوالى ١٤٠ مليون مسلم دولة الباكستان سنة ١٩٤٧ وبقى حوالى ٧٠ مليون مسلم فى الهند .

وعدد المسلمين يتكاثر باستمرار حتى ان عددهم فى الهند يصل الآن قرابة مائة مليون .

ولقد مارس الاستعمار الانجليزى الأساليب العديدة لتغيير الفكر وطريقة الحياة عند المسلمين فأغلق الكتاتيب التى كانت تعلم ابناء المسلمين القرآن وأقام نظام التعليم العلمانى فى بلاد الهند .

السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ترحب بفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف ورئيس الوفد المصرى الذى شارك فى الاحتفال بالعيد المئوى لدار العلوم بديوبند .

ولكن المسلمين فى الهند قاطعوا التعليم الغربى لأنهم ادركوا انه يضيع شخصيتهم ويشوه التصور الصحيح لعقيدتهم لهذا أقام السيد أحمد خان جامعة عليكرة لتكون جامعة اسلامية تتدارك ما لحق بالمسلمين من جهل نتيجة مقاطعتهم للتعليم العلمانى واقفال المدارس الاسلامية .

لكن محاولة السيد أحمد خان لم تلق ارتياحا لما شابها من شوائب التعليم الغربى اذ كانت تسمى الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية ، وكان السيد أحمد خان نفسه ذا ميول علمانية وقد ثبت أنه ناصر الانجليز بتفسير كتاب الله على ما يوافق هواهم واسقاط فريضة الجهاد على أساس انهم أولوا الأمر وطاعة ولى الأمر واجبة بنص القرآن وغفل السيد أحمد خان عن قوله تعالى « وأولى الأمر منكم » .

كان تخطيط الانجليز فى الهند يقوم على تجهيل أبناء المسلمين واغلاق روافد العلم أمامهم وما هى الا أعوام قليلة ،عشرين أو ثلاثين حتى يموت علماء المسلمين الموجودين آنذاك وتنتهى بعدذلك صلة المسلمين بالاسلام فلا يوجد من يبين فرائض الوضوء والصلاة .

ومن هنا تنادى بعض المسلمين الغيورين على دينهم الى انشاء مدرسة عربية فى قرية ديوبند التى تبعد حوالى مائة ميل عن دلهى العاصمة تكون مهمتها صد التيارات الالحادية عن الاسلام وتعليم أبناء المسلمين الدين واللغة العربية .

وقام الشيخ امداد الله المهاجر المكى والشيخ الامام الأكبر محمد قاسم النانوتوى وأصحابهما بجمع التبرعات لاقامة هذه المدرسة .

وبدأت المدرسة أول ما بدأت بطالب واحد ومعلم واحد فى المسجد فى ١٥ من محرم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦/٥/٣٠) .

والآن فان المدرسة تحولت الى جامعة تضم ألفى طالب وستين أستاذا وأقساما وعدة مؤسسات .

وقد قام الرئيس السادات بزيارة هذه الجامعة سنة ١٣٧٤ هـ عندما كان سيادته رئيسا للمؤتمر الاسلامى ولما عاد من هذه الزيارة أهدى لها مكتبة عربية كبيرة وعمل على ايفاد اثنين من أساتذة الأزهر اليها كان أحدهما فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر الذى مكث فيها سنتين وبضعة أشهر ارتبط فيها بهذه الجامعة وارتبطت به بما فيها من أساتذة وطلاب صاروا فيما بعد أساتذة يملكون زمام الأمور ويوجهون الحركة الاسلامية فى الهند وجهتها الحالية .

وما أن فكرت الجامعة باقامة مهرجان للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيسها حتى كان على رأس من دعى لهذا المهرجان فضيلة الدكتور النمر وفاء بحقه واعترافا بما قدم لمسلمى الهند وللجامعة من خدمات .

وما أن وصلنا الى مشارف ديوبند قادمين من نيودلهى حتى أدهشتنا المفاجأة .

ان أكثر من مليون ونصف مليون مسلم جاءوا الى هذه القرية الصغيرة من أنحاء الولايات الهندية ، والعالم كله وكل المنظمات والهيئات الاسلامية الرسمية والشعبية فى العالم قد بعثت بمندوبين عنها لحضور الاحتفال حتى أن وفد باكستان كان ثمانمائة فرد من مختلف الهيئات .

كانت مظاهرة اسلامية لم يسبق لها مثيل فى التاريخ تعكس تماسك المسلمين فى الهند وتجاوب المسلمين معهم من أنحاء العالم .

ولقد كان هذا مظهرا رائعا لابراز الوحدة الاسلامية لكن بعض الأخوة العرب سامحهم الله جاءوا بسخائمهم الى هذا المهرجان فحاولوا منذ اللحظة الأولى بل تبين أنهم حاولوا قبلها بشهور عن طريق بعض السفراء الذين حاولوا بكل جد منع الوفد المصرى برئاسة الدكتور عبد المنعم النمر من القاء أى كلمة فى المهرجان .

وعن طريق المال والاغراء بالتبرعات حاولوا اسدال ستار كثيف من التجاهل لمصر والضغط على منظمى المهرجان من أجل ذلك بينما كانوا يرددون فى كلماتهم شعار الوحدة الاسلامية ولكن بتوفيق الله ثم بالتخطيط الذكى وعمق الصلة بين الدكتور الوزير والقائمين على الجامعة والزعامات الاسلامية فى الهند استطاع الوفد أن يفتتح الجلسة الافتتاحية بتلاوة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ثم تمكن الوفد رغم الضغوط من القاء رسالة الرئيس السادات الى المهرجان .

وعلى كثرة ما ألقى فى المؤتمر فلم تسمع أحدا من مسلمى الهند استحسن شيئا مما ألقى قدر ما استحسن كلمة الرئيس التى ترجمت الى اللغة الأوردية بمقدمة ختامية أضافها مذيع الحفل عن مصر والرئيس السادات شخصيا وما قدمه للجامعة من خدمات .

والمؤسف أن بعض الوفود العربية خافت على أنفسها من الجلوس فى المهرجان وسماع كلمة مصر فهرعت الى الخارج فلما لم تستطع الخروج اكتفت بالجلوس فى مؤخرة المنصة التى يجلس عليها أعضاء الوفود .

وفى اليوم التالى كان الناس يتعرفون على أعضاء الوفد المصرى ويسألون أنت مصرى ؟ أنت مبعوث الرئيس السادات ؟ ان له فضلا على هذه الجامعة ، ان مصر لها الفضل !

وفى هذا اليوم كان من المقرر أن يرأس الشيخ عبد الباسط عبد الصمد جلسة القراء .

وكان مثيرا لمشاعر وغيظ مسلمى الهندحين قاطع بعض العرب هذه الجلسة القرآنية وحاولوا منع الشيخ عبد الباسط من القراءة لكن الوفد المصرى استطاع هنا أيضا أن يضع مصر فى مكانها الصحيح .

وقرأ الشيخ عبد الباسط وجلس المليون ونصف المليون فى خشوع يستعيدون الشيخ عبد الباسط فى أدب وخشوع .

وما أن فرغ من القراءة حتى تعالت صيحات مليون ونصف (الشيخ عبد الباسط زند اباد) « مصر زند اباد » أى تحيا مصر الى الأبد .

وبصعوبة كنا نخرج من السرادق الأعظم أو نشق طريقنا فقد كانت الآلاف المؤلفة تحيط بالدكتور الوزير عندما تراه وبالشيخ عبد الباسط عبد الصمد والوفد المصرى .

....

وهناك أشياء أخرى ..

انها مكانة مصر فى وجدان المسلمين رغم كل شىء .

ومع ضيق المساحة المخصصة لهذا المقال أشعر أنى لم أقل شيئا رغم أن هذه المقدمة كانت ضرورية .

وأرجو الا يكون ذلك عجبا من عجائب الهند ..

على كل حال لنا مقالات أخرى عن وفد مصر وما لاقاه فى لكهنو وباكستان .

فلقد تركنا ديوبند الى لكهنو بدعوة من ندوة العلماء فى لكهنو وأمينها العام الامام المفكر الشيخ ابو الحسن الندوى .

وفى ضيافة ندوة العلماء والشيخ ابى الحسن الندوى وخطبته عن مصر وكلمة الدكتور الوزير ما يستحق التسجيل لأنه شهادة عن دور مصر الاسلامية وامكاناتها وأمانتها تعلو على كل مزايدة او مناقصة من مزايدات ومناقصات الذين لا يعقلون .

عبد المعطى بيومى

الحياة في

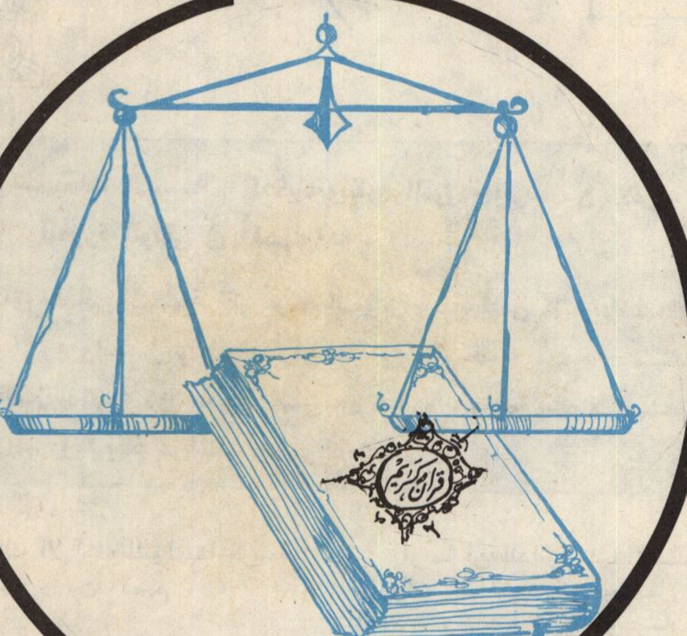

ظلال التشريع الإسلامي

حماية الإسلام للدائن والمدين

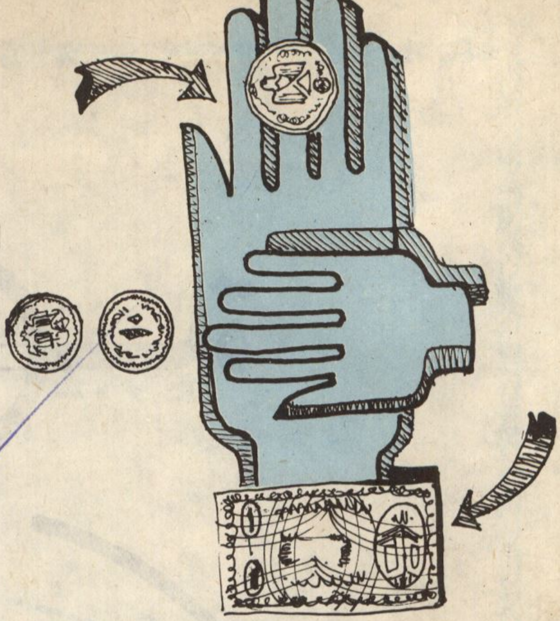

الدكتور عبد الفتاح الدماصي

ما اجمل تشريعات الاسلام الحكيمة ونظمه القويمة يقرب بين الأفراد وتعقد اواصر المحبة والعروة الوثقى فى المجتمعات .

يلهم الخلائق المعانى السامية التى تزكى النفوس وتنقيها من كل ريبة فتجلو صدأها وتمسح غبار الأثرة والغل وتطفىء نيران العداوة والبغضاء . فقد تشتد الحاجة بقوم ويمتد الفقر بما فيه من مآسى وضنى بين حياتهم ، وربما أنهم لا يجدون ماوى يأويهم وقوتا ضروريا يطفىء غلتهم ويمحو كآبتهم .

ولا حيلة لهم حينذاك الا أن يطلبوا يدا كريمة تخفف عنهم بلواهم وتسرى من آلامهم .

وذلك لا عن طريق السؤال الذليل وطلب الصدقة التى تعف عنها نفوسهم وتربأ بها ضمائرهم وتمقتها آدميتهم التى تأبى كل الاباء ان تعيش كلا على الغير .

ومن ثم هم يطلبون المداينة فيذهبون الى أهل الثراء وأصحاب المال الموفور من أجل أن يحصلوا على مال يكون فى ذمتهم دينا يردونه الى أصحابه متى استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وهنا يكون موقف الاسلام صائبا فكما يحمى المدين يحمى الدائن . فالمدين وهو المضطر اضطرارا لأن يقترض ما يعفه عن السؤال ويدفع عنه الحاجة ويحمله على الكسب المشروع والعمل الشريف متمثلا قول الرسول عليه الصلاة والسلام (أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده) .

ولربما أن الدائن قد تدفعه نزعاته الشريرة ونزواته الطائشة لأن يستغل ضيق يده وفقره الشديد وحاجته الملحة وحياته الكئيبة فيتسلط عليه تسلطا غير شريف بما يفرضه عليه من فروض قاسية والتزامات تنم عن روح ممقوتة .

فيأبى كل الاباء ان ينفس عن أخيه كربته الا اذا كان له عوض جسيم عما قدمه له من مال .

فالمدين لا يوفى الدين فحسب بل لابد من أن يزيد عليه زيادة فرضها الدائن المستغل المستبد.

ترى أيترك الاسلام هذا المديون تحت طى ركاب الاستغلال ومناط القسوة الرهيبة ونير الظلم الفاحش أم أنه يضع حدا فاصلا به ينتشل هذا المغلوب على أمره وينقذ صاحب الحاجة المعسر ؟

لقد رقق الاسلام قلوب الأغنياء حتى دعاهم اولا لمعونة أصحاب الحاجة والتنفيس عن آلام

المسلمين ومشاركة وجدانهم فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه .

ورأينا الاسلام ثانيا يتوعد اشد التوعد هؤلاء الجفاة الذين انتزعت الرحمة من قلوبهم فكان الظلم والاستغلال وحب المال ديدنهم .

اذ ان الله عز وجل يخيب آمالهم التى انبثقت من طمع فى المال وحرص على كثرته وبقائه .

الفرق بين الصدقة والربا :

يقول الله تبارك وتعالى **(يمحق الله الربا ويربى الصدقات)** .

على معنى أنه يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ، وعن ابن مسعود **(الربا وان كثر الى قل)** .

فقد يظن أن الربا زيادة للمال والصدقة نقص له والحقيقة غير ذلك فما يتصدق به يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه ، ففى حديث أبى هريرة **(ما نقصت صدقة من مال)** .

على أن مال المرابى وان كثر شكلا فلا نفع فيه لصاحبه ، ولا جدوى لأحد من ورائه كما يبدو من حدث معراج الرسول عليه الصلاة والسلام فالرسول شاهده يسبح فى بحر من دماء ، ومن المعلوم أن الدم خارج البدن على ما فيه من اشمئزاز النفس له لا خير فيه ، أما فى داخل البدن هو وريد الحياة ورحيقها .

وعلى ما هو معلوم من أن المرابى مخلد فى النار يوم القيامة اذا مات على جرمه **(ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** .

فانه يقوم من قبره وكأنه يحس بصنيعه وجرمه الدنيوى **(الذين ياكلون الربا لا يقومون — اى اذا بعثوا من قبورهم — الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)** .

فهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين وتلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف .

وقيل ان الذين يخرجون من الأجداث يوفضون الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض .

وأى توعد أشد من توعد الله لهم فى قوله : **(فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله)** .

تلك نظرة الاسلام حيال المستغل وهو غالبا ما يكون الدائن .

حماية الاسلام للدائن :

ولكن الاسلام لا يقف بجانب فئة ويترك فئة أخرى فهو صاحب نظرة شاملة ورعاية للناس جميعا .

ومن ثم حافظ على الدائن أيضا وحاول بتشريعاته الحكيمة أن يحميه ويحافظ على ماله من عبث بعض المدينين الذين قد يستغلون رقة قلب الدائن وصفاء نفسه وقوة عاطفته المتأججة بالايمان المتعاطفة مع الناس الميالة للخير .

وهذه الحماية الاسلامية للدائن تناولت جوانب عديدة ومنها :

أولا : انها رغبت هؤلاء المعسرين فى سداد ديونهم وحذرتهم من ضياع مال الغير .

يقول الله تبارك وتعالى **(ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها)** ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام **(من اخذ اموال الناس يريد اداءها أدى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها أتلفه الله)** — **(مطل الغنى ظلم)** — **(لى الواجد يحل عقوبته وعرضه)** .

قال أبو سفيان عرضه يقول مطلتنى وعقوبته الحبس .

ولعظم الدين كان الرسول لا يحب أن يدخر شيئا الا مالا يسد به دينا كما هو مفهوم حديث أبى ذر القائل كنت مع النبى عليه الصلاة والسلام فلما أبصر يعنى أحدا قال ما أحب أنه يحول لى ذهبا يمكث عندى منه دينار فوق ثلاث الا دينارا أرصده لدين ثم قال ان الأكثرين هم الأقلون ... الخ .

كما كان الرسول كثيرا ما يستعيذ بالله من شر المغرم فتذكر السيدة عائشة أن رسول الله كان يدعو فى الصلاة ويقول (اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) .

وأى ضمان أشد من وصول الدين الى صاحبه وقد تجوز له فى قوة طلبه حتى حكى أبو هريرة أن رجلا تقاضى رسول الله فأغلظ له فهم أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فأعطوه اياه وقالوا لا نجد

الا افضل من سنه ، قال اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء .

كما أن الدائن أحق بماله من غيره متى وجد كما هو مفهوم حديث أبى هريرة (من ادرك ماله بعينه عند رجل أو انسان قد أفلس فهو أحق به من غيره) .

وفى قول الله تبارك وتعالى **(من بعد وصية يوصى بها أو دين)** ما يؤكد حماية الاسلام لدائن فلا تركة الا بعد سداد دين .

وفى حديث ابن كعب أن جابرا أخبره أن أباه قتل يوم أحد شهيدا وعليه دين فاشتد الغرماء فى حقوقهم فأتيت النبى فسألهم أن يقبلوا تمر حائطى ويحللوا أبى فأبوا فلم يعطهم النبى حائطى وقال سنغدو عليك فغدا علينا حين أصبح فطاف فى النخل ودعا فى ثمرها بالبركة فجدوتها فقضيتهم وبقى لنا من ثمرها .

ثانيا : حماية الدائن بطرق تكفل اثبات الدين وتتأكد بكتابة الدين المؤجل **(يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه)** .
وأن يكون الكاتب مأمونا على ما يكتب لا يشك فى ذمته **(وليكتب بينكم كاتب بالعدل)** .

وأن يملل المدين **(وليملل الذى عليه الحق)** على معنى لا يكن الملى الا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به وذلك ادعى لثبوت الحق ، والاملال والاملاء لغتان نطق بهما القرآن . اللهم الا اذا كان المدين محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف ، أو صبيا أو شيخا مختلا أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به أو خرس أو اى طريق من طريق العجز .

اذا كان ذلك حال المدين فوليه ينتقل اليه الاملال **(فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل)** .

ولكى يتأكد ثبوت الحق عن طريق الكتابة لابد من شهيدين من الرجال أو رجل وامرأتين **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء)**

ومعنى من رجالكم أى من رجال المؤمنين ، والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء ، وعن على رضى الله عنه لا يجوز شهادة العبد فى شىء وعن ابن سيرين أنها جائزة ، ويجوز عند أبى حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف فى الملل .

شهادة النساء :

ومن الثابت أن لا شهادة للنساء فى الحدود والقصاص لأن فيها شبهة البدلية لقيامها مقام الرجل فلا تقبل فيما يندرىء بالشبهات .

ولحديث الزهرى مضت السنة من لدن رسول الله والخليفتين من بعده أن لا شهادة للنساء فى الحدود والقصاص .

ويرى الامام الشافعى أنه لا تقبل شهادة النساء مع الرجال الا فى الأموال وتوابعها كالاعارة والاجارة ... الخ .

واستدل بأن الاصل فى شهادتهن عدم القبول لنقصان العقل واختلاف الضبط وقصور الولاية فانهن لا يصلحن للامارة .

ولأن الأصل عدم القبول لا تقبل فى الحدود ، ولا تقبل شهادة الأربع منهن وحدهن الا أنهن مستثنيات من ذلك الأصل فى الأموال ضرورة احياء حقوق العباد لكثرة وقوعها فلا يلحق بها ما هو اعظم خطرا واقل وجودا كالنكاح والطلاق والرجعة والعفو عن القصاص على خلاف ماذهب اليه بعض الفقهاء من أن يقبل شهادة رجلين أو رجل وامرأتين سواء كان الحق مالا أو غير مال مثل النكاح والطلاق والوكالة والوصية والنسب .

فشهادة النساء جائزة مع الرجال فى الحقوق المالية بالاجماع وذلك منعا من ضياع حقوق العباد .

ونقصان الضبط بزيادة النسيان انجبر بضم الأخرى .

ويرى بعض المحدثين أن ضلال المراة ينشأ من قلة خبرتها بموضوع التعاقد مما يجعلها لا تستوعب كل وقائعه ومن ثم لا يكون من الوضوح فى عقلها بحيث تؤدى عنه شهادة دقيقة عند الاقتضاء فتذكرها الأخرى بالتعاون معا على تذكر ملابسات الموضوع كله .

والذى أراه أن طبيعة المراة الانفعالية مما يجعلها اشد استجابة لما يدور حولها تفرض عليها أن تنضم امراة أخرى حتى يكمل أحدهما الآخر . وقد تتعذر الكتابة لأمر ما فيوجد الشاهد دون الكاتب أو يوجد الكاتب دون الصحيفة والدواة وذلك فى حالة السفر والأمور الطارئة وحين ذاك يكون الرهن بديلا عن الكتابة ضمانا للدين وتأكيدا لوصول الحق الى صاحبه **(وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة)** .

للمقال بقية ص ٩٦

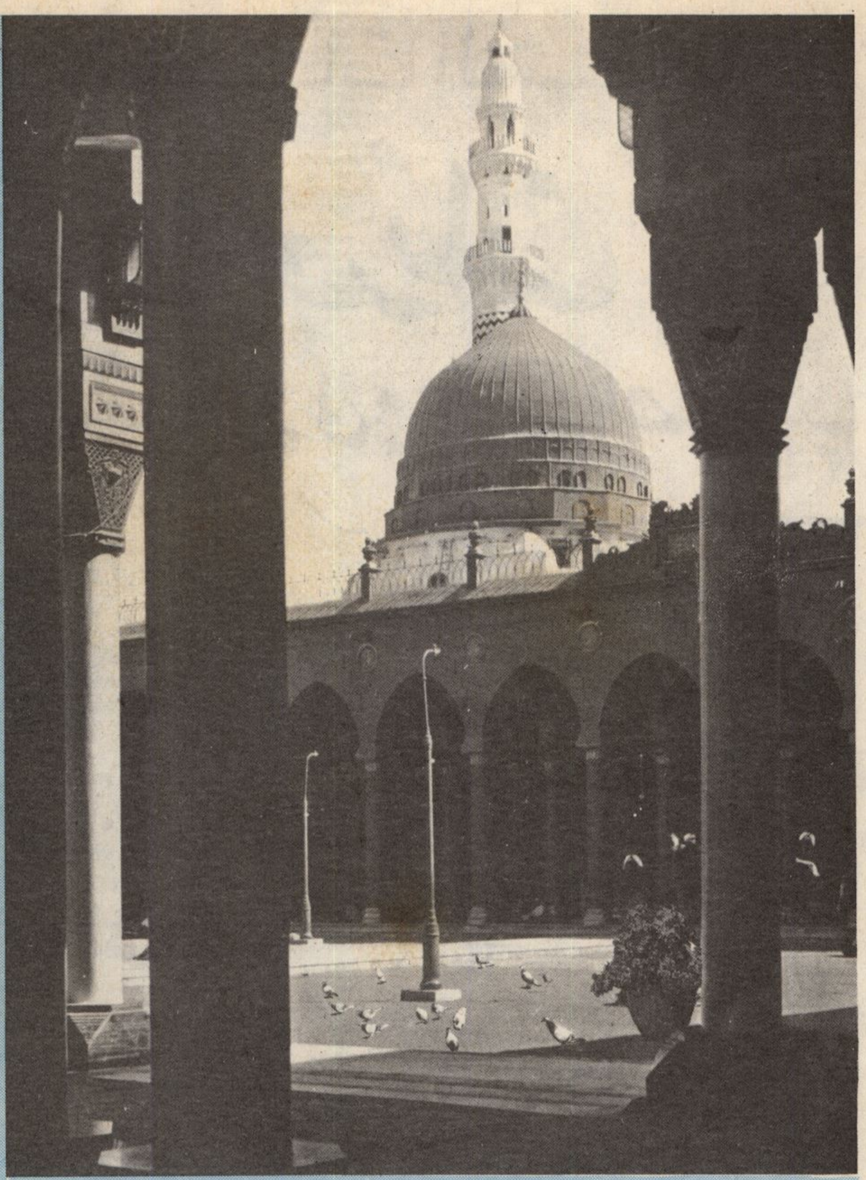

السيرة

طبقـــات النســـاء

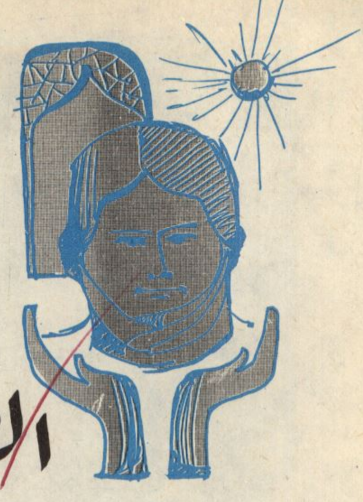

المحدّثات

الطبقة الأولى: طبقة الصواحب

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

تنبيه واعتذار :

ليس فى وسع مقال واحد من أسطر محدودة، أو كتاب من صفحات معدودة ، أن يستوعبا أخبار صواحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبعض أحاديثهن التى روينهـا ، فصـار من الاضطرار أن نجعل الكلام فى مقالهن كأنه رمز أو اشارة اليهن .

ومصنفات الأئمة القدامى — أحســن الله جزاءهم — قد أوسعت البحث والتنقيب عنهن ، واستوعبت أخبارهن استيعابا جامعا ، فصار من باب التدليس أن يدعى مدع فى عصرنا أنه يبدأ الكتابة عنهن دون أن يرجع الى ما دون أولئك الجهابذة فى المصنفات ، أمثال الاستيعاب لابن عبد البر والاصابة لابن حجر العسقلانى وأسد الغابة لابن الأثير .

وحتى لو رجع محقق من المحدثين الى هــذه المصنفات فانه لن يظفر بغير زاد قليل من الحديث المروى عنهن ، فصار لزاما عليه أن يذهب وراء كتب المسانيد والصحاح والسنن والمستدركات والجوامع وغيرها ، فى عصور شتى ، وهـو ما ينزع القوى الجرىء ، حين يرى أنه معجـز لجماعة كبيرة من كبار العلماء .

ولمـا كان هذا أشبه بارادة الصعـود الى الكواكب ، وحتى بالاتها المعدة للصعـود ، فقد فضلت أن أظل على أرضى ، مكتفيا بالنظـر الى أضواء النجوم ، متحدثا عنها حديث من يراها من بعد بما أقتدر عليه من مناظير .

وقد قسمت الكلام عن هذه الطبقة قسمين: من الف وباء ، فجعلت بيان الألف وصفا عاما لأهل الطبقة ، وهو ما بسطته هنا فى هذا المقال، وجعلت بيان الباء أمثـلة للمكثرات من الرواية والمتوسطات فيها ثم المقلات منها فصواحب الآحاد ، مع ذكر بعض أخبارهن المتصلة برواية الحديث ، وأجلت هذا القسم الثانى الى العدد القادم من هذه المجلة . والأمل والعـون من الله .

صنوف الصواحب

اشتهر بعض صواحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالأسماء وحدها ، أو بالأسماء والألقاب والكنى ، أو بالكنى وحدها ، وعرفت أنسابهن الى الآباء والأمهات والجدود فى سلاسل تقصر أو تطول ، كما جهلت أنساب بعضـهن ، أو أعيانهن غير مجرد اسم أو كنية ، ولكن الجهل بهن لم يقف حائلا بين قبول رواياتهن للقـاعدة التى أقرها جمهور أهل الحديث من أن الصحابة كلهم عدول — والنساء فى هذا الحكم كالرجال سواء جهالتهن مغتفرة عند الجمهور(١) .

ومثال المشهور بالاسم عائشة ، وبالاســم واللقب عائشة الصديقة . ومثال المشهور بالاسم والكنية هند بنت أبى أمية أم سلمة . ومثـال المشهور بكنيتها لا غير أم حبيبة . ومثال المجهولات أم العلاء(٢) .

ولم تدع كتب الطبقات واحدة منهن دون أن تؤرخ لها بالقدر الذى عرفه المصنف عنهـا ، حتى لو كان مجرد بيعة باشارة اليد ، لأنه —

(١) نيل الاوطار ج ٢ ص ٢٧٤ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٥٩ .

صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن يصافح النساء ، كما جاء فى حديث أميمة بنت رقيقة ، وقد روى عنها هذا الحديث من غير طريق(١) .

وأوضح ما عرف من صنوفهن ما جاء فى طبقات ابن سعد كاتب الواقدى ، فقد قسمهن الى أربعة اقسام :

أولها : من قريش وحلفائها ومواليها ثم غرائب نساء العرب ــ أى اللائى تزوجن فى قريش ومكة .

وثانيها : من غرائب المهاجرات . وهن من اهل البوادى والنواحى والقرى غير مكة .

وثالثها : من قبائل الأنصار . وهن أكثر الصواحب عددا فى زمن النبوة .

ورابعها : نساء ادركن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يروين عنه ، وبعضهن روى عن أزواجه .

وقد أفرد صاحب الطبقات لكل واحدة من هذه الأصناف سطورا تكثر أو تقل بحسب ما وصل اليه من العلم عنها ، وفرج ابن سعد فى كثير منهن بين اسمها ونسبها وأحوالها ، وبعض ما روت من حديث ، فان لم تكن لها رواية اكتفى بقوله : أسلمت وبايعت .

وحين يروى ابن سعد حديثا لاحداهن يرويه بضلعيه : من السند والمتن ، اذ كان الاهتمام بالاسناد فى الحديث شرطا لازما عند جهابذة الحديث ، اختص به المسلمون من بين أصحاب الديانات كلها ، وصار الاسناد عندهم من الدين ، وقد بدأ التوصية به على بن ابى طالب ــ رضى الله عنه ــ(٢) ، ولأنه الشهادة بصحة المتن الذى هو حكم مقضى به ، ولا حكم الا بعد شهادة العدول الموثقين .

فضل الطبقة

وأول فضل لهذه الطبقة أن كان منها أمهات المؤمنين . وهن اللائى أنكببن على آيات الله والحكمة انصياعا لأمره تعالى فى قوله :

« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »(٣) .

وقد بلغن عن البيوت والحجرات أحوال العيش والسلوك طول مدة النبوة ، لم تكتم احداهن شيئا ، لأن أحوال بيوتهن صارت مصادر شريعة، على كل البيوت أن تتبعها ــ فيما تطبق . فى كل البلدان وكل الأزمان ، وقد صارت بها الخفايا معلنة والعقد محلولة ، وصارت الحيرة اطمئنانا والقلق استقرارا .

ثم انهن ضربن الأمثال للأمة ولنساء الأمم فى الصبر على الشدة **وكبت الغيرة** والوفاء للعهود . ثم جعلن من بعد ترملهن يراقبن أحوال الأمة ، من الرأس الى القدم ، فأصلحن وهم الصحابى ان وهم ، وحاسبن المخطىء ان أخطأ ، وعدلن سلوك من أسرف ، وأجبن السائل ان احتار .

ومثال اصلاح الوهم ما أصلحته عائشة لابن عمر ، وقد كان قد وهم فقال : ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اعتمر أربع عمر احداهن فى رجب ، فقالت عائشة : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط(٤) .

ومثال تنبيه المخطىء تنبيه عائشة أبا هريرة بأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن يسرد الحديث كما يسرده(٥) اذ سرده الاستعجال فى ادائه مذهب لرونقه وبهائه ، وقد وصفته أم معبد تقول : وكأنما منطقه خرزات عقد يتحدرن(٦) .

ومثال تعديل سلوك من أسرف ما حدث بين عائشة ــ رضي الله عنها ــ وابن ابى السائب قاص أهل المدينة :

قالت عائشة لابن ابى السائب قاص أهل المدينة : ثلاثا تبايعنى عليهن فاجزتك .

قال : ما هن ؟ بل أبايعك يا أم المؤمنين .

قالت : اجتنب السجع من الدعاء ، فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك . وقص على الناس فى كل جمعة مرة ، فان أبيت فثنتين ، فان أبيت فثلاثا ، فلا تمل الناس هذا الكتاب . ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى حديث من حديثهم فتقطع عليهم حديثهم ، ولكن اتركهم فاذا جرءوك عليه وامروك به فحدثهم(٧) .

---

(١) المسند ج ٦ : ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٢) كنز العمال ٤ : ٥٧ عن ابى نعيم فى الحلية وابن عساكر ــ الجابذة وعلوم الحديث ص ٣١
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .

(٤) الاجابة ص ١٠٤،١٠٥ــالبخارى ٢ : ٢١٢ ، ٢١٣ .
(٥) النهاية فى سرد الاجابة ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٦) رسول الله وخاتم النبيين ص ٢٧ .
(٧) المسند ٦ : ٢١٧ .

اما أمثلة اجابة السائل فهى أمثلة لا تحصى .

وأم سلمة لم تعف عائشة من العتب حين خرجت تطلب من على قتلة عثمان . ومع أن اتجاهها الى على بهذا الطلب كان توثيقا لاعترافها بامامته ، فان ام سلمة لم تعفها من العتب فأرسلت اليها تقول :

انك سدة بين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبين أمته — أى باب — فمتى أصيب ذلك الباب بشىء ، فقد دخل على رسول الله — فى حريمه وحوزته واستبيح حماه ، فلا تكونى أنت سبب ذلك الخروج الذى لا يجب عليك ، فتحرجى الناس الى ان يفعلوا مثلك(١) .

بل ان أم سلمة جعلت تراقب الصحابة جميعا حسبانا لقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن من أصحابى من لا يرانى بعد أن فارقنى .. فلما رأت أم سلمة ما حدث بعده باتت غير راضية عما تحول اليه الناس ، ولم تعف أحداً من اللوم مهما كان مكانه من الصواحب أو الأصحاب .

هذه أمثلة من فعل اثنتين من أمهات المؤمنين ، ولن يستطاع احصاء فضلهما كله ، فكيف بفضل الزوجات جميعهن ؟ ولن يعجز الباحث أن يضرب من كل واحدة منهن بمثال .

اما الصواحب الأخريات ، من غير الزوجات ، فقد كان فضلهن على أنفسهن وعلى الأمة كلها فى أمور :

أولها : ان كن من السابقات اللائى فزن بمدح القرآن لمن دخل فى درجة السابقين من المهاجرين والأنصار .

وثانيها : انهن فزن برؤية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فظفرن بالدخول فى مدحه بقوله **« طوبى لمن رآنى »** .

وثالثها : اذاعة المسائل المتفرقة فى الشريعة، وما من امراة الا كان لها سؤال فى أمر من الأمور ظفرت بجوابه من النبى — صلى الله عليه وسلم — أو من زوجاته ، فانتفعت به وانتفع به من وراءها من نساء المسلمين .

ورابعها : فضلهن فى أنفسهن وعلى جنسهن وامتيازهن على الرجال ، فان واحدة ممن أسلم وبايع لم ترتد قط عن الاسلام ، لا فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — ولا بعد موته ، بينما ارتد بعض الرجال فى حياته — عليه الصلاة والسلام — كعبد الله بن جحش وابن خطل ، بل كادت الجزيرة كلها أن ترتد بعد موته ، الا النساء اللائى أسلمن وبايعن ، فان واحدة منهن لم ترتد قط .

(١) النهاية ٢ : ٣٥٣

بل اننا لنرى منهن من كادت أن تكون يد بطش قوية فى نصرة الاسلام ، وفى مثل ما فعلت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط من ابطال عقد الحديبية الجائر ، وفيما فعلت سفانة بنت حاتم من دفع أخيها عدى الى السرعة والارتماء بين يدى النبى فى المدينة بدل أن يهدر دمه ، وفيما فعلته تماضر بنت عمرو بن الشريد من دفع أولادها الأربعة الى الاستشهاد فى القادسية والفرح والفخر بموتهم بعد أن كانت ملأت جو الجاهلية صراخا وعويلا على اخويها صخر ومعاوية ، اللذين كان كل الفخر بهما من وراء البغى والنهب والعدوان — فى مثل هذه الروائع تبدو للعيون بعض ما أرسل الصواحب فى الكون من مفاخر وأضواء .

بين الرؤيتين :

وقد حدث فرق بين الرؤية المنسوبة للرجال والرؤية المنسوبة للنساء ، ولا سيما بعد أن نزل أمر السماء بضرب الحجاب ، فقد كن قبله سافرات ، ثم صرن بعده الى طائفتين فى ضربه ما بين حرائر وما بين اماء .

ولم يكن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يصافح أحدا منهن اذا بايعت ، وذلك قوله : « أنا لا أصافح النساء ان سلامى على امراة كسلامى على مائة امراة »(٢) .

ولم يكن يتسنى لهن جميعا ان ينطلقن كلما اردن لقاء النبى كما ينطلق الرجال .. وهذا امر من الفطرة — فكان أكثرهن حظا من الملاقاة من كان لها صلة قرابة او صهر او صحبة للزوجات او قرب من المسجد او من تجد فى نفسها مسألة لا يشفيها الا جواب حاسم من الرسول .

واحسن الصواحب حظا فى الرؤية وتكررها نساء أهل المدينة من انصاريات ومهاجرات فقد كن رائحات الى المسجد وغاديات ، ووراء ستر من الحجاب المضروب والآداب المفروضة ، لاينضح

(٢) المسند ٦ : ٣٥٦ ، ٣٥٧ وهو حديث أميمة بنت رقيقة كما سبقت الاشارة اليه .

منهن عطر فى الطريق . فاذا كن بالمسجد فى صلاة الفجر ــ وكان ذلك فى الغلس قبل أن يسفر الصبح ــ ولا يخفى أن الغلس حجاب ــ وهى كانت صلاة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كن كما قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : « كن نساء المؤمنات(١) يشهدن مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن(٢) ثم ينقلبن الى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس(٣) .

وقد اختلفت أوقات رؤيتهن للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين الطول والقصر ، ولعل أقصر أوقاتها كان لمن ظفر بها من نساء الأعراب مرة واحدة فى حجة الوداع . ثم ان زمن الصحبة لهن كان الى ما بعد عصر النبوة بمائة عام ، كما هو معروف فى ضرب زمن الصحبة للرجال(٤) .

وقد أذن الله أن يتفرق كثير من الصواحب فى البلدان اثر الفتوح فانتشرت بهن السنة ، حين بقيت لجة الصحابيات بالمدينة ومكة ، وحظيت الحبشة بكثير من السابقات للاسلام كأم حبيبة مع زوجها سنى الحظ عبد الله بن جحش ، وأسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن ابى طالب .

ثم ظفرت الكوفة والبصرة والشام ومصر باعداد منهن وفضل ، وان كان غاب نشره والعلم به لوقوع البلدان فى الفتن والحروب .

اعداد الأحاديث

ولم يرو احد من الصواحب اكثر مما روت عائشة ــ رضى الله عنها ــ بل ولا قريبا مما روت ، فانها معدودة من أصحاب الألوف ، ولم يزد عنها غير ابى هريرة . وقد احصى لها ابن حزم فى جوامع السيرة عشرة احاديث ومائتى حديث والفين ، ولم يلها فى الاحصاء من الزوجات امهات المؤمنين غير أم سلمة هند بنت أبى أمية ــ رضى الله عنها ــ فقد احصى لها ابن حزم ثمانية أحاديث وسبعين حديثا وثلثمائة .

وبلغت عائشة بين الصحابة والصواحب جميعا ــ بما حفظت ووعت واقتدرت ــ قمة الفتوى ، وفى اثرها ــ فى الافتاء أيضا ــ أم سلمة ، وذلك لأن عائشة كانت أصغر الزوجات سنا ، فأدركت سن الحفظ ووعى المفردات ، فلما جمعت وكبرت كان لها شأن الحافظ ومقام الفقيه ، ثم كانت أم سلمة قد أسلمت قديما ، ثم تزوجت من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهى فى التاسعة والعشرين من عمرها ، فلحقت بعائشة فى الحفظ والفقه .

وعاشت الزوجتان بعد النبى سنين طويلة ، احتيج لعلمهن فيها . فكن مثل العبادلة وجابر ابن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وأمثالهم ، ممن مات رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم فى بداية السن والقدرة على الحفظ والوعى، والحظ فى طول الأداء والابلاغ .

ومن بعد هاتين انخفضت أعداد الرواية الى ما دون المائة ، من الأمهات : ميمونة وأم حبيبة وحفصة وزينب . ثم الى العشرة فما دونها من صفية وجويرية وسودة . ثم لم يعرف لخديجة الا حديث واحد .

وهذه الفروق فى الروايات كانت بحسب السن والوعى ، والجدة والقدم ، والالتحاق ببيت النبوة فى أحوال مختلفة ، وامتداد نسب الزوجة او قصر امتداده .

واشترك بعد هؤلاء أقارب الرسول وأصهاره ونساء الأنصار فى الأعداد ما دون المائة وفوق العشرة . **ومن الاقارب فاطمة الزهراء وضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب وأم هانىء ثم اسماء بنت ابى بكر واسماء بنت عميس واختها من امها أم الفضل بنت الحارث وزينب بنت ابى سلمة .**

ومن نساء الأنصار أسماء بنت يزيد بن السكن الأشهلية خطيبة النساء وأم عطية والربيع بنت معوذ بن عفراء وأم سليم وأم حرام ابنتا ملحان وفاطمة بنت قيس وأم قيس بنت محصن .

وقد احصى احمد فى مسنده من الصحابيات اللائى روين الحديث واحدة واربعين امراة ومائة صحابية ، فيهن عدد كبير ممن لم يرو غير حديث واحد ، ذكر بعضهن ابن حزم فى جوامعه دون ذكر الأحاديث .

وهكذا أسهمت الصواحب كالأصحاب فى فضل الراوية والحفظ والوعى والأداء والابلاغ فكان فضل انتشار الشريعة السمحة لهما معا ، ومضت الطبقة الأولى فى ظلال الرضوان الذى أسبغه الله على أهل السبق الى الاسلام ــ فرضى الله عن الصحابة والصواحب أجمعين .

والى العدد القادم ــ ان شاء الله ــ حيث يكون ذكر عدد من الصواحب بأسمائهن. وما أدين من حديث وبلاغ . وبالله العون وبيده السداد .

---

(١) نساء المؤمنات : اى فاضلاتهن، نيل الأوطار ٢ : ٤٢٠ .
(٢) المروط : الأكسية المخططة من خز أو صوف أو غيرهما.
(٣) كثير من العلماء الخلاف فى الاثواب التى كن يرتدينها فى الفجر ، ورأى النووى والباجى أن قول عائشة يشير الى انهن كن سافرات اذ لا يحجب الرجال عن معرفتهن باعيانهن الا سواد الناس ــ ملخص عن نيل الأوطار ٢ : ٤٢ .
(٤) البداية فى معرفة الحديث والأمر ص ١٠٨ .

الأسوة الحسنة

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

تحت هذا العنوان . ذكرنا بعض شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم واقواله الشريفة .. وأعماله السامية وأدعيته الرائعة . رجاء أن نقتدى ونتأسى به . امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز حيث يقول سبحانه ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) من الاية ٢١ من سورة الأحزاب ..

ونحن بفضل الله تعالى ومعونته وتوفيقه — نتابع الكلام فى ذلك فنقول وبالله التوفيق :

كان صلى الله عليه وسلم يكثر من دعائه بقوله ((**ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**)) روى ذلك الشيخان البخارى ومسلم وابو داوود والحاكم رحمهم الله. عن أنس رضى الله عنه — وهذا الدعاء جزء من الآية ٢٠١ من سورة البقرة ..

والحسنة فى الدنيا هى نعم الله تعالى من الصحة والعلم النافع والنفقة فى الدين والأمن والنصر على الأعداء وفعل الخيرات والرزق الحلال الطيب وغير ذلك من نعم الله الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى . يقول جل ذكره وهو أصدق القائلين ((وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) من الآية ٣٤ من سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ...

ومن أعظم هذه النعم . الزوجة الصالحة . روى الامام مسلم رحمه الله عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (الدنيا متاع . وخير متاعها المرأة الصالحة) ويقول صلى الله عليه وسلم ايضا (ما أعطى الله المؤمن خيرا له بعد تقوى الله تعالى من زوجة صالحة . ان أمرها أطاعته . وان نظر اليها سرته . وان أقسم عليها أبرته . وان غاب عنها حفظته فى نفسها وما له) ..

والحسنة فى الآخرة هى الجنة ونعيمها الخالد المقيم .. ومن أعظم النعم التى يتفضل المولى سبحانه وتعالى بها على أهل الجنة فى الجنة .. النظر الى وجهه الكريم .. قال المفسرون فى قوله تعالى متحدثا عن أهل الجنة ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) من الآية ٢٦ من سورة يونس عليه الصلاة والسلام . قالوا الحسنى الجنة . والزيادة النظر الى وجه الله الكريم . ونقل

ذلك عن عدد من الصحابة . منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الأشعرى رضوان الله عليهم — كما نقل عن أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى ((**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**)) فقال ((**الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم**)) .. فسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المحسنين الذين يتمتعون بالنظر الى وجهه الكريم فى جنة الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ..

والأدعية القرآنية كثيرة . ومن الخير أن يدعو بها العبد ، فان لها سرا خاصا ، وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو بها ..

كما أن الأدعية المأثورة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة . ومن الخير أن يدعو بها العبد أيضا — وقد ذكر الامام النووى رحمه الله فى كتابه (الاذكار) الكثير منها ..

من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

وكان من أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم قوله (يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك — فقيل له فى ذلك — أى سئل عن سبب اكثاره من هذا الدعاء — **قال انه ليس آدمى الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الرحمن . فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ)** أخرجه الترمذى رحمه الله . عن أم سلمة رضى الله عنها ..

ومعنى أقام . اى ثبت على الهداية والدين الحق — ومعنى أزاغ ضل وغوى .. نسأله سبحانه وتعالى أن يثبت قلوبنا على دينه . والا يزيغها بعد أن هداها اليه بفضله واحسانه ورحمته ..

ومن أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم الرائعة . دعاء الطائف المشهور . ذلك انه لما مات عمه أبو طالب . والسيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها فى عام واحد . سمى عام الحزن . اشتد ايذاء قريش له صلى الله عليه وسلم . وزاد ايلامهم له وتجرؤهم عليه .. فرأى أن يسافر الى الطائف وعرض على ثقيف الاسلام وطلب منهم النصرة على قريش وتأييده فى دعوته . ولكنهم لم يستجيبوا له . وقاطعوه وهزأوا به . وسخروا منه ، وسلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة . فلما اشتدا لهم به . لجأ الى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة . ليستريح مما حل به من الم ونزل به من تعب .. فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن تبعه منهم . ثم انه صلى الله عليه وسلم جلس فى ظل عنبة . وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما حل به — فلما اطمأن أخذ يدعو بهذا الدعاء .

دعاء النبى فى الطائف

(اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى . وقلة حيلتى . وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين وأنت ربى . الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى .. أم الى عدو ملكته أمرى . ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى . ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . من أن ينزل بى غضبك . أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة الا بك) صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد أن دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء الرائع . وتضرع الى ربه عز وجل . ساق اليه الحق تبارك وتعالى أمرين عظيمين تسريه لأحزانه . ونصرا له فى محنته . وتأييدا له فى دعوته . وتقوية له على الاضطلاع بها .

حـوار لطيـف

الأمر الأول : ان ابنى ربيعة صاحبى هذا البستان الذى استظل بظله .. وأخذ يناجى ربه ويضرع اليه فيه بهذا الدعاء . قد أدركتهما الشفقة عليه . فأرسلا اليه عبدا مملوكا لهما اسمه عداس ومعه قطف من عنب . وكان هذا العبد نصرانيا .. فعندما تناول الرسول صلى الله عليه من هذا العنب وقبل أن يأكل منه قال **(بسم الله)** .. فاذا بهذا العبد ينظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ويقول له **والله أن هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد .. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (ومن أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟) فقال أنا نصرانى من أهل نينوى . فقال له صلى الله عليه وسلم (من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟) فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم (ذاك اخى كان نبيا . وانا نبى) حينذاك اكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه .. وكان ابنا ربيعة ينظران هذا المنظر الرائع ..** فقال أحدهما للآخر .. لقد افسد هذا الرجل علينا هذا الغلام .

ولما عاد اليهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ .. فقال لهما عداس .. يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل .. لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى .. فقالا له ويحك يا عداس . لا يصرفك عن دينك . فان دينك خير من دينه ..

وهكذا أسلم عداس وآمن بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وهو فى هذا الموقف الشديد . وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك سرورا عظيما ..

ايمان الجن بالنبى

الأمر الثانى : انه عليه الصلاة والسلام أثناء عودته من الطائف وهو فى طريقه الى مكة بعد أن يئس من اسلام ثقيف . قام فى جوف الليل على عادته يصلى ويقرأ القرآن . وكان فى موضع يسمى (بطن نخلة) فمر به نفر من جن نصيبين كانوا فى طريقهم الى اليمن . فاستمعوا اليه وهو يقرأ القرآن . فانصتوا اليه وآمنوا به . فلما فرغ من صلاته صلى الله عليه وسلم رجعوا الى قومهم فأبلغوهم ذلك وأنذروهم ودعوهم الى الايمان ..

وقد قص المولى سبحانه وتعالى ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** » **الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من سورة الأحقاف ..**

وهكذا أسلم هؤلاء النفر من الجن وآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم . ودعوا قومهم الى الايمان به .. وسر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم سرورا عظيما ..

والجن خلق من خلق الله : فيهم المؤمن وفيهم الكافر — والمؤمنون منهم يتعبدون بشريعة الله . ويدخلون الجنة ويخلدون فيها — والكافرون منهم يعذبون فى النار ويخلدون فيها .

والمؤمنون من الجن فيهم الطائع وفيهم العاصى وعصاة المؤمنين يدخلون النار جزاء عصيانهم ثم يدخلون الجنة . شأنهم فى ذلك كله شأن الأنس ..

والرسول صلى الله عليه وسلم رسالته عامة للأنس وللجن . والحق تبارك وتعالى قد ذكر فى سورة الجن الشىء الكثير عنهم بقوله « **قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » الخ ما ذكره سبحانه عنهم .

نسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بخير أهل الخير منهم . وأن يحفظنا من شر أهل الشر منهم . وأن يعيذنا من شر كل ذى شر من الجن والانس وسائر مخلوقاته . انه هو وحده الحافظ الأمين — وصدق سبحانه حيث يقول فى كتابه العزيز « **فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** » من الآية ٦٤ من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام .

والدعاء من أجل أنواع العبادة — والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (**الدعاء مخ العبادة**) وفى رواية أخرى (**الدعاء هو العبادة**) ...

ذلك أن الدعاء يقتضى الاقرار بقدرة الله تعالى التى لا حد لها . وبعظمته التى لا يمكن لمخلوق أن يدرك حقيقتها . وانه هو وحده الذى يقصد فى قضاء الحاجات وتحقيق الرغبات . كما يستلزم الاعتراف بالعبودية الخالصة لله . وبالعجز التام عن عمل أى شىء الا ما قدره الله وأراده . وبأنه لا حول ولا قوة الا لله . فهو وحده صاحب الحول والقوة ..

والله تبارك وتعالى يحب أن يدعوه العباد — والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول (من لم يسأل الله يغضب عليه) . وفى ذلك يقول الشاعر :

لا تسألن بنى آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
فالله يغضب ان تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسأل يغضب

الأماكن المباركة :

والدعاء فى الأماكن الكريمة المباركة . مثل عرفة ، وعند البيت الحرام . وفى الروضة النبوية الشريفة . وفى المسجد الأقصى . وفى سائر بيوت الله وفى كل مكان بنى لعبادة الله — وفى أوقات التجليات الالهية كوقت الفجر وثلث الليل الأخير ويوم الجمعة وفى شهر رمضان . وعندما يفطر الصائم وفى الصلاة ولا سيما فى السجود . له سر عظيم ...

فهذه الأماكن وهذه الأوقات وهـذه الحالات يكون الدعاء فيها أرجى للقبول والاجابة — يقول صلى الله عليه وسلم (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاة**) ..

والله تبارك وتعالى قريب من عباده المتقين — يقول جل ذكره ((**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**)) الآية ١٨٦ من سورة البقرة ...

ويجب على العبد أن يدعو الله تعالى وهو مطمئن وواثق من أنه سبحانه وتعالى سيستجيب دعاءه على الوجه الذى يريده سبحانه — يقول صلى الله عليه وسلم (**ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة**) ...

واستجابة الحق جل وعلا لدعاء عبده يكون باحدى ثلاث ، اما أن يعطيه نفس ما سأله . واما أن يعطيه خيرا منه حسب حكمته وخيرته . فهو سبحانه الحكيم الخبير . واما أن يدخرها له ليوم القيامة العظيم . فالدعاء نافع دائما . والاستجابة واقعة لا محالة . لانه تعالى وعد بها . ووعده لا يتخلف — يقول سبحانه ((**ادعونى استجب لكم**)) من الآية ٦٠ من سورة غافر ...

وليستحضر العبد دائما انه لا يأتى بالخير ابدا الا الله . ولا يكشف السوء أبدا الا الله يقول جل ذكره ((**أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض**)) من الاية ٦٤ من سورة النحل ..

وينبغى للداعى أن يصلى ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء وبعده — فان الصلاة عليه من أعظم القرب وأجل الطاعات . والله تبارك وتعالى يقول ((**ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**)) الاية ٥٦ من سورة الأحزاب .

نسأله سبحانه وتعالى أن يستجيب دعاءنا وأن يجعلنا من عباده المشمولين بفضله واحسانه ورحمته ...

وكان صلى الله عليه وسلم طويل الصمت قليل الضحك — اخرج الحاكم والترمذى والامام أحمد رحمهم الله . عن جابر رضى الله عنه (**أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يضحك الا تبسما**) قال شراح الحديث . أى أن ذلك كان فى أغلب أحواله . فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يضحك بصوت مسموع . .قالوا وجميع الأنبياء والرسل كانوا مثله فى ذلك . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ...

وأخرج الطبرانى رحمه الله . عن جابر بن سمرة أيضا رضى الله عنه (**أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينبعث فى الضحك**) اى لا يسترسل فيه .. بل كان اذا وقع منه ضحك فى بعض أوقاته . فانه لا يسترسل فيه . بل سرعان ما يرجع الى وقاره . قال العلماء . وذلك لشدة خوفه من جلال الله عز وجل . فكان اذا سر من شىء تبسم وضحك قليلا ... لأن كثرة الضحك تميت القلب وتخل بالمروءة . وتتنافى مع مقام الخوف من الله جل وعلا .. وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه رضوان الله عليهم على قلة الضحك . وكان يقول لهم (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**) أخرجه البخارى رحمه الله . عن أبى هريرة رضى الله عنه . نسأله سبحانه وتعالى أن يحيى قلوبنا بذكره وخشيته والخوف منه ...

وكان صلى الله عليه وسلم وافر الرحمة والرأفة . بلغ فى ذلك غاية لم يبلغها سواه — روى الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم رحمهما الله تعالى . عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها (**أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغى للهرة الاناء فتشرب**) ويصغى بالياء والصاد المهملة والغين المعجمة . أى يميل . وذلك لتشرب الهرة من الاناء بسهولة ...

وأخرج الطبرانى فى الأوسط والحاكم وأبو يعلى رحمهم الله . عن سهل بن حنيف رضى الله عنه (**أنه صلى الله عليه وسلم كان يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم**) فانظر رعاك الله الى هذه الرحمة وذلك التواضع الجم . **فالمصطفى صلى الله عليه وسلم الذى هو أفضل خلق الله وسيد الأنبياء والمرسلين يأتى فقراء المسلمين وضعفاءهم ويزورهم فى منازلهم ويعود مريضهم ويدنو منه ويسأله عن حاله ويدعو له بالشفاء ويشهد جنائزهم ويصلى على الموتى . فما أحرانا معاشر المسلمين أن نحرص على ذلك . مهما بلغنا من المنزلة والجاه وعلو القدر** ..

واخرج الشيخان البخارى ومسلم وابو داوود رحمهم الله عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت (**كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم ويدعو لهم**) أى أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يأتى اليه الآباء والأمهات بأولادهم حديثى الولادة فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم . أى يمضغ تمرا أو نحوه بفمه الشريف حتى يصير مائعا وقد اختلط به لعابه المبارك ثم يضعه فى حنك المولود أى فى فمه . حتى يكون ذلك أول شىء يبتلعه على سبيل التبرك — وقد اتفق العلماء على أنه يسن تحنيك

المولود بعد ولادته بتمر أو نحوه بواسطة رجل صالح أو امرأة صالحة ...

ولم يجمع الله سبحانه وتعالى لنبى من أنبيائه ولا لرسول من رسله بين اسمين من أسمائه الحسنى . الا لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال فى كتابه العزيز ((**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**)) الاية ١٢٨ من سورة التوبة ...

وفى غزوة أحد . لما أصيب صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وسال منها الدم . كان يتلقفه بيده الشريفة ويقول (**لو نزل منه شىء على الأرض لحلت عليهم اللعنة . وفى ذلك اليوم قال له أصحابه . هلا دعوت عليهم . فقال صلى الله عليه وسلم (انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت رحمة وهداية) ...**

ومن رحمته حتى بكفار قريش . انهم لما بالغوا فى ايذائه . والسخرية منه . ورميه بالسحر والكهانة والجنون . شكا ذلك الى ربه . فأرسل سبحانه اليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال . وقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما تريد .. وقال له ملك الجبال يا محمد ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين — والاخشبان هما جبلا مكة والمحيطان بها ... فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم (**لا ... بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا**) ... فقال له الملك أنت كما سماك ربك رءوف رحيم ..

وكان صلى الله عليه وسلم غاية فى التواضع . بلغ فى ذلك الذروة العليا — روى الحاكم رحمه الله . عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : **(كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم)** .

وروى ابن سعد رحمه الله . عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت (**كان صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت . وكان أكثر ما يعمل الخياطة**) ... فما أروع هذا وما أجله ..

هكذا كان رسول الله سيد البشرية .. صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه وعلى آله وصحابته الأبرار ...

بقية مقال من اساليب القرآن الكريم

النتيجة :

ويمكن تلخيص النتائج السابقة جميعها فى جانبين يركز القرآن الكريم دعوته اليهما فى هذا النص وفى غيره كثيرا ، لأنهما عماد بناء الأمم والحضارة فى كل العصور ، وكل الأمكنة على السواء ، وهما :

(أ) العلم ، ومن البدهى أنه مقياس الحضارة لكل الأمم فى كل العصور ، وما أكثر ما دعا اليه القرآن الكريم ، وما أكثر ما أظهر تمجيده واجلاله للعلم فى أساليب عديدة متنوعة ، يكفى أن يكون من بينها أن العلم كان السبب المباشر الذى من أجله أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ، أو لعلم آدم ، كما ورد فى قصة خلق آدم فى القرآن الكريم ، وكأن العلم هو الميزة الوحيدة التى تستحق أن يسجد لها .

(ب) الخلق الاجتماعى : بمعنى ان تكون فى المجتمع قيم خلقية سائدة الى درجة السيطرة ، بحيث يتواصى أفراد المجتمع ولو ضمنا بالتزامها ، ويتناهون ولو بالنفور عن اهدارها ، ويتمثل هذا فى قانون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى حدد القرآن أنه اهم المقومات التى جعلت الأمة الاسلامية الأولى خير أمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) والتى حدد القرآن أن اهدارها كان أهم أسباب انهيار المجتمع الاسرائيلى ، وحلول اللعنة من الله عليه (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ..) .

فالتآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر ، يمثل الخلق الاجتماعى الذى يقوم عليه البناء والتماسك الاجتماعى ، وفى النص الكريم الذى نحن معه نجد أحداث القصة كلها تدور حول النهى عن المنكر من جانب موسى مضحيا فى سبيل أدائه بكل شىء ، والأمر بالمعروف من جانب الخضر فى اقامة الجدار باعتباره عمل خير رغم كل الظروف السيئة المحيطة به .

فهيكل القصة كله فى اطار العلم ، والأحداث كلها من ظاهرها فى اطار الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

حضارة

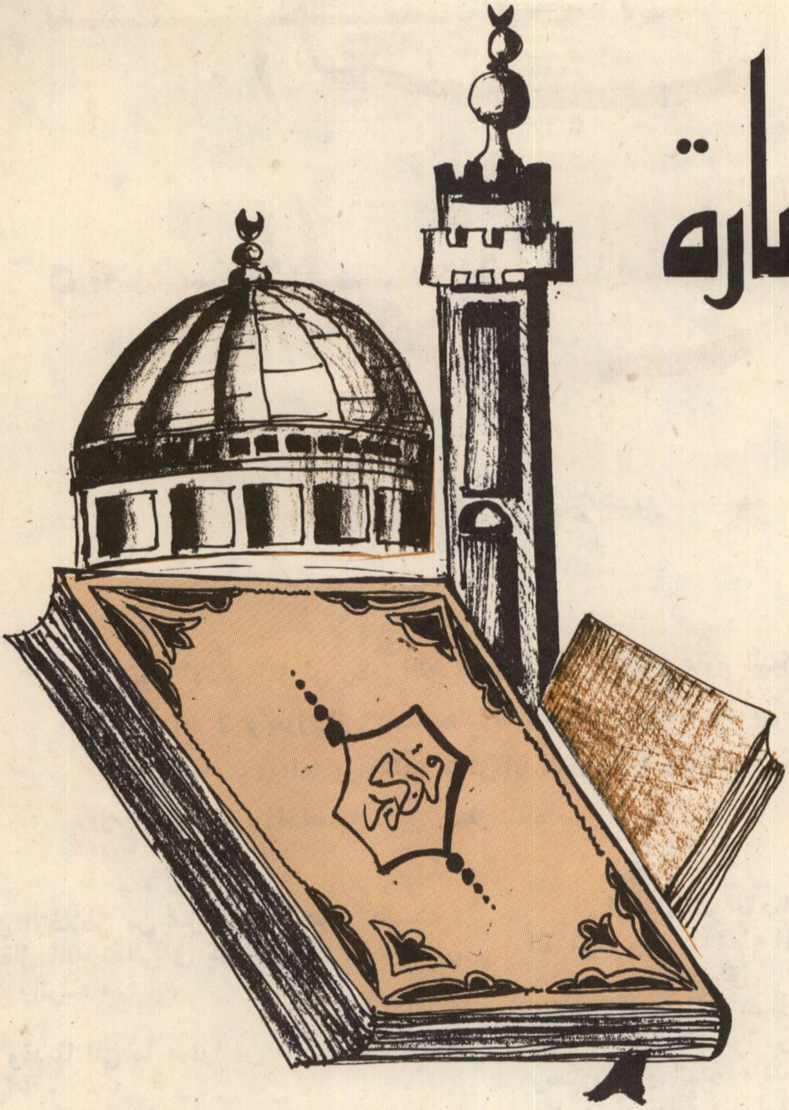

الإسلام

تبعات العلم ومسئوليات العلماء

الأستاذ عبد العظيم منصور

يقول الامام الغزالى رضى الله عنه فى كتابه احياء علوم الدين من بين ما قال انه لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة ، فالناس كلهم هلكى الا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى الا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم .

لأن الاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء ، وقد قال الله تعالى فى كل عمل لم يسلم من العوج والرياء .

((وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)) .

ولا شك أن المراد بالعلم هو كل ما يرتفع به الجهل ، ويتوارى ويزول . فكل ما ينمى العقل وينبه ملكات النفس ، ويعمر القلب والأرض ، ويكشف أسرار الله فى ملكه ، وآياته فى الآفاق وفى الكون وهو مستقر كل علم ومستودع كل سر فهو علم طلبه الله وشدد فى طلبه ، وأمر بالنظر فى ملكه تحصيلا له واستفادة منه فقال ((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)) ويقول تعالى ((سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) .

والنظر والتفكير يؤديان الى العلم وهو مراد القرآن ، وهذا ما فعله المسلمون فى صدر الاسلام فقد شرعوا يطلبون العلم من كل طريق ، ويلتمسونه من كل سبيل ، ويطرقون أبوابه فى كل مكان ، فلم يدعوا فرعا من فروعه الا حذقوه وصاروا من أئمته ، فلم يقف بهم طلب العلم عند حد أو نهاية ، ورأوا فى ذلك استجابة وطاعة لأمر ربهم كما رأوا فى العلم نفسه أشرف ما يرغب فيه الراغب لشىء ويطلب الطالب ، وانفع ما يمكن أن يكتسبه ويقتنيه كاسب يريد صلاح دينه ودنياه ، فلم يفارق شعورهم أبدا ذلك التمييز بين من يعلم ومن لا يعلم فى قوله تعالى : ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) . كما نفى سبحانه العقل عمن لا يعلم فقال تعالى : ((وما يعقلها الا العالمون)) والحديث عن فضيلة العلم والعلماء فى الكتاب والسنة وفى قول السلف، وفى واقع الأمم والجماعات أكثر من الحصر والاستقصاء .

العلم والعلماء فى رأى الامام على

ويكفينا تبيانا افضلهم بعض ما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« القلوب أوعية خيرها أوعاها للخير ، والناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق . العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال ينقصه الانفاق ، والعلم دين يدان به ، تكتسب به الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر . ثم تنفس الصعداء ، وقال : هاه : ان ها هنا علما جما لو وجدت له حملة ، بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ، ويستطيل بنعم الله على أوليائه ، ويستظهر بمحجته على خلقه ، أو منقادا لأهل الحق ولكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك ، أو مفهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه ، أقرب شبها بهم الأنعام السائمة . اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ، ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، اما ظاهر مكشوف ، واما خائف مقهور ، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته ، وكم وأين ؟ أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون قدرا ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ، حفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فباشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه ، وأمناؤه وعماله فى أرضه ، والدعاة الى دينه . ثم بكى رضى الله عنه وقال : واشوقاه الى رؤيتهم .

واذا كان للعلم تلك المنزلة والمكانة الرفيعة واذا كان للعلماء ذلك النصيب الأوفى من الفضل ، فلا شك فى ثقل التبعة وجسامة المسئولية التى يحملها العلماء ورثة الأنبياء أمام الله وأمام الناس وأمام ضمائرهم وأمام الأجيال المتعاقبة من بعدهم ، ان قصروا فى حمل أمانة العلم تحصيلا وابلاغا نصرا للحق ودحضا للباطل فلن يقبل الله منهم عذرا ولن تقوم لهم حجة ، ولن تتسع لهم رحمة الله على سعتها الواسعة فى الآخرة .

ولهذا يقول تعالى : **« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .**

العلماء ورثة الأنبياء

فالعلماء هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، وحماة الحق والحرية ، الناصحون لعباد الله على مختلف مستوياتهم ومناصبهم ومراكزهم ومكانتهم ، فهم بحق ورثة الأنبياء والأمناء على مواريث النبوة النابعة من السماء .

لذلك فان افتقاد العلم والعلماء نذير بخراب الأمم وتأخرها كما أشار الى ذلك النبى عليه الصلاة والسلام .

فعن أنس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا » ويمكننا تحديد بعض أظهر مسئوليات العلماء فيما يلى :

من مسئوليات العلماء

١ ـ تبيان العلم هو المسئولية الأولى التى ألقاها الله على العلماء ، يبينون أحكامه ويوضحون حلاله من حرامه ، ويدفعون عنه أصحاب البدع والمنكرات وأهل الضلال والعناد ، ويتصدون لكل من أدخل فى الاسلام أو يحاول أن يدخل فيه ما ليس منه .

٢ ـ والمسئولية الثانية التى ألقاها الله على عاتق العلماء القيام بالعدل والقسط بين خلق الله دون خوف من وعيد أو خشية من تهديد ، فيقول تعالى :

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم »

وهذا يفرض على العلماء مسئولية جسيمة وتبعة خطيرة تحتم عليهم أقصى درجات التحرر من الخوف ولو تناول الحياة وهم على الطريق يؤدون واجبات القسط ومقتضيات العدل .

٣ — وثالث ما ينبغى أن يرعاه العلماء ورثة الأنبياء الا يطلبوا الدنيا بالدين والا يكون الدين وسيلة الى ماديات الحياة ومعنوياتها مهما عظمت ومهما كان بريقها ولمعانها ، ومهما كان سحرها وكانت جاذبيتها ، وهذا ما حذر منه الخليفة الثانى عمر العظيم فى قوله :

رأى عمر بن الخطاب :

« وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء ، قليل الفقهاء ، كثير الأمل ، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة ، تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر » .

كما قال عمر رضى الله عنه : ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم . قالوا : وكيف يكون منافقا عليما ؟ قال : عليم اللسان جاهل القلب والعمل .

مصير علماء السوء

وعن النهاية المؤلمة لعلماء السوء يعرض النبى عليه الصلاة والسلام مشهدا من مشاهد يوم القيامة يحكى فيه ما يفعل الله بهم على رؤوس الخلائق عظة وعبرة فيقول :

« يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه .

وقال كعب رحمه الله : يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ، يؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقربون الأغنياء دون الفقراء ، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره ، أولئك الجبارون أعداء الرحمن .

وقد أوحى الله الى داود عليه السلام : لا تسأل عنى عالما أسكره حب الدنيا ، فيقطعك عن محبتى ، أولئك قطاع الطريق على عبادى .

وقال ابن السماك رحمه الله : كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوف بالله جرىء على الله ، وكم من مقرب الى الله بعيد عن الله ، وكم من داع الى الله فار من الله ، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله .

فليحذر العلماء الاتباع فيما يجانب الدين ويضاد الحق موافقة لرأى ، أو متابعة لهوى وغرض ، فربما زلت أقدام العلماء رغبة أو رهبة فضلوا واضلوا ، مع سوء العاقبة والمنقلب والمصير .

وللحديث بقية عن العلم والعلماء .

■ الدنيا كبيرة ، والناس كثيرون .
[وما يملأ العين متنوع ، وما يملأ الرأس لا حدود له ..]
[وما يوقظ الوجدان ، يتجدد يوماً بعد يوم ..]

« أنور السادات »

سعد والقادسية

الدكتور عبدالغنى الراجحى

لئن كان الصيام يعتبر معركة نفسية يخوضها الصائم بعزيمته وارادته ضد المشتهيات والشرور والآثام ونوازع النفس الأمارة بالسوء فيكون فى جهاد أكبر ، فانه كان كذلك على مدار التاريخ الاسلامى مجالا فسيحا للجهاد والمعارك الحربية التى خاضها فى شهر الصيام المسلمون ضد أعدائهم ، فمن غزوة بدر الكبرى ، الى فتح مكة ، الى القادسية ، الى فتح الأندلس الى هزيمة الصليبيين ، الى عين جالوت وهزيمة التتار ، الى العاشر من رمضان واقتحام خط بارليف وغير ذلك . الا أننا اذا تأملنا هذه المعارك جميعها بالحاسة التاريخية والمقاييس العسكرية والاستراتيجية ، لوجدنا أن أشدها خطرا وأكبرها أثرا فى حياة الاسلام ، وامتداد ظله الى أنحاء المعمورة ، هى معركة القادسية التى وقعت بين العرب المسلمين ، بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وبين الفرس والدولة الفارسية والجيوش الفارسية بقيادة رستم فى عهد يزد جرد ، فى خلافة عمر بن الخطاب فى رمضان من السنة الرابعة عشرة من الهجرة النبوية ، وهى وان وقعت فى هذا التاريخ ، الا أن المقادير ، ووقائع الأحداث والنبوءات النبوية ، كانت تخطط لها قبل هذا التاريخ حين كان النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة حاجا أو معتمرا مع أصحابه رضوان الله عليهم ، وكان سعد بن أبى وقاص قد لحق

به مرض شديد فى مكة فخاف أن يرجع النبى مع أصحابه الى مدينة يثرب مخلفين وراءهم سعدا هذا ليموت فى مكة ، فما هو الا أن اظهر خيفته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال له الخلف عن أصحابى يا رسول الله ؟ يعنى انه لا يرجع معهم الى المدينة دار الهجرة ، فرد عليه النبى ردا يبشره فيه بشفائه من مرضه ولحاقه بأصحابه ، وقال له « عسى أن يطول بك أجل حتى ينفع الله بك أقواما ويضر بك آخرين » ويقول علماء الحديث والسيرة النبوية ان ذلك هو ما كان فى القادسية حيث نفع الله بسعد المسلمين واضر به جيش الفرس ضررا بليغا ، حيث كانت هذه المعركة كما قلنا سابقا ، أخطر المعارك فى مقدماتها ودوافعها ، حيث كان العزم عند كل فريق أن يقضى على خصمه القضاء النهائى ، وفى نتائجها وآثارها حيث لم تقم للفرس بعد ذلك قائمة وحيث قتل منهم خمسون ألفا فى ثلاثة أيام من أصل مائة ألف وعشرين ، بينما استشهد من المسلمين ثمانية آلاف ونصف من أصل عشرين ألفا ، وحيث عبر الاسلام بعدها الى العراق وفارس والشرق كله والمدائن ونينوى والموصل والأبلة وموقع البصرة الحالى ، وسقطت هيبة أعداء الاسلام بينما ارتفعت هيبة المسلمين وجيوش المسلمين ، وصدقت كلمة الله « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** » فقد كان المسلمون قلة أمام الجيوش الفارسية الجرارة ، لكنهم ثبتوا وصبروا وصابروا واكثروا من ذكر الله وقراءة القرآن لا سيما سورة الأنفال تيمنا وتفاؤلا بنصر بدر المذكور فيها ، وأدار سعد المعركة بحكمة وحنكة ومهارة رغم أنه كان مريضا ، واختار للمعركة أرضا تنفع المسلمين وتضر بالأعداء ، حيث كان ظهر الجيش الاسلامى يبعث على الطمأنينة ، وكان خلف ظهر العدو جداول ماء وقنوات ونهيرات وأوحال ساهمت فى هزيمة العدو وهو يرتد اليها .

الله أكبر قضت على جنود الأعداء :

وعند الهجوم كبر سعد أربع تكبيرات رددها المجاهدون خلفه فكان لذلك دوى يهز قلوب الأعداء تماما كالذى كان فى حرب العاشر من رمضان واقتحام خط بارليف حيث كانت التكبيرات من الجنود المصريين ، تكاد تخلع قلوب الأعداء من صدورها ، فما أعظم الشبه بين ظاهرتين بينهما أربعة عشر قرنا من الزمن ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح عليه أولها . وانا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكان الأعداء يهجمون بكل ما يملكون من عدة وسلاح وفوجىء المسلمون بالفيلة تهاجمهم وكان عمل الفيلة فى المعارك قاسيا لكن المسلمين شكلوا فرقا فدائية ، بعضها ترمى الفيلة فى عيونها ، وتشك بالرماح داخل خراطيمها وبعضها ترمى ركاب الفيلة من الجند ، وبعضها تستدير خلف الفيلة لتقطع الأحزمة والحبال التى تثبت أحمال الفيلة فوق ظهرها ، وبهذا قضى على خطر الفيلة وخرجت من المعركة ، ولما لاحظ المسلمون أن منظر الفيلة كان يخيف خيل المسلمين ويصيبها بالذعر والارتباك ردوا على ذلك بالمثل فصنعوا للابل براقع فوق رؤوسها ذات شكل مخيف ومفزع ، وساقوها أمام خيل الفرس فكانت ترتعد وترتبك وتفر بفرسانها ، وفى أخريات المعركة جهز المسلمون كتيبة من الأبطال الأشداء تعمل على انهاء المعركة واتجهوا نحو سرير رستم فى قلب جيشه فلم يجدوه فوقه لأنه هرب لينجو بنفسه والقى ما كان عليه من دروع وأسياف ورمى بنفسه فى ماء العتيق ، ولسان حاله يقول ، انج سعد فقد هلك سعيد ، لكن أحد جنود المسلمين لحق به وهو فى النهر فسحبه من رجله الى البر وضربه بسيفه حتى فلق جبينه وقتله ، ونادى بأعلى صوته قتلت رستم ورب الكعبة . فانهار قلب جيش الفرس وكان الجناحان قد انهارا قبل ذلك . فبدأت عملية انسحاب الجيوش الفارسية انسحابا كلفهم كثيرا من الضحايا وأبيد من لم يتمكن من الانسحاب وأتم الله على المسلمين نعمته ونصره **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .**

وكان الوعاء الزمنى لهذه المعركة الشرسة والحاسمة ثلاثة ايام بلياليها يوم ارماث ويوم اعواث ويوم اعماس الذى كانت ليلته هى ليلة الهرير التى كان لا يسمع فيها الا صليل السيوف وقعقعة السلاح ، وبعدها تمكن المسلمون بقيادة المبارك سعد بن ابى وقاص من انتزاع النصر من اعتى الدول واشدها باسا فلم تقم لها بعد ذلك قائمة حيث قضى عليها القضاء المبرم والأخير .

لقد كان عمر بن الخطاب يريد أن يقود بنفسه الجيوش الذاهبة لفتح فارس ومعركة القادسية ، لكن كبار الصحابة أشاروا عليه بأن يبقى بالمدينة ويرسل غيره فوقع الاختيار على سعد .. وودعه عمر ونصحه بقوله :

« لا يغرنك من الله أن يقال انك خال رسول الله وصاحب رسول الله .. فان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السيئة بالحسنة ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته ، فالناس فى دين الله سواء وهم عباده .. ويتفاضلون عنده بالطاعة فانظر الى الأمر الذى رأيت رسول الله يلزمه فالزمه » ..

وعلى الباغى تدور الدوائر .. فان سعدا أرسل قبل بدء القتال الى يزدجرد عشرين من خيرة رجاله فدخلوا عليه ودعوه الى الاسلام أو الدخول فى ذمة المسلمين أو يتقدم للقتال ، فغضب يزدجرد غضبا شديدا وقال لهم لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ولا شىء لكم عندى وملأ وقرا من التراب ، فحمله عاصم بن عمر . ولما دخلوا واخبروه أنى مرسل اليكم رستم ليدفنكم تحت التراب ، فحمله عاصم ابن عمر . ولما دخلوا به الى سعد قال لهم ابشروا فوالله لقد أعطانا تراب ملكه ومقاليد حكمه ... هذا بينما كان على الجانب الآخر عمر بن الخطاب يخرج بنفسه كل صباح الى ظاهر المدينة ينتظر كتابا وخبرا من سعد عن هذه المعركة التى كان يرقب نتيجتها كل مسلم أينما كان . وبينما كان رسول سعد بخبر الانتصار يجد السير بناقته نحو المدينة ليخبر أمير المؤمنين ، كان عمر خلفه يناديه يا عبد الله أخبرنى ، والرجل لا يعرف أنه أمير المؤمنين ، فلما دخل الرجل المدينة يسأل أين أمير المؤمنين ؟ قال الناس له : هو هذا الذى يجرى خلفك ، فالتفت الرجل يقول له . هلا أخبرتنى يرحمك الله انك أمير المؤمنين .. فيقول له عمر : لا عليك فاعطنى الكتاب ، فدفعه اليه فقرأه فخر ساجدا لله سجدة الشكر على هذا النصر المبين ..

كيف كان سعد مستجاب الدعوة :

لقد كان سعد مستجاب الدعوة .. فقد أخرج البخارى أن رجلا شكاه الى عمر وهو وال على بعض البلاد زاعما أنه لا يعدل فى القضية ولا يقسم بالسوية ، ولا يحسن الصلاة .. فاستحضرهما

للمقال بقية ص ٤٧

له الأسماء الحسنى

الرزاق

الدكتور أحمد الشرباصي

الرزاق اسم من اسماء الله الحسنى ، وهو مشتق من مادة الرزق ، والرزق هو ما ينتفع به ، أو ما يسوقه الله للحيوان للتغذى ، أى ما به قوام الجسم ونماؤه ، ويسمى المطر رزقا ، وجاء فى هذا قوله تعالى ، « وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها » ، « وفى السماء رزقكم وما توعدون » . ويقال . الرزق للعطاء الجارى تارة ، دنيويا كان أم أخرويا ، وللنصيب تارة ، ولما يصل للجوف يتغذى به تارة .

والرزاق مبالغة من الرازق ، وهو معطى الرزق ، والرزاق لا يقال الا لله تعالى . والرزق رزقان : رزق الأجسام بالأطعمة ونحوها ، ورزق الأرواح بالعلوم والمعارف والالهامات الصادقة ، وهو أشرف الرزقين ، لأن ثمرته باقية ، ورزق الأبدان الى مدة قريبة الأمد ، وقال بعضهم : الأرزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم .

والرزاق هو خالق الأرزاق ، المتفضل بايصالها الى خلقه ، المسبب لها الأسباب . وقيل : هو الذى يرزق الخلق أجمعين ، وهو الذى خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها ، وأوصلها اليهم . وقيل : الرزاق هو الذى يمد بفضله كل كائن بما يحفظ مادته وصورته ، فيمد العقول بالعلوم ، والقلوب بالفهوم ، والأرواح بالتجليات ، والأبدان بالأغذية . وقيل : الرزاق هو الذى يرزق الأرواح والسرائر ، كما يرزق الأشباح والطواهر ، وقيل : الرزاق هو خالق الأرزاق والأسباب ، رازق الأبدان بالأطعمه ، ورازق الأرواح بالمعرفة ، وهو وحده مالك الرزق ، ومن علم ذلك أيقن أن رزقه ليس فى يد أحد غير الله سبحانه .

وقيل : الرزاق هو الذى غذى نفوس الأبدان بتوفيقه ، وجلى قلوب الأخيار بتصديقه . وقيل: الرزاق من خص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وخص الفقراء بشهود الرزاق . وقيل : الرزاق من رزق الأشباح فوائد لطفه ، والأرواح عوائد كشفه. وقيل ، الرزاق هو الذى يرزق من يشاء من عباده القناعة ، ويصرف دواعيهم عن ظلمة الصناعة .

ومن آداب اسم الرزاق أن العبد يعلم أن ربه لا شريك له فى رزقه ، كما لا شريك له فى خلقه ، فهو يرجع اليه فى جليل الرزق ودقيقه ، وأن يرضى بقسمة الرزاق الوهاب ، وأن يجعل يده خزانة لربه ، كما أمر الله فى قوله : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وقوله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » .

وينبغى للعبد أن يعرف حقيقة وصف الرزاق ،

وانه لا يستحقه الا الله تعالى ، فلا ينتظر الرزق الا منه ، ولا يتوكل فيه الا عليه ، كما قيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : من خزانته . فقال له السائل أيلقى عليك الخبز من السماء ؟ فقال: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء . فقال السائل : أنتم تؤولون الكلام . فقال حاتم: لأنه لم ينزل من السماء الا الكلام .

والله تعالى اذا أراد بعبده خيرا رزقه علما هاديا،ولسانا مرشدا معلما ، ويدا منفقة متصدقة ، ويكون سببا لوصول الأرزاق الشريفة الى القلوب باقواله وأعماله ، واذا أحب الله تعالى عبدا أكثر حوائج الخلق اليه ، واذا جعله الله واسطة بين الله وعباده فى وصول الأرزاق اليهم نال حظا من أسم الرزاق .

ومن آداب هذا الاسم أن من علم أن الله تعالى رازق كل أحد طلب منه كل ما يريده سواء أكان قليلا أم كثيرا ، ولذلك قال القشيرى ، «من عرف أن الله هو الرزاق أفرده بالقصد اليه وللامام على كلمة بليغة معناها أن الرزق مأمور من الله تعالى بطلب الانسان ، وأن الانسان مأمور بطلب الجنة والعمل لها ، فيقول : **«لست مطالبا بطلب الرزق ، وأمرت بطلب الجنة ، فتترك ما أمرت به ، وتطلب ما أمرت بتركه »** .

وسعة رزق الله لا حدود لها ، وهو القائل فى سورة هود « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » . ولقد جاء أن داود عليه السلام كان يدعو فيقول : « يا رازق البغاث فى عشه » يريد فرخ الغراب ، وذلك لأنه اذا أنفقات عنه البيضة خرج أبيض كالشحمة ، فاذا رآه الغراب انكره لبياضه ، فيتركه فيسوق الله تعالى اليه البق ، فيقع عليه لزهومته ، فيلتقطها ويعيش بها الى أن ينبت ريشه ويسود ، فيعاوده الغراب عند ذلك ويالفه ويلقطه الحب ، فهذا معنى رزقه البغاث .

ولقد جاء فى صحيح البخارى قول النبى عليه الصلاة والسلام « **ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يدعون له الولد ، ثم يعافيهم ويرزقهم** ».

كما روى الترمذى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام » لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » وقد فهم بعض الناس هذا الحديث على أنه دعوة للتواكل وعدم السعى ، فقال «الطيور تصبح جائعة وتطير فى الجو ، ليس لها مكان معلوم أو غذاء مفهوم ، فترجع الى أوكارها وقد ملأ الله بطونها غذاء ، ومعها قوت لأبنائها وهى فرحة مسرورة ، فاذا أردت تيسير الرزق فلا تظن أنه بقوتك أو مكرك ، ولكنه بتيسير الله تعالى». وقد يفهم من هذا الدعوة الى ترك الأسباب والسعى ، وفى كتاب « توجيه الرسول للحياة والأحياء » قلت هذه العبارة : « قد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأتباعه فى هذا الحديث انهم لو صدقوا فى ايمانهم ، فصدقوا فى توكلهم. فأخذوا بأسباب ربهم ، فاستعملوا ما وهبهم الله تعالى من ملكات وطاقات ووسائل ، فاستشعروا الثقة بعون الله ونصره ، لرزقهم الله رزقا رغدا واسعا ، ولهيأ لهم من مواطن الفوز وثمرات التوفيق ما يهيئه للطير التى تخرج من أعشاشها عند الصباح وهى جائعة ، وتعود عند المساء وهى ممتلئة البطون ، أو كما قال ابن الأثير فى « النهاية » « تغدو بكرة وهى جياع ، وتروح عشاء وهى ممتلئة » .

وماذا تصنع الطيور ؟ هل تنام فى أكنانها بلا سعى أو عمل ؟ لا ، بل هى تغدوا وفى الصباح خالية البطون ، وتظل تطير بأجنحتها ، وتضرب فى آفاق الجو بطاقاتها ، وتسعى وتكدح . وتجمع من هنا وهناك ، حتى ترجع فى آخر النهار ، وقد نالت جزاء سعيها وكفاء جهدها ، وهذا يفيدنا أن من التوكل الأخذ بالأسباب ، والتذرع بالعمل لتحقيق الأمل ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الأسباب والوسائل الموصلة الى الغايات ، فاذا أخذ الانسان بها ، واستنفذجهده فيها ، فانه يكون قد صدق فى توكله ، لتقبله ما هيأ له ربه من أسباب ووسائل ، ولانتفاعه بما يسر خالقه الكريم من طرق ومسالك » .

وهذا لا يتعارض فى قليل أو كثير مع أن الله سبحانه هو الرازق رزقا بعد رزق ، وهوتعالى

المكثر الموسع لرزق،وهو تعالى المتكفل بالرزق، وهو تعالى الذى خلق أسباب الوصول الى هذا الرزق ، وأسباب التمتع بهذا الرزق .

وقد ذكروا أن من أسباب سعة الرزق المحافظة على الصلاة والصبر عليها ، فالله تعالى يقول فى سورة «طه» : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » وقد ورد اسم الرزاق فى سورة « الذاريات » فى قوله تعالى : «ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . ووردت مادة الرزق فى مواطن كثيرة ، مثل قوله تعالى « يرزق من يشاء بغير حساب » وقوله « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » وقوله « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وقوله « أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » وقوله « ورزق ربك خير وأبقى » وقوله « ان هذا لرزقنا ماله من نفاد » وقوله « قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين » .

ويقول الشاعر فى اسم الرزاق :

يا خالق الرزق للعباد وللوحش
وللطير ، أنت رزاق ..
فكل شىء اليك متجه
وكل قلب اليك مشتاق
وأعظم الرزق نور معرفة
له وراء الضلوع اشراق

وفى كتاب « الأنوار القدسية » دعاء لاسم الرزاق جاءت فيه هذه الكلمات :

« الهى ، أنت الرزاق المتكفل بالعوالم ، الواسع الرحيم ، الذى يرزق المطيع والظالم، فارزق الضعيف بالاحسان ، وربما جاع القوى وهو حيران ، فالأرزاق بفضلك والبلاء بعدلك ، اللهم ان لك موائد تنزلها لأحبابك ، تغذى بها الأرواح والقلوب ، فانزل علينا مائدة المعارف، وسلمنا من المخاوف ، واجعلنا مظاهر توصل قوت الأرواح لعبادك ، وأسبابا توصل قوت الأشباح لأحبابك ، واحفظنا من الغرور بالأرزاق، واجعلنا مقبلين عليك بالأشواق ، انك على كل شىء قدير ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بقية مقال سعد والقادسية

عمر وسمع منهما فأقسم سعد على براءته من هذه الاتهامات حتى شرح لعمر دقائق كيفية صلاته لربه وعدله بين الناس ، لكن الشاكى أصر على دعواه .. فدعا عليه سعد فى نفس المجلس فقال: اللهم ان كنت تعلم أن عبدك هذا كاذب فى دعواه فأطل عمره واجعل فقره بين عينيه ولا تمته حتى تعرضه للفتن ، فكان هذا الرجل يرى وهو شيخ عجوز يغمز الجوادى فى الطريق فاذا قيل له فى هذا قال : ماذا أصنع ؟ أصابتنى دعوة المبارك سعد . لابد أنه دعا ربه بالنصر فى القادسية فاستجاب له .

وكان سعد هذا على درجة قصوى من الكرم والعطاء والأنفاق فى سبيل الله ، حتى قال ذات مرة . يا رسول الله بلغ بى من الجوع ما ترى ، وأنا رجل ذو مال ، ولا يرثنى الا ابنة أفأتصدق بمالى كله ؟ قال الرسول : لا ، فقال سعد فبنصفه . فقال الرسول : لا ، فقال سعد فبثلثه فقال الرسول : تصدق الثلث والثلث كثير ، فانك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . لقد أراد أن ينخلع من ماله كله قبل أن يلقى الله . وكان يظن أن وفاته عاجلة وفى حياة رسول الله . لكن المقادير كانت تستبقيه كما بشره رسول الله ليحرز النصر للمسلمين فى القادسية وليعيش بعد وفاة الرسول سنين عددا حتى تمجد القادسية ذكره ويمجد التاريخ ذكره وذكرها . بعد أن مجد القرآن الكريم ذكره فى قوله تعالى : « وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون » فانها نزلت فى سعدنا هذا لما سارع الى الاسلام مع السابقين الأولين فى مكة فغضب أبواه غضبا شديدا وهددته أمه أن يرجع عن الاسلام الى دين العرب فأخبر النبى بذلك فنزلت هذه الايات من سورة لقمان .

وها هو ذا بعث جديد لأمجاد سعد والقادسية بعد أربعة عشر قرنا من الزمن والبر لا يبلى والديان لا يموت . فقد جاء فى أهرام ٨٠/١/١٨ أن جماعة من الممثلين المصريين سافروا الى الحبانية التى تبعد عن بغداد مائة وعشرين كيلو مترا للقيام بتمثيل وتصوير أحداث ومشاهد هذه المعركة المجيدة لتكون فيلما سينمائيا يبعث أمجاد الجهاد الاسلامى فى وقت نحن — عربا ومسلمين — أحوج ما نكون الى رفع راية الجهاد متآلفين متحابين تحت راية العروبة والاسلام أمة واحدة كما قال لنا ربنا فى محكم كتابه « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » أمة حرة كريمة تصل حاضرها بماضيها عزة وكرامة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ..

الفكر الإسلامي المعاصر بين المحلية والعالمية

الدكتور محمود حمدى زقزوق

في البداية لابد أن ننبه الى بعض الملاحظات التى لابد من مراعاتها عند الحديث عن الفكر الاسلامى :

أولا : الفكر الاسلامى ليس مرادفا للاسلام وانما الفكر الاسلامى هو حصيلة الانتاج العقلى للمسلمين وثمرة تفكيرهم وفهمهم للاسلام ، هو اذن جهد بشرى .

أما الاسلام فهو وحى الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثانيا : نعنى بالفكر هنا : الفكر بمعناه الواسع الذى يشمل كل جوانب الفكر من أدب وفلسفة وسياسة واجتماع واقتصاد ، وفن وفكر دينى أيضا ... الخ .

ولذلك يوصف الفكر بكل هذه الأوصاف فيقال مثلا فكر فلسفى وفكر سياسى وفكر اقتصادى وفكر دينى وهكذا الحال فى باقى مجالات الفكر .

ثالثا : الفكر الاسلامى بطبيعته ليس فكرا اقليميا يخضع لعوامل جغرافية ضيقة ولهذا لا يجوز حصره فى نطاق قومية معينة أو نسبته اليها .

وعلى الرغم من أن الفكر الاسلامى ليس فكرا اقليميا كما أشرنا الا أنه لم يستطع فى عصرنا الحاضر أن يفرض نفسه على المستوى العالمى . فهل معنى ذلك أنه ارتد الى المحلية ولم يعد يقوى على الصمود والانتشار على المستوى العالمى ، أم أنه قادر على أن يكون فكرا عالميا اذا توفرت له شروط معينة وتهيأت له ظروف مواتية ؟

ان الفكر الاسلامى اذا ارتكز على مقومات أصيلة بمعنى اذا كان منطلقه الحقيقى هو الاسلام بشموله وعالميته فانه قادر على أن يحتل مكانه على مستوى الفكر العالمى وذلك لان الاسلام بطبيعته العالمية الشاملة ، قد جاء بمجموعة من القيم والمبادىء ، والمثل الانسانية التى لا تعرف حدودا أو اقليمية ، وانما هى قيم انسانية تسع الانسان اينما كان ، وبالتالى فهى مدخل حقيقى لمخاطبة الانسان فى كل مكان .

مقياس من الفكر العالمى :

ومن هنا يمكننا أن نحدد المقياس الذى يمكن أن نحكم به على فكر ما بأنه فكر عالمى .

ان ما يجعل فكرا ما فكرا عالميا يخاطب الانسان فى كل مكان هو ما يشتمل عليه هذا الفكر من آفاق انسانية واسعة وشعور انسانى مشترك ، الأمر الذى يجعل المرء عندما يقرأ رواية لأحد الكتاب العالميين أو يطلع على فلسفة أصيلة أو يسمع قطعة موسيقية لموسيقار عالمى أو يرى لوحة فنية لواحد من عباقرة الفن يحس بنبض هذه المشاعر الانسانية تتردد فى جنبات نفسه مخترقة كل الحواجز والحدود . انه الغنى أو الثراء الانسانى الذى تشتمل عليه تلك الأعمال .

وهذا هو العمق العميق الذى يجعل للفكر ، اى فكر ، طريقا الى العالمية ، وقد يحدث أن تكون هناك بجانب ذلك عوامل أخرى ربما يعتقد البعض أنها هى الأساس الوحيد لعالمية الفكر مثل عامل القوة . فالدولة القوية تستطيع أن تجعل فكرها فكرا عالميا بمالها من صولة وصولجان . ونحن فى عصر يحترم القوة وبالتالى يندفع الناس الى تقليد القوى .

ولكننا نرى أن القوة هنا لن تستطيع أن تجعل فكرا ما فكرا عالميا الا اذا كان هذا الفكر يملك بالفعل عنصر العالمية الذى أشرنا اليه .

ولهذا فان هذه القوة اذا انحسرت انحسر معها الفكر الذى فرضته اذا لم يكن يملك مقومات العالمية . فالقوة ربما تكون عاملا وقتيا مساعدا ، ولكنها لن تكون بالتأكيد هى العنصر الجوهرى لعالمية الفكر .

واذا كان الأمر كذلك فمعنى هذا أن الظروف الحضارية فى عالم اليوم والتى جعلت من العالم الاسلامى عالما متخلفا أو ناميا لا تشكل بالضرورة عقبة جوهرية فى طريق الفكر الاسلامى لكى يأخذ طريقه الى العالمية . ولكنه مع ذلك لم يتمكن حتى الآن من تحقيق هذا الهدف .

الفكر الاسلامى :

فما هو السبب فى عدم تمكن هذا الفكر من فرض نفسه على مستوى عالمى ؟

ان هذا يرجع فى تقديرنا يرجع الى أن الفكر الاسلامى فى العصر الحاضر لم يستطع أن يكتشف ذاته بعد على الوجه الصحيح فلا زال الفكر الاسلامى حائرا بين تيارات الفكر العالمى المختلفة .. حائرا بين التقليد والمحاكاه والانغلاق والتلفيق . والتقليد والمحاكاة لن تجعل منه فى يوم من الأيام فكرا عالميا لسبب بسيط وهو انه عندئذ لن يقدم للعالم شيئا جديدا ، كما أن الانغلاق سيجعل الزمن يتجاوزه ويهيل عليه التراب . أما التلفيق فانه يجر الى خطر الانزلاق الى مخاطر جمة .

فكرنا الاسلامى اذن فى حاجة الى تركيبة جديدة تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، بين القديم والجديد ، وترتكز أولا وأخيرا على الاسلام باعتباره يمثل مجموعة القيم الانسائية السامية التى تريد أن تصل بالانسان الى المستوى الأمثل فى الانسانية . وعندما يصل الفكر الاسلامى الى مرحلة القدرة على العطاء على المستوى الانسانى سيحتل مكانه بالتالى على المستوى العالمى .

ومنطلقات العالمية أمام الفكر الاسلامى كثيرة ومتعددة فى آيات القرآن الكريم . فنداء القرآن بيأيها الناس فى كثير من آياته نداء يسع الناس جميعا فى كل زمان ومكان (**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**)(١) .. وهل هناك أروع من هذه الوحدة الانسانية الشاملة التى تجعل البشر جميعا مثل كائن واحد كما تعبر عن ذلك الآية الشريفة (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)(٢) .

فالانسان بما هو انسان ، الذى هو خليفة الله فى أرضه ــ هذا الانسان هو هدف الاسلام وهذا أمر واضح كل الوضوح ولسنا فى حاجة الى تأكيده .

فالقرآن ملىء باعجازه الخارق واشاراته العميقة ودلالاته القاطعة للتاكيد على هذا الهدف. ولكن العقبات امام الفكر الاسلامى التى تتمثل فى هذه الحيرة التى اشرنا اليها تحد من انطلاق هذا الفكر واستفادته من الاصالة التى بين يديه . صحيح أن هناك مخططا كان يستهدف القضاء على تلك الاصالة فى عالمنا الاسلامى ، وهو مخطط رسمه الاستعمار بكل عناية للقضاء على الشخصية الاسلامية وطمس معالم الثقافة الاسلامية ولا نقول هذا لنعزى انفسنا ، ولكننا نشهد على ذلك شهودا من الأوربيين انفسهم .

فهذا هو المفكر الفرنسى (روجيه جارودى) على سبيل المثال يقول حينما زار الجزائر وقت

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .
(٢) سورة المائدة ٣٢ .

الاحتلال الفرنسى لها : (وفى مدينة الجزائر حين أردت التعرف على التقاليد الكبرى للثقافة والحضارة العربيتين اصطدمت بالجريمة الحقيقية التى اقترفها الاستعمار ضد العقل البشرى — لقد كانت مؤامرة الصمت التى ارتكبت ضد الثقافة الاسلامية منظمة تنظيما محكما(١) .

كما يقول مفكر فرنسى آخر هو (مكسيم رودنسون) عن خطة المستشرقين فى تثبيط همم المسلمين حتى لا تقوم لهم قائمة : (ولم ير المستشرقون فى الشرق الا ما كانوا يريدون رؤيته فاهتموا كثيرا بالأشياء الصغيرة والغريبة ، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التى بلغتها أوربا ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه)(٢) .

ولم يكن الصراع العربى الاسرائيلى الا امتدادا لهذا المخطط بهدف تبديد طاقات المسلمين — والعرب منهم بوجه أخص — حتى لا تكون لديهم فرصة للالتفات الى اكتشاف ذاتهم واثبات وجودهم ورفع هاماتهم .

المخطط الاستعمارى :

واذا كان الاستعمار العسكرى قد انتهى عصره فلا زال المخطط حتى اليوم ينفذ بكل دقة من جانب أذناب الاستعمار وربائبه الذى صنعهم على عينه من ابناء المسلمين ، ومن جانب عملاء الشيوعية الدولية . وهؤلاء وأولئك لا يزالون يحتلون أماكن قيادية فى معظم دول العالم الاسلامى ، وكل همهم الا تقوم للاسلام قائمة وبالتالى الا تقوم للفكر الاسلامى الأصيل قائمة مرة أخرى .

وبالاضافة الى هذه العقبات الخارجية التى تشكل ضغطا متزايدا على حركة انطلاق هذا الفكر ، فان هناك عقبة داخلية أشد صرامة من كل هذه العقبات الخارجية وهى غيبة الحرية فى معظم بلاد العالم الاسلامى .

الفكر والحرية :

فمعلوم أن الفكر لا يمكن أن يزدهر الا فى جو الحرية ، فاذا توفرت الحرية فى مجتمع ما أمكن للفكر أن يبدع وأن يخلص الانسان من قيوده ويجعل منه عضوا فعالا يسهم فى بناء الحضارة ويشارك فى اقامة دعائم النهوض .

هناك اذن أمام الفكر الاسلامى لينطلق من عقال المحلية واجبات أساسية تفرض عليه التحرك فى جبهات ثلاث هى :

١ — التخلص من رواسب الاستعمار أو من القابلية للاستعمار — على حد تعبير مالك بن نبى — والتخلص من أذناب الاستعمار وخاصة هؤلاء الذين لا يزالون يسيرون دفة التوجيه فى معظم دول العالم الاسلامى .

٢ — الكفاح فى سبيل الحرية واقامة صرح شامخ للديمقراطية يحمى حرية الفكر ويصون كرامة العقل .

٣ — العودة الى الأصالة باكتشاف مقومات الذات الاسلامية والانطلاق بالفكر الاسلامى من منطلقات اسلامية أصيلة .

وبذلك يمكن تمهيد السبيل أمام عالمية الفكر الاسلامى ليحتل مكانه مرة أخرى على المستوى العالمى . وبذلك يعود مرة أخرى يقدم عطاءه الغزير الى الانسانية يخفف من ويلاتها ويغرس الأمل فى النفوس التى استولى عليها اليأس ، ويشارك فى صنع الحضارة الانسانية ونشر العدل والخير والمحبة والسلام بين الناس .

وعالمية الفكر الاسلامى ليست بدعا فى التاريخ. فقد شهد تاريخ البشرية عالمية هذا الفكر فى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية التى أعطت الكثير للانسانية وشاركت فى صنع الحضارة الانسانية ودفعت بها الى طريق العلم والنور والرشاد .

وقد تتلمذ العالم على الفكر الاسلامى حينذاك. فلما شب الفكر الأوربى وترعرع واستوى على سوقه نسى أستاذية الفكر الاسلامى أو تناساها، وان كان المنصفون من المؤرخين الأوربيين لا يزالون يذكرون للفكر الاسلامى هذا الفضل . ومن هؤلاء (بريفولت) الذى يقول : (ان ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه الينا من كشوف مذهلة مدهشة لنظريات مبتكرة فحسب ، بل يدين هذا العلم للثقافة العربية بأكثر من هذا ، انه يدين لها بوجود نفسه) الى أن يقول : (أما ما ندعوه العلم فقد ظهر فى أوربا نتيجة

للمقال بقية ص ٦٠

(١) الأهرام ١٩٦٩/١١/٢٥

(٢) من محاضرة لمكسيم رودنسون بعنوان : « رؤية أوربا للعالم الاسلامى » جريدة الأهرام فى ١٩٦٩/١٢/٢٩ .

أصالة المفكر المسلم

ابن باجة

في كتابه تدبير المتوحد

الدكتورة فوقية حسين محمود

ويسترسل فى النقد بما يكشف تماما عن استخفافه بالرأى الذى ساد عن هذه المنازل التى اعتبرت « مرضى » اذ نراه يشير الى ان الذين اعتبروها هكذا نظروا اليها على انها لا يمكن أن تكون على حالها « بالطبع » ، وانما هى « بالوضع » اى أن حال « النقصان » و « الانحراف » أو « المرض » الذى عليه احوال هؤلاء القوم ، ليس هو الواقع أو الحقيقة لهذه المنازل « بالطبع » وانما هو من « وضع الناس » الذين لا يمثلون فى وجودهم حقيقة وانما هم مرحلة مرضية ويرى ان ما يشترك فيه مع « المنزل الفاضل » فقط هو الذى يمثل حقيقة ، ويهزأ بهذا الفهم الذى اعتبره وهما ليس فيه علم ، على اعتبار ان هذه الأمور المشتركة ملامح وصفات حقيقية يوجبها كونه « منزلا » والا كان غير ذلك .

ونص ابن باجة النقدى لهذه الحقيقة اليونانية هو :

« وبين مما قلناه ان المنازل ما عدا المنزل الفاضل مرضى ، وكلها منحرفة وليست موجودة بالطبع ، وانما وجودها بالوضع ، ولذلك فصولها انما هى بالوضع ، اللهم الا فيما اشتركت فيه مع المنزل الفاضل فان القول فيه له نظام معلوم ضرورى ، وهذا الجزء المشترك أوهم أن القول فيه علمى ، اذ ليس يخلو منزل من أن يكون فيه أمور كثيرة مشتركة مما شانها أن تكون فى المنزل الفاضل ، فانه ان خلا منزل من ذلك ، لم يمكن ان يبقى ، ولا كان منزلا الا باشتراك الاسم »(١) .

فابن باجة اذن ليس من القائلين بهذا الفهم للحياة المدنية وهو ينقده على أساس عقم فكرة « الفاضل » و « المريض » ويدعو الى ضرورة احترام ما هو كائن بكل أحواله وظروفه .

ويواصل ابن باجة نقده فيبرز بوضوح مخالفته لهذا الفهم اليونانى وذلك عندما يقول :

وأيضا فان كمال المنزل ليس من المقصود لذاتها، وانما يراد به تكميل المدينة أو غاية الانسان بالطبع »(٢) .

بهذا التصريح يتبين أن الأمر لا يجب أن يكون قائما على هدف ليس عن صنع الانسان .. كل انسان فى مجتمعه ، وانما يجب أن يكون منه ، فوضع شعار هو جزء من نسق فلسفى مسبق كغاية يقصدها الفرد لذاتها ، أمر لا يقبله ابن باجة لأنه يعتبر أن الانسان هو الذى يحدد غايته بعيدا عن الأفكار الخارجة عنه ، الآتية اليه من أنسقة سابقة متخيلة وعقيمة بالنسبة لاثبات كيانه كفرد من جماعة ، وهو بهذا يمهد لحقيقة الفرد المؤثر فى الجماعة والتابع منها فى نفس الوقت .

مفهوم الكلية :

ويحرص ابن باجة على هدم مفهوم « الكلية » على أنه هو ممثل « الحقيقة » الثابتة التى هى حقيقة الوجود ، والتى هى مقصودة كغاية للتحقق بها وذلك من خلال أمثلة مستقاة من حياة الناس والملوك ، مبينا أن المفاهيم التى كانت غاية فى ذاتها لأنها كلية ، صارت غير ذلك مع تغير الزمن والمكان .

وهذا هو تصريحه فى ذلك ، يقول :

« فان جل ذلك انما كان الصادق منها وقتا ما ، وفى سيرة سائرة(٣) فاذا تغيرت تلك السيرة (السيرة هنا مفرد سير ــ السير الأربع مثلا ــ والمقصود بها حياة جماعة أو مدينة)(٤) .تغيرت تلك الآراء التى هى أقاويل كلية فصارت جزئية ، بعد أن كانت كلية ، وصارت بعد أن كانت نافعة ضارة أو مطرحة(٥) .

ثم يضيف موجها قوله للقارىء :

« وانت تتبين ذلك اذا وقفت على ما كان فى الكتب الموضوعة فى ذلك ، وقست كل قول الى الزمان الذى بعد زمانه »(٦) .

بهذا يوضح ابن باجة خطأ قبول كليات على أنها تمثل حقيقة الوجود أيا ما كان هذا الوجود وهنا يعنى خاصة حقائق الحياة الاجتماعية ، أو المدنية بالتعبير الفلسفى اليونانى القديم . واعتبار أنها صادقة فى كل زمان ومكان ، ذلك لأن الواقع يحدث بغير هذا .

فملاحظة الواقع ، وهنا يتكلم عن واقع الجماعات ، تكشف عن أن هنا الكليات غير ثابتة ، وان سمة الشمول التى كانت لها فى سيرة ما فى وقت ما تتلاشى اذ تصبح ضارة بعد أن كانت نافعة وتعبيره فى هذا الأمر واضح تمام الوضوح اذ يقول : « تلك الآراء التى هى أقاويل كلية فصارت جزئية »(٧) وانتقالها من « الكلية » الى « الجزئية » يرجع الى أنها فقدت سمة الصدق والتلاؤم مع السيرة فى كل زمان . وهذا مفهوم نسبية واضح تمام الوضوح ، ويتنافى تماما مع احترام مفهوم كليات ثابتة صادقة فى كل زمان ومكان مثل مفهوم « المدينة الفاضلة »(٨).

وهذا نقد لاذع قوى قائم على أسس فى فهم الحقيقة والواقع تغاير تمام المغايرة تلك التى قام عليها الفكر الأفلاطونى والأرسطو طاليسى .

ويتبين مدى تهافت تقديره « للمدينة الفاضلة » بعد ذلك عندما يشرع فى الحديث عنها بصفة مباشرة . وهو ما لا يفعله الا قرب نهاية المبحث الأول من رسالته .

فيبدأ الحديث عنها ، أو عن وصف حالها ، بما يبرز استحالة كون أى مدينة كذلك فى الحياة الواقعة اذ يقول :

« ولما كانت المدينة الفاضلة تختص بعدم صناعة الطب ، وصناعة القضاء .. الخ »(٩) بهذه الطريقة يحاول ان يكشف لقارىء عن مدى استحالة تحقق مدينة على هذا النحو .

انه يتحدث الى مفكر مسلم ، حيث القضاء ضرورة ، وفتوى الفقهاء تمثل حاجة ماسة فى حياة الفرد والجماعة ، وكذا الأمر بالنسبة للطب والانسان على العموم يتعذر عليه تصور حياة كلها صحة ، وكلها محبة ؟ فابن باجة قد كان حريصا على هدم فكرة المدينة الفاضلة ، لا عن يأس كما ظن البعض(١٠) ، ولكن عن وعى كامل عميق بالحقائق الواقعية فى حياة الفرد والجماعة .

ان قوله « .. ان المدينة الفاضلة أفعالها كلها صواب ، فان هذا خاصتها التى تلزمها »(١١) يدل على أن هذه الخاصية تلزمها بحكم التعريف البعيد عن استقراء الواقع(١٢) .

المدينة الفاضلة :

وكذلك قوله :

« ... وبين أن المدينة الفاضلة الكاملة قد أعطى فيها كل انسان أفضل ما هو معد نحوه ، وان آراءها كلها صادقة ، وأنه لا رأى كاذب فيها وأن أعمالها هى الفاضلة بالاطلاق وحدها(١٣) .

ثم هذه كلها أحكام ظاهرها تقرير لأحوال المدينة الفاضلة كما تصورها أهل التراث اليونانى ، وخاصة أفلاطون صاحب القول المباشر فيها ، وأرسطو الذى عاون بأسس مذهبه فى تغيير الوجود القائم على الثوابت الفكرية ، على دعم فكرتها(١٤). وباطنها نقد لهذا التصور المتخيل لواقع الناس ، **فالجماعات الانسانية ، وما نزل بخصوص تنظيم أحوالها فى القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة لكفيل بجعل فيلسوف كهذا يعرض أقواله فى الفلسفة بعيدا عن الأخذ بهذه الترهات كحقائق واجبة التصديق .**

وهذه فطرة العقل الاسلامى الحقيقى الذى هيأبيئة فكرية للمسلم كانت بمثابة مجموعة من التوجيهات المنهجية الصحيحة المرشدة الى الفهم العلمى الصحيح .

ثم اذا وقفنا عند اهتمامه بابراز ما يقصده بـ « الثابت » أو « النوابت »(١٥) يظهر تقديره للفرد ككائن حباه الله بالعقل والارادة القائمة على الاختيار ، وان هذه حقيقة لا يختص بها واحد أو طبقة ، اذ ان الناس سواسية فى تهيئتهم للاختيار ، ولكن هم عن ذلك فى كثير من الأحيان غافلون ، يقول فى ذلك :

« وسواء كان المفرد (يقصد النابت) واحدا أو أكثر من واحد(١٦) . ونراه يحدد القول النابت على اعتبار انه هو المفكر ، أو هو غير الغافل عن حقيقته ككائن مزود بالعقل ، وأن الآخرين يتبعون طبيعتهم الأغلب وهى التقليد ، ولكن فى امكانهم أن يكونوا « نوابت » ان أرادوا .

وقد حرص على بيان أن فكرة « النابت » تتعارض فى حقيقتها مع « خواص المدينة الفاضلة» لأنه لا آراء كاذبة فيها »(١٧) .

فكأنه بتبيينه لفكرة « النوابت » على النحو **الذى شرحه يقصد دعم فكرة مخالفة تماما لفكرة « المدينة الفاضلة » أو « الكاملة » .**

وهذه حقيقة ينطلق منها وبقوة لبيان كيفية فعل « الفرد المفكر » وأصناف أفعاله ، وذلك لتوضيح أسس كسب المعرفة ، وهى أسس يسير منها الى بيان ملابسات التنفيذ ، وذلك فى المبحثين الثانى والثالث الخاصين بـ « الأفعال الانسانية » و « الصور الروحانية » .

وكذا فى رسالة « الوداع »(١٨) التى كرسها كاملة لتوكيد قيمة الفرد المفكر الحر فى ارادة أفعاله .

ويجب أن نبين أنه قد حرص وهو بصدد تبنى « القول بالنوابت » وهو قول **هادم للفكرة الأساسية للمدن الفاضلة** لتعارضه مع سمة « الثبات » المسيطرة عليها ، نقول انه قد حرص على أن يضع أقواله فى جو فلسفى يونانى ، مستعينا بشخصيات يونانية غير فلسفية مثل الطبيب « جالينوس » فهو يعرض فكرته مستشهدا بأمثلة من كتاب « الصحة » لهذا الطبيب .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن باجة لم يفته فى نهاية المبحث الأول أن يصرح بأن هذا الذى يصدق على النوابت ، وعلى ما يمكن أن يطلق عليه « طب المعاشرات » يتناقض مع القول بفكرة « مدينة فاضلة » امعانا فى النيل من هذه الفكرة وذلك فى قوله :

« ... كذلك يسقط هذا الذى نقوله متى كانت المدينة كاملة ، وتسقط منفعة هذا القول كما يسقط علم الطب وصناعة القضاء وغير ذلك من الصنائع ... »(١٩) الى آخر هذا المبحث .

وبهذا يتبين بوضوح أن ابن باجة يدعو الى دراسة مجتمع واقعى **وقد اهتدى الى أهم أصل من أصول هذه الدراسة ، وهو تقدير ما يسمى اليوم « بالعقل الجمعى »** على نحو ما يتبين ذلك فى رسالة « الوداع » وهو ما سنشير اليه تفصيلا بعد .

بهذا يتبين موقف ابن باجة من هدم القول بـ « مدينة فاضلة » .

ثانيا : ثم لابن باجة موقف آخر يعين على الهدم وان كان يمثل ناحية ايجابية وهى دراسة « فعل النوابت » .

يتعرض فى « المبحث الثانى » و « هو فى الأفعال الانسانية » الى بعض معالم هذا الفعل .

ويلاحظ أنه يبدأ باثبات بعض تقسيمات يونانية ، وينص على أنها أخذت فعلا من « نيقوماخيا » أرسطو اذ يقول :

« وقد لخصت هذه كلها فى نيقوماخيا »(٢٠) .

غير أن هذه التقسيمات لا تمثل أصولا فلسفية وانما هي على مستوى « الجزئيات » المأخوذة بصفة منفصلة عن جذورها ، الكلية في تفسير الوجود ، أي جذورها المتعلقة بالتخيل ، والمكونة للنسق التفسيري للوجود عامة والتي تجعله مرتبطا بـ « الكمال » و « الخير الأعلى » أو « المحرك الأول » (الأرسطي) ومفهوم قدم العالم .

قبل ابن باجة هذه التقسيمات طالما انها مأخوذة بصفة جزئية تبعدها عن هذه الكليات المرفوضة منه ، وجعلها لباسا لبعض أفكار واقعية أراد أن يعبر عنها ، ولا غضاضة في ذلك طالما أن الداعي الى قبولها هو اتفاقها مع آرائه النابعة عن الواقع أصلا .

وفي هذا تطبيق للمبدأ الذي سبق وذكرناه وهو أن ابن باجة يستعمل بعض التعبيرات والتقسيمات اليونانية ، للاستئناس بها ، وذلك بعد أن يخلصها من مضمونها الأصلي الذي قد يكون متعارضا مع الدين أو معوقا لحسن سير التفكير العلمي .

وهذا هو الذي جعل ابن باجة في حديثه في « الأفعال الانسانية » يلفظ ما سماه بـ « الفضائل الشكلية » بالنسبة للانسان العادي وليس « الالهي » و « الانسان الالهي » يخالف واقع الناس أجمعين . ويصدق على الأنبياء والرسل في بعض نواحي حياتهم ، وليس كلها ، أي حين يصدرون فيما يقولون عن وحي الالهي ، وفيما عدا ذلك فهم من البشر ، يتعرضون للصواب والخطأ .

فموقفه مما سماه بـ « الفضائل الشكلية » ويؤكد الأساس الواهي الذي ينطلق منه ويتضح من عرضه لحقيقة فكرة « الفضائل الشكلية » أنها لا تعدو أن تكون اطارات خاوية ، تصلح لمجال الفكر المنطقي في بعض مراحله وليس كلها.

لأن المنطق في نظر المفكر المسلم ليس كله اطارات خاوية ومنسقة ، على نحو ما عليه المنطق اليوناني الذي تبين أنه عقيم(٢١) وهومابينه ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) في كتاباته عن المنطق اليوناني وقد ظهر عقمه منذ بداية التفكير الفلسفي الأساسي(٢٢) .

اهم الفروق

ويتبين ابن باجة هذا العقم في مجال لم يلتفت اليه السابقون كثيرا وهو مجال « الفعل » الذي ينطوي على مفهوم « الاختيار » المرتبط بالأداء ويقدم لنا ابن باجة تفصيلا أوسع في رسالة « الوداع » على نحو ما سنبين .. بعد غير أنه يجب أن نشير هنا الى أن من أهم الفروق التي تبعد به عن المفهوم اليوناني للفعل ، قوله في الغايات ، اذ لم تعد تتحدد عنده بمفهوم العلة الغائية المرتبطة بفكرة التشبه بالخير الأعلى أو « المحرك الأول » (الأرسطي) ولكن بغاية قريبة ترتبط كما أشرنا اليها بالتفكر ، وهو يقول في ذلك :

« ... وأعني بالاختيار الارادة الكائنة عن روية »(٢٣) .

« والمحرك الأول عنده هو الفكرة » بالنسبة للفعل الارادي ، أي أنه يقف مع الفعل الجزئي الذي ينبعث من فكرة جزئية متضمنة لغاية تظهر فيما يحدث في الواقع الخارجي من تغير عقب اداء صاحب الفكرة للفعل يقول :

« والانساني هو ما يتقدمه أمر يوجبه عند فاعله الفكر »(٢٤) كما يقول :

« ... سواء كانت الفكر يقينية أو مظنونة(٢٥) أي أنه يشد ذهن الباحث الى الواقع الخارجي اليقيني ، أو الظن أي حيث الصدق أو الكذب . وهو ما يتبين من التغيير الحادث في الواقع الخارجي . اذن فابن باجة يسقط من حسبانه تماما فكرة العلة الغائية مفارقا بهذا صميم فكر أرسطو في مجال الغايات .

والغاية التي يتحدث عنها ابن باجة تنطلق من الواقع لترجع الى الواقع ، أي لتحدث فيه تغييرا ، مع التفات الى ما يمكن أن يصدر عن النفس البهيمية من مقاومة ، حتى لا يكون الفعل غير انساني ، لأن الانساني يوجب ما يستعلى عليه المثالي في « المدينة الفاضلة » الأفلاطونية .

ينتقل ابن باجة بعد ذلك من مجال الفعل الى « المحرك الى الفعل » وهو الفكرة ولذلك كان عنوان المبحث الثالث هو « الصور الروحانية » كما ذكرنا .

وقد استهل هذا المبحث بالاشارة الى مدلول لفظ الروح « ومشتقاته في لسان العرب » وعند اهل الاصطلاح كما أشرنا(٢٦) .

والذي يهمنا الآن هو أنه قد رفض في هذا المبحث تقسيما من التقسيمات الذهنية اليونانية، لبعده تماما عن أداء مدلول يتيسر لمسه في واقع محسوس أو ملموس . وهذا التقسيم هو

« الأجسام المستديرة » اذ قال بصراحة :

« وأما الصنف الأول (يعنى الأجسام المستديرة) فنحن نعرض عنه فى هذا القول(٢٧).

ثم أضاف :

« اذ لا مدخل له فيما نريد أن نقوله »(٢٨) .

القول الروحانى فى المطلق :

ويبين لنا ابن باجة سبب رفضه لهذا التقسيم ، فيقول :

« وانما نستعمل فى هذا القول الروحانى المطلق »(٢٩) .

ويوضح أكثر فيقول « وهو العقل الفعال ، وما ينسب اليه ، وهو المعقولات(٣٠) .

اذا فالمعقولات التى هى من نتاج الذهن ، هى التى يود أن ينطلق منها ابن باجة . الأمر الذى يجعلنا نتبين انه يرفض أن تكون هناك أجسام واسطة بين الخالق والمخلوق ، أو الموجد والموجود ، وهى التى يمكن أن تكون عن فيض مثلا ، كما هو الأمر عند أفلوطين ، وهى فى الوقت نفسه متخيلة أى فرض وجودها فرضا لا يسانده أى واقع خارجى(٣١) .

فقوله بأنه يبغى « الروحانى المطلق » الذى هو المعقولات يعنى بوضوح أنه يعترف بمجال العقليات التى تتبين للعقل دون أن يفرض أن وجودها فى أجسام « مستديرة » أو غيره .

ولما كان من الذين يعترفون بوجود خارجى منفصل عن الذات العارفة فالمعقولات لديه مستخلصة من المحسوسات ، دون فروض ترد الوجود الى أصل متعقل على نحو ما سيتبين ذلك تفصيلا بعد قليل . ومن الملاحظ انه لا يقبل سوى هذا النوع من المعقولات بالنسبة لكافة الناس ويسميها بـ «الروحانية»(٣٢) ويعطيها مستويين الأول أعم من الثانى ، لأن هذا الأخير يرتبط بالحسى كما أشرنا .

ويسمى ابن باجة أحد المستويين بـ « الروحانية العامة » وما دونها بـ « الروحانية الخاصة » .

ويتخلى تماما عن كل التقسيمات اليونانية التى أثبتها بصفة مسبقة ، وكأنه قد أثبتها من أجل أن يعرف القارىء أن هذه هى التى يلفظها ثم يعرف ابن باجة بكل قسم من قسميه فيقول :

الصور الروحانية :

« والصور الروحانية العامة » انما هى نسبة واحدة خاصة ، وهى نسبتها الى الانسان الذى يعقلها ، وأما الصور الروحانية الخاصة فلها نسبتان : احداهما خاصة ، وهى نسبتها الى المحسوس والأخرى عامة وهى نسبتها الى الحاس المدرك لها »(٣٣) .

اذا « فالروحانية العامة » التى ترتبط بالعقل المدرك لها ، والتى هى «الروحانى المطلق»(٣٤). **تترتب على مستوى أدنى يسبقها فى عملية تحصيل المعرفة أو كسبها ، هو مستوى « الحس المشترك » حيث تكون الصورة المتعقلة ما زالت مرتبطة بالمحسوس ، الذى آثارها فى الذهن على مستوى المتعقل ، فالمستويان مرتبطان تمام الارتباط بطرفين : المدرك والمدرك . والروحانى « المطلق » أو المعقول « المطلق » لا يتعدى مستوى الذهن البشرى . كما أن المتعقل أو المدرك أصلا الموجود ، الذى له وجوده بصفة منفصلة عن الذات العارفة . ومثال « جبل أحد »** يؤكد ذلك ولما كان ابن باجة يحرص تمام الحرص على ابراز هذه التفرقة بين ما يقدمه ، وبين مايمكن أن يكون قد ورد فى بعض كتب اليونان مثل كتاب « الحس والمحسوس » لأرسطو ، فانه يشير الى هذا الكتاب ويقول انه : « استقصى القول فيها من جهة ما هى أمور طبيعية(٣٥) والأمور الطبيعية عند ارسطو ترتبط ، كما نعلم بمفهوم الحركة الأزلية وبالتالى « بالقدم » .

فاشارته هذه تبين أن معالجة أرسطو لمثل هذه الأمور ، ليست على مستوى المعرفة وكسبها ، ولكن على مستوى تفسير الوجود ، ولذلك فأقوال أرسطو التى تشبه هذه الذى يقدمها ، تؤدى الى « القدم » وهو ما يرفضه ابن باجة .

كما يعنى ويؤكد أن هاتين النسبتين ، قد ذكرتا عند أرسطو ، ولكن دون بيان لأصنافها ، لأنها مدرجة ضمن تفسير الوجود ، وليس طريقة كسب المعرفة . **وهذه حقيقة غاية فى الدقة** ، وقد غفل عنها كثير من الباحثين فى ابن باجة لسيطرة فكرة تبعية المفكر المسلم للفكر اليونانى وهو ما يخالف حقيقة نتاج المفكر المسلم .

ولمسات ابن باجة لمضمون الفكر اليونانى فى

رسائله التى تتناولها بالبحث دلائل واضحة على اختلافه البين عن الفكر اليونانى .

ومما يؤكد تباين آراء ابن باجة عن آراء اليونانيين ، أنه عاد ووصف ما «تبين هناك»(٣٦) أى عند ارسطو وهو :

« الموجود فى الحس المشترك » الذى يمثل لديه أحط منازل الروحانية ويوجد فى « قوة التخيل » ثم الموجود فى قوة الذكر بأنها جسمانية(٣٧) أى أنها تمثل مستويات فى مجال المادة الأرسطية الممثلة للوجود وهى : « الهيولى » ، التى هى مادة لا متعينة كما نعلم ، وبالتالى فهى متعقلة فقط أى أنه يذكر القارىء بأن أرسطو ، اذا كان قد تكلم فى هذه المستويات فهو لم يتعرض لها على مستوى «كسب المعارف» ولكن على مستوى « تفسير الوجود » ، أى على مستوى الجسمانيات .

وهذا ما يرفضه ابن باجة ، **لأنه لا يتعامل مع مادة متعقلة ، وانما مع وجود خارجى له واقعيته المنفصلة عن الذات العارفة . كما ذكرنا .** وتفسير « للجسمانية » الأرسطية بعد ذلك(٣٨) يؤكد هذا التباين ، فهو يفرق بينها وبين ما يقصده فى مجال المعرفة ، وبيانه أن «العامة» و « الخاصة » لديه تمثلان مستويين معرفيين بين « المدرك » و « المدرك »(٣٩) أو حسب لغة ابن باجة ، بين « الانسان الذى يعقل »(٤٠) والمحسوس ويصرح ابن باجة بأن الصور الروحانية التى تختلف عن الصور اليونانية من حيث اقتصارها على المجال المعرفى أو مجال الفكر كما بينا ، هى التى تدخل فى مفهوم « التدبير الانسانى » اذ يقول : « والتدبير الانسانى يستعمل أصناف حيث النسب»(٤١) أى أنه يتخلى عن الصور المتوارثة ، **ولا يقبل سوى ما سبق وجوده من منطلقه الخاص** ، وبهذا نجد أن ابن باجة يتدرج بنا من مجال الفعل فى الجماعة الى دوافعه الشخصية ، مبرزا الوضع المخالف للمفاهيم المتوارثة ، والذى يمثل رأيه كمفكر مسلم ، يحترم الواقع الخارجى .

(ك) ومن السمات المميزة لابن باجة موقفه من « **مفهوم اليقين** » الذى يرتبط بموقفه من مصادر المعرفة ، حيث يعترف بدلالة المحسوس على وجود خارجى منفصل عن الذات العارفة .
فهو فى حديثه عن درجة يقين المعلومات فى « الاعتقاد »(٤٢) يشير فى البداية الى تقسيمات أرسطو ، ويركز على ابراز مفهوم اليقين الاريسطى الذى يرتبط بصناعة « المنطق » ، أى الذى لا يرى « اليقين » الا فى «الصادقة ضرورة» طبقا لتعبير أرسطو مستبعدا « المظنونة »

مثلا ، من هذه الدرجة من اليقين ، لأن اليقين لديه لابد وأن يمثل : « الصدق الضرورى منطقيا »(٤٣) وهذا ينطبق فقط ـ كما نعلم ـ على مجالى « الرياضيات » و « المنطقيات » الصوريين ، وليس على المعرفة الآتية عن طريق الحواس ، أى المعرفة الحسية التى يعترف بها ابن باجة ، لأنه كمفكر مسلم صقلته مفاهيم القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، يعتمد مفهوم الوجود الخارجى ، منفصلا عن الذات العارفة ، كما أشرنا .

الأمر الذى جعله فى مستهل كلامه فى مفهوم « اليقين » ، يصرح باهتمامه بما هو «بالحرص» على أساس أنه يقدم معرفة صادقة ، « وان كان يمكن أن تكون مخلوطة بالظن »(٤٤) .

نقطة اليقين

ويتبين الباحث أن الداعى الى تصريحه هذا هو ما ذكره فى نهاية كلامه فى هذه النقطة ، أى نقطة اليقين ، وهو اشتراط الانطلاق بالنسبة لمعرفة الموجودات من الموجود الخارجى ، وليس من « المتعقل » و « المتخيل » أى مما سماه « الصور الجسمانية » **يقول فى ذلك :**

« .. فان شرائط ما بالذات للصور الرواحنية الخاصة ، **فانما هو أن يكون ذلك موجودا للصور** الجسمانية ، كيف كان وجوده »(٤٥) .

« فالصور الروحانية » كما بين ابن باجة فى تعريف لها(٤٦) ، ترتبط بكل موجود مدرك على حدة ، **أو كما يقول ابن باجة : « بنسبتها الى** المحسوس »(٤٧) .

هنا يظهر الاختلاف الجذرى بين ابن باجة والفكر اليونانى ، مرة أخرى ، فيما يتعلق بالنظرة الى الوجود التى ترتبط بمفهوم اليقين .

ثم نجد الفكر اليونانى عند أساطينه وخاصة عند أفلاطون وأرسطو يتمثل الكمال فى « الثبات » ومن هنا كان « الجوهر » **ممثلا** للحقيقة فى مجالى « الوجود » و « المعرفة » ، غير أن ابن باجة كمفكر صقلته الثقافة الاسلامية يقدم العرض على الجوهر ويرى فيه مصدر تتبع سمات الحقائق الموجودة خارجيا .

ولا يجب أن ننسى أن قسمة الموجود قسمة عقلية ، الى « جوهر وعرض »(٤٨) عند بعض المفكرين المسلمين مثل بعض المتكلمين من الخلف وبعض الفلاسفة أمر دخيل فى التراث الاسلامى .

ولجأ اليه المفكر المسلم ، ليقدم لأهل عصره كلاما من « صناعة الفلسفة » كما سبق وأشرنا الى ذلك ، رغم عدم احتياج المفكر المسلم الى هذه القسمة فى تفسير الوجود .

ومما هو جدير بالذكر أن هؤلاء المفكرين قد اثبتوا هذه القسمة على المستوى المعرفى دون الوجود ، وأنهم عندما تعرضوا للوجود أسرعوا بالغائها من خلال أصولهم على اختلافها ، ومن أبرز هذه الأصول فى مجال الكلام ، ما قاله الاشاعرة عند اثباتهم « حدوث العالم »(٤٩) .

وقد أعطوا مكان الصدارة والأولوية للعرض بالنسبة لمعرفة الوجود . وابن باجة بتصريحه فيما يتعلق **بجعل « العرض » فى المظنونة الصادقة »** يؤكد اختلافه بصفة جذرية ، كما قلت عن المفكر اليونانى ، لأنه من جهة التفت الى الوجود الخارجى ، وأعطى له مكان الصدارة **بتقديم العرض على الشق الآخر من القسمة العقلية اليونانية ، أى « الجوهر » الذى لا نجد له ذكرا ظاهرا فى كلامه .**

فالعرض ، وما هو عارض « هو الذى يظهر اكثر فى تعبيراته ، وهذا يدل على أنه يعتمد ، للكشف عن الواقع المحسوس ، دون قسمة مختلفة لهذا الموجود العينى الكتلى .

ولذلك اختلف أيضا اختلافا جذريا فى مفهومه لليقين عن أرسطو صاحب القول بـ « اليقين المنطقى » الصادق ضرورة ، **فاذا بهذا المفهوم يتسع ليدخل فيه ما نسميه اليوم بمفهوم النسبة، وارتباطها بالاحتمالية .**

ذلك أنه فى شرحه لأقسام المعارف من جهة درجة يقينها ، يشير الى « الكاذب » و «الصادق» وأن شرط الصدق : « المرور بالحس المشترك » أى الارتباط بالموجود الخارجى فى وجوده العينى الكتلى دون المتعقل الأرسطى وأشار الى ما أثبته أرسطو فى « الريطوريقا » ولكن بنظرة مخالفة تماما لنظرة أرسطو .

فبينما نجد هذا الأخير يصنع المعرفة الخطابية فى درجة دنيا من حيث اليقين ، نجد ابن باجة يرتفع بها الى امكانية حصول القدر المطلوب من اليقين فى الموضوعات التى يعتبر أنها لابد وأن تمر بفحص ذهنى من قبل الباحث . ويبين أن هذا الفحص يتعلق بجزئى المتناقض ، أو طرفى النقيض ، فهذا ما يظهر لنا من خلال بعض تصريحاته فيما يتعلق بالمعرفة التى سماها بـ « الالهامات » .

اذ يقول مثلا :

« .. ينشأ .. الأمر الصادق دون أن يتقدم ونقيضه معا »(٥٠) .

كما يقول :

« .. هؤلاء يتقدم عندهم بالوضع أحد جزئى المتناقض على شريطة كل مطلوب »(٥١) هذه التصريحات تكشف عن أنه يعتمد حركة الذهن التى هى انتقال بين النفى والاثبات أو طرفى النقيض ، للوصول الى اليقين ، وأن هذا اليقين الذى يتعلق بموضوعات غير منطقية أو رياضية ليس صادقا ضرورة(٥٢) اذ قد يكون ضروريا» .

وأنه خلافا لأرسطو الذى وضع هذا النوع من المعرفة فى مرتبة دنيا من حيث اليقين ، يسلط الأضواء على هذا النوع من اليقين الذى يتلاءم مع نوع المعرفة التى اعتمدها فى بداية كلامه فى اليقين وهى معرفة الأعراض حيث قبل الصدق المختلط بقدر من الظن(٥٣) .

ويتبين اتجاهه هذا فى اشاراته الدقيقة الى مستلزمات التحقق باليقين فى الحسيات ، ويتضح أنه يقدر دور الوسائل المساعدة للحواس فى كشف الحقائق مثل « المرآه » ليظهر رشح التنفس ، يقول فى هذا المعنى : « فان التنفس من الخفاء بحيث لا تدركه الحواس »(٥٤) .

وهذا تقدير لما يمكن أن يقدمه التقدم العلمى بالنسبة لوسائل تحصيل معرفة الواقع الخارجى فى مجال الأبحاث العلمية ، أى كأنه قد تنبأ مع غيره من المفكرين المسلمين بامكانية وجود وسائل معاونة للتعرف على الحقائق الخارجة .

ومما يؤكد توسيعه لمفهوم اليقين ، بحيث أصبح يشمل يقينا آتيا عن طريق الحواس قوله :

«فالحس يوقع اليقين فى الصور الخاصة»(٥٥)

هذا الى جانب تقديره التام لليقين الآتى عن طريق العقل . ويتبين ذلك فى قوله :

« .. وقد يوقعه (يقصد اليقين) القياس »(٥٦) .

ولا تفوته الاشارة الى ما فى المعرفة الصوفية القلبية من ناحية عقلية وذلك بالكلام فيما سماه بـ « عين الجمع » أو « جمعك الله » . وهو ما يتضح فى الفكر اليونانى الأرسطى ، وكأنه بهذا يشير الى ما يسمى اليوم بـ « الحدس

العقلى » ان تعقل الحقائق دون تقسيم وتفتيت لموضوع المعرفة ، وفى لا وقت . ولديه أيضا المعرفة القلبية التى سبق أن أشرنا اليها .
وبما أن ابن باجة لم يقصد أصلا الكلام فى المعرفة للمعرفة ، وانما قصد بيان دوافع الفعل ، فاننا نراه بعد توضيح أغلب أنواع المعارف من حيث اليقين ، يشير الى ما يحتاج اليه « تدبير المتوحد » .

ثم يضيف :
« ولو ادركت لما كان منها مدينة ، **لبقى أشرف أجزاء الانسان فضلا لا عمل له(٥٧)**»، اى أن ابن باجة ، مع حرصه على المعرفة الآتية

عن طريق الحواس يؤكد المعرفة العقلية ، ودورها فى تحديد معالم « تدبير المتوحد » اى التفكير بصفة عامة . اكثر **من المعرفة الصوفية العقلية القلبية التى يختص بها قلة ، كما ذكر .**

ويتضح اهتمامه بربط تفكير المتوحد بفعله فى موضعين آخرين فى كلامه على اليقين « وذلك عندما يؤكد أنه يود أن يكون تدبير المتوحد مرتبطا بالحقائق الكائنة على نحو ما هى عليه حقيقة فى الواقع ، أى أنه يقصد « التدبير الصادق ، لأنه أصدق تدبير ولأنه قد يمكن أن ينال المتوحد السعادة به »(٥٨) .

(للحديث بقية)

---

(١) « تدبير المتوحد » ص ٤٠ من س ١ الى س ٦
(٢) نفس المرجع س ٨ ، ٩
(٣) « تدبير المتوحد » ص ٣٩
(٤) نفس المرجع السابق
(٥) نفس المرجع السابق آخر ص ٤٠ وأول ص ٤١
(٦) نفس المرجع ص ٤١
(٧) نفس المرجع ص ٤٠

(٨) ظهر مفهوم النسبية أيضا فى آخر صفحة ٤١ حيث يقول : « ان كل عمل غيره فان » ويشير ابن باجة الى أن هذه الآراء وردت فى (نيقوماخيا) ولكن من الواضح أن الفكرة الكلية قد طغت وعمت البصائر وقضت على تقدير النسبية .

(٩) تدبير المتوحد ص ٤١
(١٠) انظر هامش رقم ٢ من ص ١ من هذه المقالة .
(١١) تدبير المتوحد ص ٤١ س ٦
(١٢) نفس المرجع س ١٤
(١٣) نفس المرجع س ١٧ ، ١٨ ، ١٩

(١٤) نذكر بأن أرسطو لا يختلف عن أفلاطون فى المثالية رغم أقواله فى الحس والمحسوس حيث يقوم الكلام على أساس لا يقر الوجود الواقعى الخارجى المتعين .

(١٥) تدبير المتوحد ص ٤٢
(١٦) نفس المرجع ص ٤٣ س ١١
(١٧) نفس المرجع س ٢
(١٨) رسائل ابن باجة ص ١١٢
(١٩) تدبير المتوحد ص ٤٤ س ٤ ، ٥
(٢٠) تدبير المتوحد ص ٤١ مبحث فى الأفعال الانسانية .

(٢١) تناول الفيلسوف الانجليزى « فرانسيس بيكون » من القرن السابع عشر بيان عقم المنطق الارسطى وذلك فيما سماه بـ «الاورجانون الجديد» ردا على «الاورجانون القديم » الارسطى ومما هو جدير بالملاحظة أن الكثير مما ذكره فى هدم أقوال أرسطو المنطقية قد ورد عند ابن تيمية فى كتابه « الرد على المنطقيين » .

(٢٢) انظر مقالة الكندى فيلسوف العرب الأول بقلم دكتورة فوقية حسين محمود بكتاب مقالات فى أصالة المفكر المسلم ــ دار الفكر العربى ١٩٧٦ م القاهرة وقد نشر هذا المقال أيضا بمجلة المناهل (العدد ٧ ، ٨) التى تصدرها الوزارة المكلفة بالشئون الثقافية بالمملكة المغربية بالرباط .

(٢٣) فى الأفعال الانسانية ص ٤١ س ١٠
(٢٤) نفس المرجع س ٦ ، ٧
(٢٥) نفس المرجع س ٨
(٢٦) انظر المقال المنشور فى العدد الماضى .
(٢٧) « القول فى الصور الروحانية » المبحث الثالث من تدبير المتوحد ص ٥ س ٦
(٢٨) نفس المرجع س ٧
(٢٩) نفس المرجع ٨٠
(٣٠) نفس المرجع س ٨ ــ ٨١
(٣١) وهذا يؤدى الى رفض نظرية الاتصال كما رآها بعض الباحثين المحدثين (انظر المراجع الواردة فى آخر البحث تلك التى تتناول آراء ابن باجة بالبحث) .

ولعله يكون من المناسب هنا أن نشير فى ايجاز انىمضمون هذا الاتجاه يقول أصحاب هذا الاتجاه ان ابن باجة كان صاحب نظرية اتصال تجعل للمعقولات وجوداحقيقيا منفصلا عن الذات العارفة ، ومتدرجا فى الصعود حتى يلتحم بالعقل الأعلى فى وجوده ، والحقيقة أن ابنباجة كتب فى اتصال العقل بالانسان ولكنه عنى بالاتصال أن الله سبحانه وتعالى قد خلق العقل فى الانسان بالفطرة،فهو هبة من عند الله مفطورة فى الانسان ، وهى واحد فى الجميع ولكنهـا متكثرة لتكثر الأفراد ، يقـول فى ذلك : فالمعقول اذن كثيرة من جهة ، واحدة من جهة أخرى ، (انظر اتصال العقل بالانسان صفحة ١٦٦ من رسائل ابن باجةس ٦ ، ٧) وكل فرد يمثل وحده من ناحية وجوده اذ يقول : « انه واحد بعينه » (انظر نفس المرجع السابقص ١٥٧ من رسائله س ١٥) نراه يستعمل لفظ العقل تارة بمعنى « ملكه ذهنية » وأخرى بمعنى وجدان .

أو معرفة قلبية حيث الطريق مغاير لطريق الذهن ، لانهيخلو من التقسيم التفتيت ، وتتم المعرفة فيه بالحدس ، أى فى لا وقت ، ودون مجهود تسبر الحقائق ، وكأن الحقيقةتلقى فيها القاء .

فاذا كان أصحاب هذا الرأى يعنون أن ابن باجة قدأراد بالاتصال أن العقل الذى فى الانسان قديم ، لأنه من الله ، فهذا غير صحيح وهو ما يلفظه ابن باجة احتراما لرأيه فى التنزيه ، من جهة ، ومن جهة أخرى تقـديرا لرأيه بأن الانسان يكون بعد أن لم يكن ، وأنه يمثل وحدهمنذ بداية وجوده فى بطن أمه ، أى وهو فى مرحلة تسبق تلك التى ينال فيها « محركه الاول » أى النفس (أنظررسائله ص ١٥٧ من رسالته اتصال العقل بالانسان الفقرة الثانية مثلا) وأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذه الوحدةمن العدم .

أما اذا كانوا يعنون بالاتصال المعرفة القلبية الحاصلة بصفة متأخرة على وجود الانسان ، عندما تمارس النفس مختلف قدراتها التى لها بالفطرة ومنها المعرفة القلبية أو الوجدانية ، وهى المعرفة الحاصلة لاهل التصوف فهذا أمر صحيح .

ويكون مقصد ابن باجة من لفظ اتصال أن قلب الانسانيتصل بالله ، أى يتعرف عليـه بقلبه ، لان هذه معـرفة مفطورة فى القلب بالخلقة ، أى بارادة فعل الله ، وأن هذه المعرفة اما أن تحصل بتنقية النفس من شوائب المـادة وأدران الجسد ، أو أن يكون الفرد مهيئا أصلا لتلقيها وهىتحصل على العموم منا من الله سبحانه وتعالى .

ويجب أن نلاحظ أن ابن باجة يعتمد فى رسالته « اتصال العقل بالانسان على ما سبق وبينه فى رسائله الأخرى مثل « تدبير المتوحد » فقد وردت عدة اشارات اليها (منها صفحة١٥٩ ، ١٢ ، ص ١٦٠ س ١٨ ص ١٦١ س ١٠ ص ١٦٦ س ٩ ص ١٧٠ س ١٧) . وكذا رسـالته الوداع (انظر ص ١٦٠ س ١٧) حيث يتضح أنه يرفض القول بقدم العالم، وأن لا قديم الا هو سبحانه وتعالى جل شأنه .

وبالتالى فهو يحارب فى هـذه الرسالة أى « اتصال العقل بالانسان » القول بـ « العقل الواحد للعدد » الذى يجذب الأفراد كعلة غائية ، لانه يرى أنه لو كان الامر كذلك لكان تلك الاجسام المحركة كلها واحدة بالعدد (انظر ص ١٦١ من رسائله السطر الاخير) على نحو ما عليـه الامر عند أرسـطو الذى يرى أن الموجودات جميعهـا ، لا تمثل وجودا حقيقيا ، وأنها مراحل لوجود ناقص يتجـه الى الكمال بالتحرك شوقا الى المحرك الأول الأرسطى . ان ابن باجة يؤكد ضرورة أن يكون المعقول عن موجودخارجى مادى يقول فى ذلك :

« .. ثم ينظرون فيما (يقصد صورا روحانية لشخص ما) من جهة ما هى موجودة فى ذلك الوجود ، لا من جهة أنها مدركة عن شىء ما فاذا أدركوا معقولها لم يدركوه الا بتلك الصورة وهى فاسدة (آخر ص ١٦٤) أى أنه يلفظ أن يكون فهم الوجود من خلال صور متعلقة بصفة مسبقةوبصورة متخيلة كواسطة لانها عندئذ لا تكون حقيقيـة أى تكون فاسدة .

(٣٢) انظر رسائل ابن باجة ص ٥٠ س ٨
(٣٣) نفس المرجع سطر ١١ ، ١٢
(٣٤) نفس المرجع س ٧
(٣٥) نفس المرجع ص ٥١ س ١
(٣٦) انظر ص ٥١ من رسائله س ٣
(٣٧) نفس المرجع من س ٢ الى س ٥
(٣٨) نفس المرجع س ٦
(٣٩) صفحة ٥٠ من رسائله س ١١
(٤٠) نفس المرجع س ١٢
(٤١) انظر رسائل ابن باجة الفلسفية ص ٥١ س ٢
(٤٢) انظر رسائله ص ٥١ س ١٨
(٤٣) نفس المرجع س ٢٠
(٤٤) نفس المرجع ص ٥٢ س ١
(٤٥) نفس المرجع ص ٥٧ س ١١ ، ١٢
(٤٦) نفس المرجع ص ٥٠ س ١١
(٤٧) نفس المرجع السابق .

(٤٨) انظر فى هذا خاصة قول الباقلانى فى كتابه «التمهيد» باب حدوث العالم . والبغدادى فى كتابه «أصول الدين» نفس الباب . وأيضا الجوينى (المتوفى سنة ٤٩٨هـ/١٠٨٩م) — امام الحرمين —

فى كتابه « لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، تقديم وتحقيق دكتورة فوقية حسين محمود (سلسلة تراثنا القاهرة ١٩٦٤) باب حدوث العالم ثم المكلاتى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٣٧ م) فى كتابه « باب العقول فى الرد على الفلاسفة فى علم الاصول» تقديم وتحقيق وتعليق دكتورة فوقية حسين محمود . (باب حدوث العالم) أنظر أيضا مقالة المفكر المسلم والواقع من كتاب « مقالات فى أصالة المفكر المسلم » بقلم دكتورة فوقية حسين محمود ، دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ١٩٧٦ ــ وأيضا المقالتين التاليتين فى نفس المصدر ، الأولى خاصة بالكندى والثانية بالفارابى ، لتبين موقف الفيلسوف المسلم.

(٤٩) أثبت الأشاعرة بصفة عامة أصولا أربعة فى اثبات « حدوث العالم » انطلاقا من القسمة العقلية للموجود الى جوهر وعرض . هذه الأصول هى :

(أ) اثبات العرض .
(ب) اثبات حدوثه .
(ج) اثبات استحالة تعرى الجوهر عن العرض .
(د) اثبات استحالة الحوادث لا أول لها .

وينتهون من هذه الاصول الاربعة الى ابراز اثبات حدوث الجوهر أيضا ، لانه لا يسبق الحادث الذى هو العرض ومالا يسبق الحادث حادث ، وبهذا يكون الموجود حادث بشقيه مما يؤكد حدوثه ككل .. الخ . ويلاحظ أنهم قد وجهوا الاضواء أولا الى العرض دون الجوهر . توكيدا لتلك الحقيقة التى أشرنا اليها وهى : أنهم يعطون أهمية للعرض دون الجوهر ، لان العرض هو المرئى ، وما وراء المرئى عندهم لا وجود له الا فى العقل .

(٥٠) انظر رسائل ابن باجة ص ٥٣ س ٧
(٥١) نفس المرجع س ٥
(٥٢) نفس المرجع ص ٥١ س ٥
(٥٣) رسائل ابن باجة ص ٥٢ س ١
(٥٤) نفس المرجع ص ٥٤ س ١٩
(٥٥) نفس المرجع ص ٥٥ س ١
(٥٦) نفس المرجع السابق .
(٥٧) نفس المرجع ص ٥٥ س ٢١
(٥٨) نفس المرجع ص ٥٦ السطر الاخير .

بقية مقال الفكر الاسلامى المعاصر

لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس وا تطور الرياضيات الى صورة لم يعرفها اليونان . وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب الى العالم الأوربى)(١) .

واذا كنا نريد لفكرنا الاسلامى أن تعود له أصالته وأن يشق طريقه مرة أخرى الى العالمية ، فليس معنى ذلك أننا نريد بذلك أن نرفض الفكر العالمى الحالى رفضا مطلقا وانما نحن نعى تماما أن هذا الفكر له ايجابياته وله سلبياته ، ومن المفيد معرفة ما فى هذا الفكر من ايجابيات وسلبيات لنتفادى هذه السلبيات فى انطلاقتنا

(١) انظر : تجديد التفكير الدينى فى الاسلام للدكتور محمد اقبال ، ترجمة عباس محمود ص ١٥٠ القاهرة ١٩٦٨ .

الجديدة ، حتى يمكن أن نصل الى استقامة الفكر القائمة على عنصر التوازن الذى يؤكد عليه الاسلام ..

التوازن بين المادة والروح ، بين الفرد والمجتمع .. بين عقل الانسان وجسمه .

ولا شك أن وسائل الاعلام فى عصرنا الحاضر من أخطر الوسائل فى العمل على ترسيخ القيم التى نريد أن نرسخها فى أذهان الناس وعقولهم حتى يمكن أن نجعل الفكر الاسلامى ليس مجرد نظريات فلسفية أو اجتماعية أو سلوكية أو ما شاكل ذلك ، وانما نريد أن يترجم ذلك كله الى سلوك حضارى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا السلوك الحضارى هو فى النهاية سلوك اسلامى ..

الإسلام والديانات السماوية الأخرى

الدكتور محمد الأنور حامد عيسى

ضرورة الدين لبنى البشر أمر ثابت ونعنى بالدين المنهج الربانى والأحكام التى جاء بها رسل الله للانسان على الأرض .

ويتطلب منا البحث أن نحدد العلاقة بين الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وبين الديانات السماوية الأخرى التى جاء بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

واذا أردنا أن نحدد العلاقة بين شيئين يلزمنا فى البدء أن نعرف حقيقة هذين الشيئين ، ومن خلال معرفة كنه كل منهما تتبين لنا العلاقة بوضوح .

واذا كنا الآن بصدد الاسلام والديانات الأخرى فاننا نسأل ما هو جوهر الاسلام ؟ وما هو جوهر الديانات الأخرى ؟ ثم ما هو المصدر لكليهما ؟

جوهر الاسلام الايمان بالله :

أما عن جوهر الاسلام فهو الاعتقاد الصادق بوجوده عز وجل وتفرده بالوحدانية وبكل صفات الكمال وتنزهه عن كل نقص وهو الخضوع والخشوع والانقياد والتسليم المطلق والعبودية الكاملة لذاته سبحانه وتعالى ، وهو التأثر الصادق بكرم الله على عباده ، والثقة التامة بتدبيره ورحمته وعدله ، وهو الالتزام بكل الأوامر والابتعاد عن كل النواهى والاستقامة فى القول والفعل .

هو فى كلمتين ايمان واستقامة :

عن سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم »(١) .

ومصدر الاسلام وأساسه ومنزل تشريعاته هو رب العزة سبحانه وتعالى واذا كان هذا بتبسيط شديد هو جوهر الاسلام ومصدره ، فما هو جوهر الديانات السماوية ومصدرها ؟ .

للاجابة نعود الى آخر كتاب سماوى الى القرآن الكريم لنستلهم منه الحقيقة .

الاسلام رسالة جميع الأنبياء :

يقول نوح عليه السلام لقومه **« وأمرت(٢) أن أكون من المسلمين »** .

ويتجه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهما يقيمان البيت الحرام بالدعاء الى الله عز وجل قائلين **« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »(٣)** .

ويسأل يعقوب بنيه قائلا « ماتعبدون من بعدى »(٤) فيجيبونه « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون »(٥) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) يونس ٧٢ .
(٣) الخروج البقرة ١٢٧ .
(٤) البقرة ١٣٣ .
(٥) البقرة ٣٣ .

ويقول موسى عليه السلام لقومه « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين »(٦) .

ويقول الحواريون لعيسى عليه السلام «آمنا بالله واشهد بانا مسلمون »(٧) .

ويأمر القرآن الكريم البشر بالايمان بالأنبياء جميعا فى قوله « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٨) .**

فاذا ذهبنا الى التوراة نستلهم منه الحقيقة ونبحث فيه عن وحدانية الله سبحانه وتعالى « أنا هو الرب وليس غيرى وليس دونى اله ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر »(٩) ويقول « أنا الرب صانع كل شىء ناشر السموات وحدى باسط الأرض من معى »(١٠) فى التوراة أيضا « أنا الرب الهك لا يكن لك الهة غيرى ... أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك . لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك »(١١) .

وفى أنجيل متى يقول عيسى عليه السلام « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل »(١٢) .

ويتحدث عيسى عليه السلام مبينا للناس أنه لم يأت برسالة من عنده ولم يخترع دينا وانما الرسالة والدين من الله سبحانه وتعالى «ماأتيت لأصنع مشيئتى بل مشيئة من أرسلنى »(١٣) ويقول فى أنجيل يوحنا أيضا « لكن الذى أرسلنى هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم »(١٤) ويقول المسيح عليه السلام أيضا « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته . أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته »(١٥) ويدخل أحد الناس على السيد المسيح عليه السلام وهو جالس يشرح تعاليم الله فيسأله قائلا : أية وصية هى أول الكل فأجاب المسيح « ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك »(١٦) .

بعد هذه السياحة نعود الى السؤال المطروح ما هو جوهر الأديان الأخرى وما هو مصدرها؟

جوهر الايمان واحد :

لقد جاء نوح بالاسلام وكانت دعوة ابراهيم واسماعيل هى الاسلام وعبد اسحق ويعقوب وأبناء يعقوب الها واحدا هو الرحمن الرحيم وموسى وعيسى كانت دعوتهما الاسلام وجاء محمد صلى الله عليه وسلم فى نهاية المطاف ليقول « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هل وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »(١٧) .

فاذا كان الاسلام يعنى التوحيد الخالص والعبودية المطلقة لرب هذا الكون والتزام لكل ما أمر الله واجتناب لكل ما نهى عنه .

واذا كان الاسلام هو دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فهو فى نفس الوقت دعوة كل أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام واذا كان مصدر الاسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الله عز وجل فهو سبحانه مصدر دين كل الأنبياء من قبله عليه الصلاة والسلام .

وعلى هذا نقول : ان جوهر الأديان السماوية كلها واحد ، ومصدرها جميعا هو الله سبحانه وتعالى ، واذا كان الجوهر واحدا ، والمصدر واحدا ، فان العلاقة بين الأديان السماوية تكون علاقة بناء ومحبة وسلام وتضامن من أجل رخاء الانسان على الأرض المستخلف فيها ، وطهارته من شرور الشيطان استعدادا ليوم اللقاء العظيم علاقة الأديان السماوية كلها علاقة توحيد واكمال وتعديل لبعض الأحكام .

---

(٦) يونس الآية ٨٤ .
(٧) آل عمران الآية ٥٢ .
(٨) البقرة الآية ١٣٦ .
(٩) أشعياء الاصحاح ٤٥ .
(١٠) اشعيا الاصحاح ٤٤ .
(١١) الخروج الاصحاح ٢٠ .
(١٢) انجيل متى الاصحاح ٥ .
(١٣) انجيل يوحنا الاصحاح ٦ .
(١٤) انجيل يوحنا اصحاح ٨ .
(١٥) انجيل يوحنا اصحاح ١٧ .
(١٦) انجيل مرقس اصحاح ١٢ .
(١٧) رواه البخارى .

الهدف من تعدد الرسالات :

فلقد علم الله سبحانه وتعالى وهو خالق الكون والانسان ما يصلح من شأن خلقه ، وعلم مايمكن أن يتقبله الانسان فى فترة دون فترة ، ولهذا تعددت الرسالات السماوية الا أن تعددها لم يكن فى الأصول فكلها تدعو الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالايمان بالقضاء والقدر ، وكلها تدعو الى السماحة والأمن والى كل القيم النبيلة ، وتنهى عن كل ما يصطدم بفطرة الانسان .

أما التعدد فقد جاء فى القوانين التى تتمشى مع طبيعة الزمن ، ولما أكتمل نمو الانسان ، جاءت الرسالة الخاتمة مكملة لتشريعات السماء بقول سبحانه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »(١) يقول الدكتور محمد عبد الله دراز « لقد جاء الأنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة اذ أعلن عيسى أنه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراه اذا أعلن أن محمدا جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

ولكن يجب أن نفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ولا انكارا لحكمة أحكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب .... ذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات ، تشريعات خالدة لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع ، وتشريعات موقوتة بآجال طويلة أو قصيرة فهذه تنتهى بانتهاء وقتها وتجىء الشريعة التالية بما هو أوفق بالأوضاع الناشئة الطارئة »(٢) .

موقف أتباع محمد عليه السلام :

ونأتى الى نقطة أخيرة وهى اذا كان الاسلام هو دين أنبياء الله ورسله عليهم جميعا السلام وكان آخر رسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وآخر كتاب سماوى هو القرآن الكريم .

فما هو موقف المسلمين اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والأنجيل ؟

وللاجابة نقول : اننا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام نؤمن بتوراة موسى عليه السلام الذى جاء به من عند ربه بدون أى تحريف ونؤمن بانجيل عيسى عليه السلام الذى جاء به من عند ربه بدون تحريف .

والمشكلة ليست مشكلة الكتابين المقدسين فالايمان بهما من عقيدتنا يقول سبحانه وتعالى « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** »(٣) .

وانما هى مشكلة العقل البشرى الذى لم يكتف فى حركته المغرورة بتحطيم نفسه وتزييفها، وانما راح وبعنف يحطم القيم النبيلة ويزيف الحقائق الالهية ثم يقاتل لنشر الباطل فى أقل مكان .

نحن نؤمن بموسى عليه السلام وبكتابه المقدس ونؤمن بعيسى عليه السلام وبكتابه المقدس لكن ايماننا يدعونا الى النصح ومن النصح أن نقف متأملين أمام بعض النصوص التى وردت فى التوراة والأنجيل ونسأل أنفسنا هل هى حقا نصوص مقدسة أو هى من صنع عقل ماكر أراد بالانسان فى كل زمان ومكان الشر والعداء وأراد بالأديان وبذات الله العلية وبرسله عليهم السلام السوء كل السوء .

ونذكر بعض هذه النصوص :

١ ـ **يحكى التوراة قصة بدء الخلق** وفى بداية الاصحاح الثانى يقول « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح من جميع عمله »(٤) .

وملخص النص ان الله يتصف بالتعب والاعياء والقرآن الكريم صراحة يقول « **أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير** »(٥) ويقول «**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** »(٦) .

٢ ـ يحكى التوراة قصة أكل آدم وحواء من

---

(١) المائدة الآية .

(٢) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ص ١٨٥ .

(٣) البقرة الآية ٢٨٥ .

(٤) سفر التكوين الاصحاح الثانى والخروج الاصحاح العشرون .

(٥) الاحقاف الآية ٣٣ .

(٦) الاحقاف الآية ٣٨ .

الشجرة التى نهاهما سبحانه عن الأكل منها ويبين كيف أصبحا عريانين . ثم يقول « وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنه ... فاختبأ آدم وحواء من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة، فنادى الرب الاله ادم وقال له اين أنت ؟ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت فقال من أعلمك انك عريان هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تاكل منها »(١).

ويتلخص النص فى أن الله يتمشى فى الجنة وأنه لا يعرف شيئا عما خلقه .

٣ — وبعد أن أكل آدم وامرأته وعرفا كل شىء يخاف الله أن يصبح الانسان خالدا مثله اذا أكل من شجرة الحياة ولهذا يقول التوراه « وقال الرب الا له هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبدفأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منهـــا » (٢) .

٤ — وينزل الله تعالى من ملكوته ويجلس مع سيدنا يعقوب ويصارعه طول الليل ويصر سيدنا يعقوب أن لا يخلى سبيل الرب ليمضى لشأنه الا بعد أن يأخذ منه البركة بقول التوراة فبقى يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال اطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك ان لم تباركنى : فقال له ما أسمك ؟ فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال اخبرنى باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمى وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان (فينئيل) قائلا لأنه نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى »(٣) .

٥ — والله سبحانه وتعالى يثور ويغضب وينوى البطش ببنى اسرائيل الا أن موسى عليه السلام يهدىء من روعه ويطالعه بالندم ، فيعدل الاله عما كان ينوى فعله ويندم هكذا يقول نص التوراة الآتى « وقال الرب لموسى رأيت هـذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وافنيهم فاصيرك شعبا عظيما .

فتضرع موسى أمام الرب الهه وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته

(١) سفر التكوين الاصحاح الثالث .
(٢) سفر التكوين الاصحاح الثالث .
(٣) سفر التكوين الاصحاح ٣٢ .

من أرض مصر .... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ، اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك... فندم الــرب على الشر الذى قـال انه يفعله بشعبه »(١) ...

واذا كانت صور الالــه قد صرفت فى بعض نصوص التوراة فهو اله يتعب ويحتاج للراحة ولا يعلم عن خليقته شيئا ويخاف أن ينازعه الانسان فى الأبدية ويصارع الانسان ويباركه حينما يضغط عليه وهو اله يثور ويغضب وينوى البطش الا أنه يقتنع من جهة الانسان ويندم .

٦ — كذلك فان صورة الأنبياء لم تسلم من العقل البشرى فنبى الله لوط تسكره ابنتاه ليرتكب فيهما فحش جريمة فى جميع الأديان .

يقول التوراه « وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه يخاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا .

فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعهـا ولا بقيامهـا .

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع أبى فسيقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من ابينـا نسلا . فسقتنا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولـم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتـا لوط من أبيهمـا »(٢) .

٧ — ونعلم جميعـا أن النبوة لا تكون بالاكتساب وانما هى منحة يختص بها الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده ، الا اننا لو رجعنا الى الاصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين ، لوجدنا انها ليست اكتسابا فقط وانما تأتى بالمكر والخديعة فنبى الله اسحق يكلف ابنه عيسى باحضار أشياء حتى يعطيه النبوة ويعلم بذلك الأبن الثانى يعقوب فيحتال على أخيه ويلجأ الى الحيل ويغرر بأبيه حتى يأخذ منه النبوة بدلا من أخيه عيسو ، ويكتشف الأب بعـد أن منح النبوة ليعقوب أنه غرر به ومع ذلك لا يعدل عن رأيه وانما يستسلم للخديعة .

(١) سفر الخروج الاصحاح ٣٢
(٢) سفر التكوين الاصحاح ١٩ .

وعلى من يريد التأكد من هذا أن يعـود الى الاصحاح المذكور ليقرأه بنفسه .

المسيح عليه السلام رسول من رسل الله الكرام:

٨ ــ والسيد المسيح عليه السلام أتى لينشر الحب والأمن والسلام وهو كبقية أنبياء الله جاء للاصلاح لا للتدمير يقول عليه السلام « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ــ طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون »(١) .

هذا النبى المكرم الذى يدعو للرحمة والنقاء والتسامح والسلام هل يمكن أن تكون النصوص الآتية ضمن كتابه المقدس ؟

يقول الاصحاح العاشر من أنجيل متى « ولا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض .ماجئت لألقى سلاما بل سيفا . فانى جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكفة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته »(٢) .

ويقول انجيل لوقا «جئت لألقى نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت . اتظنون انى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما »(٣) .

والسيد المسيح عليه السلام كان حريصا على أن يردد أنه ابن الانسان وقد فسر أكثر من مرة بأن معنى أنه ابن الله أنه المطيع أو المخلص ومع هذا نرى فى الانجيل « أنا والآب واحد » ونجد « فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فى وأنا فيه » .

(١) انجيل متى الاصحاح ٥ .
(٢) انجيل متى الاصحاح ١٠ .
(٣) انجيل لوقا الاصحاح ١٢ .

واذا كان السيد المسيح عليه السلام يقول « لا تظنوا أنى جئت لا نقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لاكمل » فان هذا يلزم اتباع موسى عليه السلام ــ مع ايمانهم بكتابه الصحيح ــ أن يؤمنوا برسالة عيسى عليه السلام حتى تصدق عليهم كلمة الاسلام فاذا أنكروا خرجوا من دائرة الرسالات السماوية فاذا جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة السماوية الخاتمة الجامعة المكملة لكلمة السماء الى الأرض، اذا جاء يقول ربه **« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »** وبقوله **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** وبقوله **« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا »** وبقوله **« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »** واذا جاء صلى الله عليه وسلم ليقول لكل البشر . كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود » ــ وفى رواية « وبعثت الى الناس عامة » وفى رواية أخرى « وبعثت الى الخلق كافة » والروايات كلها فى صحيح البخارى .

واذا كان صلى الله عليه وسلم قد أمر بالتبليغ بقوله تعالى « يايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » فان التبليغ ينسحب الى كل البشر بما فيهم أصحاب الديانات السماوية ، ويلزمهم مع ايمانهم بالتوراة الصحيحة والانجيل الصحيح الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبكل لفظ ورد فى القرآن الكريم ، واذا لم يفعلوا ذلك خرجوا عن دائرة الاسلام لانهم رفضوا رسالة خاتمة وكتابا خاتما وبالتالى رفضوا دين الله .

ونحن المسلمين نعيش بالسماحة والحب والسلام ونذكر بالدين الخاتم ومنطلقنا قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فان استجابت العقول والقلوب كانت مسلمة مؤمنة والا قلنا عن قناعة « لكم دينكم ولى دين » .

نشاط

مصر

التفسيرى للقرآن الكريم حتى العصر الحديث

الدكتور محمد ابراهيم شريف

يمكن

القول أن مصر اسهمت بنصيب وافر ودور واضح فى الفكر الاسلامى على أساس من وحدة الأصل المشترك والحضارة المشتركة بين العرب والمصريين ، واندأحت دائرة هذه الاسهام بعد الفتح الاسلامى حين امتزجت موروثات التراث المصرى ببذور الفكر الاسلامى ، وتعربت عناصره المختلفة مع تعرب أصحابه ، وكونتا مادة غزيرة ومنبعا خصبا للثقافة الفصحى فى شتى صورها .

وقد اكتمل للمصريين بتغيير لغتهم للمرة الأولى ، وديانتهم للمرة الثانية على هذا النحو ميلادهم العربى الاسلامى ، كما كان هذا التغيير — فى حد ذاته — دليلا على تقبلهم للثورة الاسلامية واستجابتهم للدين الجديد ، أما الحماس المخلص الذى تلقوا به القرآن الكريم ، والجهد السخى الذى بذلوه فى تدوينه وقراءاته وتفسيره — فيعد هو الآخر دليلا على تلك السمة العريقة للحياة المصرية ، وهى أن مصر — منذ أن ابتكرت حضارتها الأصلية — ظلت تسهم فى كل حركة عالمية ، وتشارك فى كل حضارة انسانية دون أن تختفى لحظة واحدة من على مسرح التاريخ(١) .

◇ ◇ ◇

وليس من الغريب القول هنا ان روح الاسلام ونظامه قد أنست المصريين ملوكهم وفراعنتهم ، وصرفتهم عن ماضيهم ، وهو ما يعكسه تمدجهم بالديانة الجديدة ، وترحيبهم بها(٢) ، وعنايتهم الكبيرة بما حملت اليهم من ثقافة وتوجيه وعلوم .

ولسنا ننكر أن اسلام كثير منهم لم يكن فى بادىء الأمر وليد تفهم واضح لمبادىء الرسالة الجديدة بقدر ماكان رغبة فى التخلص من أعباء نفسية ومادية تولدت من وضعهم الدينى القديم ، ووجدوا

(١) راجع : القرآن وعلومه فى مصر — عبد الله خورشيد ص ١٢ ، دار المعارف ١٩٧٠ م .

(٢) راجع : الدعوة الى الاسلام — أرنولد ص ٩٣ ، خطط المقريزى ١١٧/١ ، وانظر أقوال يوحنا النقيوى فى صور من تاريخ القبط ص ١٧٩ ط. ٤ سنة ١٩٥٠ م .

فى الاسلام خلاصا من هذا كله ، ولكن ما نقرره أيضا هو أن مشاركتهم فى النشاط العلمى الاسلامى الذى زخرت به مصر فى ذلك الحين كان كفيلا بتدارك الأمر ودأب الصدع ، اذ سرعان ماأصبح فهم الرسالة والتفقه فى الدين فى متناول الكثير من المسلمين المصريين وأبنائهم من بعدهم ، وكان نصيبهم فى ذلك موفورا فملأوا أسماع الدنيا بما شاركوا وصنعوا فى هذه الميادين .

على أن ما يهمنا فى المقام الأول الآن هوالكشف عن وجه الحقيقة فيما قام به المصريون من نشاط فى فهم القرآن الكريم وتفسيره ، وهل كان دورهم فى ذلك ايجابيا مثمرا — على الرغم من غفلة كثير من الدارسين عن هذا الدور — ؟ ، أم أنهم كانوا الى التحرج من كتابةالتفسير أدنى منهم الى اباحة القول فيه ، وأن دورهم لا يعتد به أولا يؤبه له اذا ما قورن بأدوار الأقاليم الاسلامية الأخرى ؟، كما يفهم من صنيع السيوطى فى كتابه طبقات المفسرين الذى ترجم فيه لمائة وثلاثة وثلاثين من المفسرين لم يكد المصريون منهم يبلغون عشرة فحسب ، ومن أجل هذا لم يعقد لهم فصلا فى كتابه « حسن المحاضرة » حيث عقد لغيرهم من النحاة والفقهاء والمحدثين .

منذ الفتح الاسلامى :

والحق أن من تمثل بهم السيوطى فى طبقاته كانوا — باستثناء النحاس والادفوى(٣) — ممن عاشوا بعد القرون الأربعة الأولى للهجرة ، التى شهدت البدايات الأولى لعلم التفسير فى مصر وتطوره ، ثم ظهور المدارس فيه ذات المناهج والأعلام ، والتى تتميز فى سماتها وخصائصها عن مدارس التفسير الأخرى ، واغفال هذه القرون الأربعة بما شهدته من جهود للمصريين فى ميدان التفسير خلالها ، ثم التغافل عن كثير من أئمة القرون التالية — يقلل كثيرا من قيمة صنيع السيوطى — ان لم يسقطه من أساسه — وهو صنيع أدى بدوره الى نتيجة خاطئة راجت عند كثير من المحدثين الذين أرخوا للثقافة الاسلامية، والحياة الفكرية فى مصر(٤).

وليس من المبالغة القول بأن التفسير فى مصر بدأ مبكرا منذ الفتح الاسلامى ، ونشأ على شكل روايات تفسيرية متناثرة تناقلها التابعون المصريون عمن لقوهم من الصحابة والتابعين ، ويذكر تاريخ التفسير من هؤلاء : أبا عمران النجيبى أسلم ابن يزيد — الذى روى عن الصحابى أبى أيوب الأنصارى ، وكان موجودا فى غزو القسطنطينية ٤٩ هـ — ، وعبد الرحمن ابن حجيرة الخولانى قاضى مصر (ت ٨٣ هـ)(٥) ، وأبا الخير مرثد اليزنى (ت ٩٠ هـ) وعلى بن رباح اللخمى (ت ١٤هـ)(٦).

ولم يمنع تناثر هذه الروايات من وجود أفراد تمتعوا بمستوى علمى رفيع ، واتجهوا اتجاها مقصودا وواعيا الى دراسة القرآن وفهمه ، وشجعهم على ذلك من وجد بين ظهرانيهم من أجلاء الصحابة والتابعين الذين أقاموا بمصر ، أو زاروها ، والذين يعتبرون أساتذة المدرسة المصرية ، وواضعى أسسها ، ومن أهمهم : عقبة ابن عامر أمير مصر (ت ٥٨ هـ) ، وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) ، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) الذى زار مصر مرتين ولأهلها عنه أحاديث، وعتبة بن الندر الذى شهد فتح مصر ونزلها (ت٨٤هـ) ، والتابعى الكبير حنش بن عبد الله الصنعانى (ت١٠٠هـ) ، ثم مجاهد بن جبر المكى (ت١٠٣هـ) ، وعكرمة البربرى مولى ابن عباس (ت١٠٥هـ) التابعان اللذان دخلا مصر فى أواسط القرن الأول الهجرى ، وهما ان تحاشى المصريون تفسيريهما فى البداية ، فقد عرفا طريقهما الى مصر فى القرن الثالث الهجرى ، فوق ما انتشر لهما من روايات فى هذا القرن .

مدرسة التفسير :

وقد غطت أعمال هؤلاء وغيرهم القرن الأول الهجرى ، واشتركت جميعا فى تأصيل حركة التفسير فى مصر ، ومهدت لقيام مدرسة التفسير الأولى بها والتى كان عمادها فى القرن الثانى :

١ — عطاء بن دينار الهذلى (ت١٢٦هـ) وهو الذى عثر على تفسير سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) فى الديوان فأخذه وأرسله عنه ، ويرجع اعتبار ابن دينار من عمد المدرسة المصرية الى نشره لهذا التفسير ، اذ حدث به المصريين : ابن لهيعة المحدث الشهير (ت١٧٤هـ) ، وحيوة بن شريح (ت١٥٨هـ) الفقيه ، وغيرهم ، كما ترجع أهمية هذا التفسير بالنسبة الى حركة التفسير المصرية

---

(٣) أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٧ هـ) ، أبو بكر الادفوى (٣٨٨ هـ) .

(٤) راجع : الحركة الفكرية فى مصر — عبد اللطيف حمزة ص ١٩٠ الفكر العربى د.ت .

(٥) راجع : فتوح مصر — ابن عبد الحكم ص ٢٦٨ ، ٢٣٥ ليدن ١٩٢٠ ، تهذيب التهذيب — ابن حجر ٦/١٦٠ حيدر اباد ١٣٢٥ هـ.

(٦) راجع : تهذيب التهذيب ١٠/٨٢،فتوح مصر ص٣٠٤ .

الى أنه أول تفسير كامل منظم ومدون يظهر بها ، وقد سد فراغا حقيقيا ، وأشبع حاجة فعلية عند المصريين الذين لم يكن لديهم من التفسير حتى ذلك الحين سوى أقوال . متفرقة ، ولا أدل على احتفال المصريين بهذا التفسير من حرصهم على تناقله عبر الزمن منذ أن ظهر بينهم أول القرن الثانى حتى استقر أخيرا فى تفسير ابن أبى حاتم الرازى (ت٣٢٧هـ) فى نهاية القرن الثالث الهجرى(٧) .

٢ ـ عبيد بن سوية الأنصارى (ت١٣٥هـ) رجل صالح من أهل مصر كان من أهم المفسرين وأشهرهم ، وقد روى عن قاضى مصر الخولانى ، ويقرر المؤرخ المصرى ابن يونس أنه كان يفسر القرآن الكريم(٨) ، وهو تقرير لا يسع الدارس حياله أن يقرر ما اذا كان تفسيره قد دون أم لا ؟ وعلى أى حال فنحن هنا أمام مفسر مصرى مبكر قد أهمل أوضاع تفسيره .

٣ ـ عبد الله بن وهب (ت١٩٧هـ) الشاب المصرى المتحمس الذى عكف قرابة ثلاثين عاما فى رحلة علمية بالمدينة المنورة التى ما زالت الى ذلك الوقت العاصمة الروحية والفكرية للعالم الاسلامى ، وكان بها من العلماء عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت١٨٢هـ) المفسر الكبير الذى حرص ابن وهب على أن يكون عماد تفسيره ما سمعه من أستاذه المدنى ابن زيد .

وقد نال ابن وهب المصرى ثقة أساتذته ، فلقبوه بالعالم ومفتى أهل مصر ، وألف مواطنوه تسميته «ديوان العلم» ، ويعد من أوائل المصنفين لافى مصر فحسب ، بل فى العالم الاسلامى كله ، ومن مصنفاته تفسير القرآن الكريم الذى أشار اليه صاحب كشف الظنون(٩) ، وهو ان كان مفقودا فى صورته المستقلة ، فهو مضمن فى تفسير الطبرى الذى أخذه كاملا حين زار مصر عن يونس بن عبد الأعلى وغيره من تلاميذ ابن وهب .

واذا أمكننا أن نقول عن تفسير ابن دينار من قبل انه يعتبر البداية الفعلية لمدرسة مصر فى التفسير تلك التى تميزت بنزعة ذاتية شخصية وفهم مستقل ومنهج واضح وبسيط ، فمن الممكن القول أيضا : ان تفسير ابن وهب يمثل نضج هذه المدرسة ، فنحن نلمس فيه عملا مكتمل الجوانب واضح المنهج معروف المصادر منفردا بقيمة ذاتية منحته القدرة على البقاء من جهة ، وأتاحت لمدرسة المدينة أن تظهر فى ميدان التفسير بمصر من جهة أخرى .

(٧) القرآن وعلومه فى مصر ـ خورشيد ص ٢٩٨ـ٢٩٩ .
(٨) تهذيب التهذيب ٦٧/٧ ـ ٦٨ .
(٩) حاجى خليفة ٤٤٠/١ ، ٣٥٠/٢ استانبول ١٩٤١ م.

الامــام الشافعى :

٤ ـ الامام الشافعى محمد بن ادريس (٢٠٤ هـ) ، واذ كنا نعتبر ذلك الامام الكبير مصريا بوجه ما ، فلابد من التوقف عنده قليلا بصدد التاريخ لحركة التفسير فى مصر ، ذلك أنه قد أبدى ـ كمجدد على رأس المائة الثانية ـ من التصميم على فهم القرآن الكريم وتفسيره وبذل الجهد فى ذلك مالم يؤلف من غير المتخصصين ، وقد أدى به ذلك الى ممارسة التفسير فعليا بالرغم من أنه لم يفعل ذلك للتفسير فى ذاته ، ولم يشغل مكانا بين المفسرين المتخصصين .

ويبدو أن الشافعى استطاع الالمام بمعانى القرآن الكريم منذ شبابه المبكر ، كما يدل على ذلك كتابه « الرسالة » الذى ضمنه معانى القرآن ، وجمع فيه فنون الأخبار كما طلب منه الحافظ عبد الرحمن بن مهدى (ت١٩٨هـ) ، وانتهى أمر معرفته بالقرآن الكريم الى اعتقاده أن ليست تنزل بأحد نازلة الا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فقد قال مرة بمكة : سلونى عما شئتم أخبركم به من كتاب الله(١٠) .

وقد ظل الشافعى على صلة وثيقة بالقرآن الكريم بعد دخوله مصر سنة ١٩٨ هـ ومكثه بها سنية السبع المباركة ، فقلما كان يدخل عليه تلميذه الربيع بن سليمان (ت.٢٧٠هـ) الا والمصحف بين يديه يتتبع أحكام القرآن ، والتزم أن يلقى دروس التفسير اليومية فى المسجد بعد صلاة الصبح ، وأن يجيب على مكاتبات المقيمين خارج العاصمة يسألونه عن معانى الآيات ، ويعبر تلميذه يونس بن عبد الأعلى عن الاعجاب بقوة تفسيره ودقته حين يقول : كان الشافعى اذا أخذ فى التفسير كأنه شهد التنزيل(١١) .

ويمكن القول ان الشافعى اذا لم يكن مفسرا محترفا استهدف أن يؤلف تفسيرا كاملا للقرآن الكريم ، فانه كان قبل كل شىء وبعده فقيها يهمه فى المقام الأول استنباط كل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من أحكام ، كما ينبىء عنه كتابة أحكام

(١٠) الاتقان فى علوم القرآن ـ السيوطى ١٢٦/٢ القاهرة ١٣٥٤ هـ .
(١١) راجع : أحكام القرآن ـ الشافعى ٣٠/١ ، ١٩٠/٢ القاهرة ١٩٥١ م ، طبقات الشافعية ـ السبكى ٢٣١/١ القاهرة ١٣٢٤ هـ.

القرآن ، وما كان أن يصل الى ذلك بغير ان ينظر فى القرآن فيدقق النظر ، ويتدبره فيحسن التدبر، وتكون لديه وهو يفعل ذلك منهج بعينه يعتمدعلى المأثور النقلى من جهة والاجتهاد العقلى من جهة ثانية،وقد كان الجانب الثانى املع الجانبين وآثرهما عنده ، اذ كان شديد الميل الى النظر المستقل فى القرآن الكريم والفهم المتحرر له ، وهى نظرة منهجية تقترب كثيرا من نظرات مفسرى مصر السابقين عليه ، وتعطيه الحق كل الحق — مع ما بذله من جهد مخلص فى فهم كتاب الله وافهامه الآخرين — فى أن يجد مكانا رحبا بين المفسرين الذين شكلوا بجهودهم تاريخ حركة التفسير فى مصر .

ويدخل القرن الثالث الهجرى ليكون من ابرز مفسريه(١٢)المصريين كاتب الليث بن سعد : عبدالله ابن صالح (ت٢٢٣هـ) الذى استطاع بذكائه وتوفره على تسجيل المواد العلمية لأستاذه فقيه مصر العظيم — أن يمثل مكانة مرموقة فى تاريخ التفسير المصرى .

ومهما يختلف علماء الرجال فى درجة وثوقه وصحة روايته ، فان الطبرى قد سجل فى تفسيره روايات نقلها عن تلامذة ابن صالح عندما زار مصر سنة ٢٥٣ هـ تكاد تشمل كل الآيات القرآنية بحيث يمكن أن تكون فى مجموعها تفسيرا شبه كامل تنتهى رواياته الى النبى صلى الله عليه وسلم وعدة من الصحابة على رأسهم ابن عباس رضى الله عنه الذى تنتشر الرواية عنه فى خلال التفسير كله .

والذى يضيف الى مرويات ابن صالح فى التفسير أهمية خاصة أنها تنتهى الى ابن عباس بطريق واحد ثابت لا يتغير يروى صاحبنا عن معاوية ابن صالح الحضرمى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ومعنى ذلك أن عبد الله بن صالح كان يروى تفسيرا معنيا لابن عباس ، وقد وجدت فيه الأوساط العلمية أجدر المجموعات المنسوبة الى ابن عباس بالتصديق(١٣) ، وهو الذى قال عنه الامام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) : بمصر كتاب التأويل عن معاوية ابن صالح لو أن رجلا رحل الى مصر فكتبه ثم انصرف به ماكانت رحلته عندى تذهب باطلا ، وقد استفاد البخارى بتلك النصيحة فأخذ ذلك التفسير عن عبد الله بن صالح عندما زار مصر (٢١٠ — ٢١٩) هـ) ليعتمد عليه فى صحيحه عن ابن عباس(١٤) .

وهكذا يدلنا صنيع البخارى — وغيره من كبار رجال الحديث — مرة أخرى على ثقة حديث ابن صالح وحسن الرواية عنده ، كما يدلنا هذا الصنيع على تهافت الطعن فى نقل على بن ابى طلحة عن ابن عباس وانقطاع المباشرة بينهما ، فمن المعروف أن نقل ابن أبى طلحة كان عن تلامذة ابن عباس الثقات (سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة) ، وبذلك يرتفع الضير عن تلك الطريق من طرفيها لتصبح من أصح الطرق عن ابن عباس.

أما وسط الرواية معاوية بن صالح (ت١٥٨هـ) فقد علق هذا التفسير عن أستاذه بحمص ، ثم رحل عنها (١٢٥هـ) الى مصر فى طريقه الى المغرب ليتولى قضاء الأندلس فى دولة عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ ، وفى رحلته الثانية الى مصر فى طريقه الى الحجاز (١٥٤هـ) جلس اليه علماء مصر ، ومن بينهم ابن صالح الذى كان فى صدر شبابه ، ومستهل حياته العلمية ، فكان اكثر المصريين كتابة عن الزائر الأندلسى ، ليصبح بعد وفاة هذا الأخير (١٥٨هـ) المرجع الوحيد فى الشرق لكتبه ورواياته، ومن بينها ما عنده عن على بن أبى طلحة من تفسير ابن عباس ، حيث كتب لهذا التفسير الانتشار والبقاء بعد أن عرف طريقه الى مصر التى يرجع اليها الفضل فيما بقى لنا منه مودعا فى أربعة مصادر مهمة لتفسير القرآن الكريم هى : صحيح البخارى ، وجامع البيان للطبرى ، وتفسير عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، والناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس المصرى .

هذا ماكان من شأن التفسير فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى ، وتلك جهود أبناء المصريين وانشطتهم العلمية حول القرآن الكريم ، ونتاجهم الذى يفسح لهم مكانا لائقا بهم فى سيرة الفكر الاسلامى ، والذى يفرض نفسه على كل باحث مدقق ، أو دارس منصف ، برغم غفلة الغافلين، وتجاهل المغرضين .

أما نتاجهم فى القرون التالية الذى يدعم هذه الحقيقة ويؤكدها ، فهذا ما نرجىء الحديث عنه الى مقال قادم باذن الله .

---

(١٢) يعد من مفسرى هذا القرن أيضا : عبد الغنى بن سعيد الثقفى (ت ٢٢٩ هـ) مصرى صاحب تفسير ، ذكره الداودى فى طبقات المفسرين ٣٢٤/١ ، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم (ت ٢٦٨ هـ) من تواليفه كتاب كبير فى احكام القرآن ذكره الداودى فى الطبقات ١٧٥/٢ — ١٧٦ ، وبكر بن سهل الدمياطى (ت ٢٨٩ هـ) كان له تفسير جمع له اهل القدس — حين زارها — الف دينار حتى رواه لهم ،ذكره الداودى فى طبقاته ١١٧/١ .

(١٣) لا يعنى هذا — بالطبع — كذب وانتحال المجموعات التفسيرية الأخرى على ابن عباس الذى ورد عنه فى التفسير ما لا يحصى كثرة .

(١٤) الاتقان فى علوم القرآن — السيوطى ٢،١٤/١/١٨٨

نداء المؤمنين فى القرآن

الدكتور محمد محمد خليفة

لقد نادى رب العزة عبيده أو عباده المؤمنين نداء تنتفض مع حروفه وكلماته قلوب الذين يخشون الله ، وتخشع أمام سلطانه مشاعر الذين يدركون قدرته فى آياته التى يزخر بها ملكوته .

وان المؤمنين الذين تفتحت قلوبهم للايمان ، واستقر فى أعماقها عقيدة راسخة لا تهزها وسوسة الشيطان ولانفثات الأهواء ، هؤلاء تصيخ أسماعهم وأرواحهم الى صوت الحق يناديهم : « **يا أيها الذين آمنوا** » فتتفتح قلوبهم لتتلقى مابعد النداء من أمر أو نهى أو حكم شرعى أو ارشاد ، ثم تحول القلوب المؤمنة كلمات الأمر والنهى والأحكام والارشاد الى عمل يعمل فيه ايمانها وتحميه من عواصف الأهواء عقيدتها ، وكأنما سمعت فى ذلك النداء صوت الروح الأمين يدوى فى روع محمد صلى الله عليه وسلم ، وكأنما سمعت رسول الله يهتف به ليبلغ نداء ربه للمؤمنين ، وكأنما سمعت ورأت كتاب محمد وأصحابه وكلهم آذان تسمع وقلوب تتجاوب وجوارح تستجيب .

وعاش نداء الله للمؤمنين فى القرآن بين دفتى المصحف يعبر القرون والأجيال ، ويستجيب له من هداهم الله حتى دق أسماع المؤمنين فى حاضرنا ، وسيهز الوجود دوية حتى يقرع الدنيا صوت القارعة ويرث الله الأرض ومن عليها .

وقد نادى الله المؤمنين فى تسعة وثمانين موضعا فى القرآن ، ثم ساق بعد النداء أمرا أو نهيا أو بيانا لحكم شرعى أو مبدأ اجتماعى .

— ١ —

« ماجاء بعد النداء من أوامر »

ما اكثر ما جاء الأمر بعد نداء الله للمؤمنين

ومن ذلك : نداؤه لهم ليأمرهم بالاستعانة بالصبر والصلاة عند الشدائد فقال :

« يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » .

ولقد أوجب الله فى الآية السابقة العبادات بقوله « **فاذكرونى أذكركم وأشكروا لى** » ثم قدم فى هذه الآية ما يعين على الذكر والشكر وهو : الصبر والصلاة ، وفى الصبر اخضاع النفس واعدادها لتحمل المكاره والمشاق حتى تسهل عليها الطاعات وفى الصلاة تذلل للمعبود ، وهذا النهج يعين على احتمال المشاق فى غيرها من العبادات .

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر أو نزلت به شدة فزع الى الصلاة .

وقد ذيل الله الآية بوعده للصابرين بأنه معهم يعينهم ويقويهم ..

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالدخول فى السلم وينهاهم عن اتباع الشيطان فقال :

« يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

أصل الاسلام الانقياد والخضوع :

وأصل السلم : الانقياد والخضوع ، والكثير

من المفسرين حملوا السلم على الاسلام ، وذكروا وجوها فى تفسير الآية :

أحدها : أن المراد هم المنافقون ، والتقدير : ياأيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا بكليتكم فى الاسلام ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان وتزيينه لكم الاقامة على النفاق .

وثانيها : أنها نزلت فى مسلمى أهل الكتاب من أمثال عبد الله بن سلام لأنهم بعد اسلامهم أقاموا على تعظيم شرائع موسى عليه السلام فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها ، فأمرهم الله أن يدخلوا فى شرائع الاسلام ، ولا يتمسكوا بشىء من أحكام التوراه ، لأنها نسخت بشريعة الاسلام ، ونهاهم الله عن اتباع خطوات الشيطان فى التمسك بأحكام التوراة بعد نسخها .

وثالثها : أن المراد هم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالاسلام فناداهم : ياأيها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم ادخلوا فى السلم ، أى : أكملوا طاعتكم وادخلوا بايمانكم بمحمد وبكتابه فى السلم .

وقد يكون النداء للمؤمنين الصادقين ليأمرهم بالانقياد والاستسلام للطاعات وترك المنهيات ، أو ليأمرهم بترك الانتقام أخذا من قوله تعالى : **«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»** أى ادخلوا جميعا فى السلم ولا تختلفوا أو تتفرق كلمتكم ، ولا تقتفوا آثار الشيطان فانه العدو المبين لبنى الانسان يوسوس لهم ، ويشعل الأحقاد بين قلوبهم .

كيف حث الاسلام على الانفاق :

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالانفاق من طيب الكسب فقال :

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » .

قال بعض المفسرين : ان الانفاق المراد فى الآية : هو الزكاة المفروضة ، وقال البعض : هو صدقة التطوع ، وقال البعض : يشملهما معا ، وكان بعض الناس يتصدقون أو يزكون من ردىء ثمارهم وأنعامهم ، فنزلت الآية .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل ذات يوم بعذق حشف (ردىء التمر) فوضعه فى الصدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بئس ما صنع صاحب هذا .. فنزلت الآية :

وظاهر الآية يدل على ما يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة التجاره والذهب والفضة .

وقيل المراد الطيب : الجيد وقيل : الطيب : الحلال ، والخبيث الردىء أو الحرام .

والأغماض : غض البصر والمراد : التساهل.

والمعنى : ولستم بآخذى هذا الردىء اذا كان فى سداد حق لكم الا أن تتساهلوا فيه فكيف تقدمون الردىء لسداد حق الله ، وان الله غنى عن الصدقات وهو محمود على ما انعم به .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بتقوى الله حق التقوى فقال : « **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون** » .

ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، لأن حق التقوى : ان يطاع الله فلا يعصى طرفة عين وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، والعباد لا طاقة لهم بذلك فانزل الله قوله : **(فاتقوا الله ما استطعتم)**

والمراد من تقوى الله : الخوف منه واجتناب المعاصى ، ثم وجه المؤمنين الى الاقامة على الاسلام حتى اذا جاءهم الموت جاءهم وهم متمسكون بالاسلام .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بطاعة الله ورسوله وأولى الأمر ، ثم بين لهم الرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه اذا اختلفوا فى أمر من الأمور فقال :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وهكذا بعد أن أمر الله الرعاة بأداء الأمانات الى أهلها وأن يحكموا بالعدل نادى المؤمنين فأمرهم بطاعة الله والاستجابة الى ماجاء فى كتابه ، وان يطيعوا رسول الله فى كل ما يأمر به ، لأنه **ما ينطق عن الهوى** ، وأن يطيعوا أولى الأمر الذين يوافقون فى أحكامهم ما أمر الله ورسوله به.

واختلف المفسرون فى بيان أولى الأمر ، فقيل : **هم الحكام الذين يحكمون بالحق ، وقيل هم أمراء السرايا ، وقيل : هم العلماء الذين يعلمون الناس ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر.**

الرجوع الى كتاب الله تعالى :

ثم بين الله للمؤمنين الرجوع الى كتابه وسنة رسوله اذا اختلفوا مع أولى الأمر فى شىء من أمور الدين .

وقوله : **«ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»** محمول على التهديد ، وذلك الذى أمرهم به خير للمؤمنين وأحسن عاقبة ، والتأويل : من المآل وهو الرجوع والعاقبة . ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالحذر فى الجهاد ، وأن ينفروا ثباتا أو جميعا فقال :

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » .

وكأنه جعل الحذر آلة يقى بها المؤمن نفسه، ويعصم بها روحه من الهلاك ، وبهذا يأمر الله المؤمنين بالاحتراز من العدو والا يمكنوه من أنفسهم ، ثم أمر الله بالنفير لقتال العدو اى انفروا وهبوا الى قتال عدوكم متفرقين اى : سرية بعد سرية ، أو انفروا كوكبة واحدة وذلك حسبما يراه المخططون للمعارك .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالايمان بالله ورسوله والقرآن والكتب التى أنزلت من قبل وبالملائكة والرسل واليوم الآخر فقال :

« يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

رأى المفسرين فى المؤمنين :

وقد تأول المفسرون فى بيان المؤمنين الذين ناداهم فى هذه الآية الى وجوه :

الأول : أن المراد بهم اتباع محمد وهنا تجىء مظنة سؤال ؟ كيف يطلب منهم الايمان وقدوصفهم الله حين ناداهم بالايمان وأجيب بأن المطلوب من الأمر بالايمان : الثبات والمداومة على الايمان .

او المراد : **يا ايها الذين آمنوا على سبيل التقليد آمنوا على سبيل الاستدلال بعد وضوح الادلة .**

الثانى : ان المراد بهم جماعة من أحبار اليهود جاءوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وبعزير ، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل ، فقال لهم الرسول : بل آمنوا بالله وبرسله وبمحمد وبكتابه وبكل كتاب قبله ، فنزلت الآية ، فآمنوا بما امروا به .

الثالث : النداء للمؤمنين الذين نافقوا ، والتقدير : **يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب** ، ويؤكد هذا التاويل قوله فى آية أخرى : من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

ثم بين الله أن من يكفر بشىء من ذلك كله فقد ضل واوغل فى الضلال ، لأن الكفر بالبعض كفر بالكل ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بأن يلزموا اصلاح نفوسهم لأنه لا يضرهم من ضل اذا ما اهتدوا فقال :

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم» وعليكم اسم فعل أمر بمعنى الزموا اصلاح نفوسكم وقد كان المؤمنون تنقطع نفوسهم حسرات على المعاندين ويتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم: عليكم اصلاح نفوسكم والسير بها فى طريق الهدى ، ولا يضركم ضلال غيركم اذا اهتديتم وليس المراد من هذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان تاركهما ليس بمهتد بل هو ضال :

وقد سال أبو ثعلبة الخشنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال له الرسول: ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شىء مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وان من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض الجمر للعاملين منهم أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » .

ونادى الله المؤمنين ليامرهم بالثبات فى القتال فقال :

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

والمراد بالفئة : الكفار ، وقد أمر الله المؤمنين بالثبات عند لقاء الكفار والا يفروا من المواجهة ، كما أمرهم أن يذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب لأن ذكر الله يعين النفوس على المضى فى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وان يكثروا من التضرع الى الله أن يقطع دابر أعدائهم ، وان ذكر الله والتضرع اليه فى ميدان القتال هو الفلاح كل الفلاح .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالتقوى، ويخبرهم بأن للمحسنين فى هذه الدنيا حسنة ، ثم ليوجههم

الى الهجرة من الأرض التى يعيشون عليها اذا حيل بينهم وبين عبادة الله فى مواطنهم فأرض الله واسعة ، فقال :

« قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة » .

وهذا لون جديد من نداء المؤمنين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يناديهم به على لسان ربهم : (يا عبادى) فأضاف عباده الى نفسه ثم وصفهم بالموصول وصلته (الذين آمنوا) ثم أمرهم بتقواه والخوف منه ، فضم الى ايمانهم به طلب التقوى حتى لا يبطلوا ايمانهم ، لأنهم عند اتقائهم الكبائر يسلم لهم الثواب ثم بين أن للمحسنين فى الدنيا حسنة فى الآخرة وهى الجنة ، ثم بين لهم أنه لا عذر لهم فى تقصيرهم فى العبادة ، فاذا ضيقت عليهم عبادة الله فى أرض ما فليتحولوا الى غيرها ليتمكنوا فى مهجرهم الجديد من عبادته والاشتغال بطاعته ، وان أرض الله واسعة ، وبهذا يرغب الله المؤمنين فى الهجرة بدينهم حيث تطيب لهم العبادة فى مأمنهم الجديد .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالتقوى وبالنظر الدائم فيما قدمته من الأعمال للغد ثم كرر الأمر بالتقوى فقال :

يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله) .

وهكذا نادى الله المؤمنين ليأمرهم بتقواه ، وطالما أمر بذلك ليخشوا دائما سؤاله وحسابه وعذابه .

ثم أمر أن تنظر كل نفس فى صحيفة أعمالها لتقف دائما على ما قدمت لغد ، والمراد بالغد : يوم القيامة ، وسماه الله بالغد لتدرك النفوس أن يوم القيامة قريب قرب الغد وقد نكره الله لعظمه وعظم أهواله .

ثم كرر الأمر بالتقوى للتأكيد ، أو لأن التقوى الأولى محمولة على اداء الواجبات والثانية محمولة على ترك المعاصى .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالتوبة النصوح فقال :

« يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا » .

أمر المؤمنين بعد ندائه لهم بالتوبة الصادقة الناصحة التى تنصح صاحبها بترك العودة الى ما تاب عنه .

وفى قوله : **«عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم»** اطماع للعباد فى تكفير السيئات — ومعنى لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه : أى لا يفضحهم يوم القيامة ، والأخزاء الفضيحة ، ومعنى اخزاء النبى : رد شفاعته فى العصاة من أتباعه .

والمراد بقوله : نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » أنهم يؤتون كتابهم بأيديهم وفيه نور وخير ينير لهم موضع أقدامهم وهم يقولون حينما يرون اطفاء نور المنافقين : **«ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا » فيسألون الله فى هذا الموطن أن يتم الله عليهم نعمته باكمال نورهم وغفران ذنوبهم .**

— ٢ —

النداء الذى تلاه نهى :

كثيرا ما نادى الله المؤمنين لينهاهم عن اقتراف أمر نهت شريعة الله عن ارتكابه ، ومن ذلك :

نداء الله للمؤمنين لينهاهم عن ابطال الصدقة بالمن والأذى فقال :

« يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا » نهى الله المؤمنين عن ابطال صدقاتهم بعد أن ناداهم ومثل لذلك الابطال بمثالين :

الأول : كمثل الكافر الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر ثم هو مع كفره ينفق ماله رئاء الناس ، فبطلان أجر صدقة المسلم الذى يتبع الصدقة بالمن والأذى كبطلان أجر نفقة هذا المرائى الكافر .

والثانى : (كالصفوان) وهو الحجر الأملس الناعم الذى وقع عليه تراب ، ثم نزل عليه المطر المنسال فأزال التراب بحيث لم يبق عليه أثر له فالكافر كالصفوان والتراب كالانفاق والوابل كالكفر الذى يحبط ويبطل عمل الكافر فكما أن الوابل أزال التراب الذى على الحجر الصفوان كذلك المن والأذى يزيلان أثر الانفاق ويبطلان أجر الصدقة وبهذين المثلين صور الله حالة

اولئك الذين يبطلون صدقاتهم بالمن على الفقراء وايذائهم ولهذا نهى الله المؤمنين عن ابطال صدقاتهم حتى لا يكون مثلهم مثل هذا أو ذاك .

ونادى الله المؤمنين لينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » .

كثيرا ما نزلت الآيات فى نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء لهم من دون المؤمنين .

وقد قيل : ان الانصار كان لهم فى بنى قريظة رضاع وحلف ومودة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من تتولى ؟ فقال : المهاجرين ، فنزلت الآية تنهاهم عن اتخاذ غير المؤمنين أولياء .

وقيل : ان الآية نهى للمؤمنين عن موالاة المنافقين بعد أن بين لهم أخلاقهم ، ثم سأل : هل تريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة فى عقابكم بسبب موالاتكم للمنافقين أو الكافرين ونادى الله المؤمنين لينهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » .

روى أن عبادة بن الصامت جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرأ عنده من موالاة اليهود ، فقال عبد الله بن أبى (رأس المنافقين) لكنى لا أتبرأ منهم أنى أخاف الدوائر فنزلت الآية: ومعناها : لا تتخذوهم أولياء ولا تعتمدوا عليهم فى الاستنصار بهم ، ثم أراد الله التشديد على المؤمنين فى النهى فقال :

ومن يتولهم منكم فانه منهم أى كانه منهم ، ثم بين الله أن هؤلاء يوالى بعضهم بعضا .

نداء القرآن للمؤمنين :

ونادى الله المؤمنين لينهاهم عن خيانة الله ورسوله وخيانة الأمانات فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » .

نزلت هذه الآية فى أبى لبابة الانصارى حين بعثه الرسول عليه الصلاة والسلام الى بنى قريظة بعد أن خانوا العهد لينزلوا على حكم الرسول فلما ذهب اليهم سألوه عن الحكم الذى سيحكم به الرسول عليهم فأشار بيده الى حلقه فعلموا أنه الذبح (وكان أبو لبابة حليفا لبنى قريظة فى الجاهلية) وبعد أن أشار بما أشار أدرك أنه خان الله والرسول والأمانة فذهب الى المسجد فربط نفسه فى احدى سواريه ، ومكث على ذلك تسعة أيام حتى خر مغشيا عليه من الجهد والجوع ، فأنزل الله توبته فأبى الا أن يحل رسول الله وثاقه ، وعرض على الرسول أن ينخلع من ماله صدقة يطهر بها نفسه ، فأمره الرسول أن ينخلع من ثلث ماله كفارة لخطيئته .

ونادى الله المؤمنين لينهاهم عن أن تشغلهم فتنة المال والولد عن ذكر الله فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » .

ان الله يحذر المؤمنين من فتنة المال والولد ، وينهاهم ان تشغلهم تلك الفتن عن ذكر الله .

وقيل المراد بذكر الله فرائضه من صلاة وصيام وزكاة .

وقيل المراد بذكر الله : القرآن والنظر فيه والتأمل فيما تحمل آياته من ارشاد وتوجيه وأوامر ونواه واخبار ..

— ٣ —

نداء يتلوه حكم شرعى :

« نداء يتلوه بيان حكم شرعى أو ارشاد لمبدأ اسلامى » .

لقد كان القرآن المصدر الأول لشريعة الاسلام، والنور الذى يهدى به الله البشرية الى ما فيه سعادة الفرد والمجتمع ، وكثيرا ما نادى الله المؤمنين ليبين لهم اثر النداء حكما شرعيا يصون الله به الأمة من مثالب الجاهلية وما كان ينخر فى كيان الانسانية من انحلال وانحراف عن الجادة أو غير ذلك من الأحكام التى جاءت بها الشريعة الجديدة .

وقد كان قتل النفس والأخذ بالثأر من المثالب التى غرقت فيها حياة الناس .

وكان العرب فى جاهليتهم يوجبون قتل القاتل تارة وتارة أخرى يوجبون الدية ، فلما جاء الاسلام أوجب رعاية العدل وسوى بين الناس

فى حكم القصاص ونزل قول الله فى هذا :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » .

وقوله : كتب عليكم يفيد الوجوب فى عرف الشرع ، وتشعر بذلك كلمة (عليكم) ومعنى القصاص : أن يفعل بالانسان ما فعل هو بغيره .

والذى يقوم بالقصاص : الامام أو من يقوم مقامه .

وهكذا شرع الله القصاص : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .

ونادى الله المؤمنين ليبين لهم فرضية الصوم فقال :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

لقد كان الصوم عبادة مفروضة على الأنبياء وأممهم من قبل فلم يفرض الصوم على المسلمين وحدهم بل كان مفروضا على من سبقهم ممن أرسل الله لهم الأنبياء والرسل .

وحول المعاملات المالية نهى الله المؤمنين عن أكل الربا بعد ندائهم فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وكان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم مثلا الى أجل فاذا جاء الأجل ولم يكن المدين قادرا على الوفاء . قال له الدائن زد فى المال أزد فى الأجل فربما جعله مائتين ثم اذا حل الأجل الثانى فعل مثل ذلك الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة أضعاف أضعافها ، وهذا هو المراد بقوله : اضعافا مضاعفة وهذا هو ما نهى الله عنه واتقاء الله فى هذا التعامل واجب لأن الفلاح يتوقف عليه فلو أكل الربا على هذه الصورة ونحوها ولم يتق الله زال عنه الفلاح ووقع فى الخسران .

كما نادى الله المؤمنين مرة أخرى ليامرهم بتقوى الله وترك ما بقى من الربا فقال :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » .

اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقيل : نزلت فى أهل مكة كانوا يرابون فلما اسلموا عند فتح مكة أمرهم الله تعالى أن ياخذوا رءوس أموالهم دون الزيادة وقيل نزلت فى جماعة من ثقيف طالبوا بربهم (بعد ان اسلموا وبعد فتح الطائف) فنزلت الآية :

وقيل : نزلت فى العباس وعثمان وقيل فى العباس وخالد .

وقد نادى الله المؤمنين فى الآية ليأمرهم بتقواه والخوف من عذابه وان يتركوا ما بقى من الربا ، وبين ان الزيادة تحرم ، وليس لهم الا ان يأخذوا رءوس أموالهم ، وبين انهم اذا كانوا قد قبضوا شيئا من الزيادة قبل نزول الآية فهو معفو عنه وان لم يقبضوه أو يقبضوا بعضه فانه محرم قبضه بعد نزول الأمر بالترك .

ومعنى قوله : **ان كنتم مؤمنين :** اى ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان .

وحول الدين وكتابة وثيقة به للاحتياط أمام التقاضى أنزل الله أطول آية فى القرآن فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وادنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم » ..

بين الله فى الآية كل ما يتصل بالدين من حيث كتابة وثيقة به لأخذ الحيطة عند التقاضى استجابة لأمر الله (**فاكتبوه**) ومن حيث الاشهاد على الدين لأن الأجل قد يتخلله النسيان أو الجحد ، واختلف الفقهاء فى الأمر بالكتابة والاشهاد : هل هو للوجوب أو الندب ، ونهى الله الكاتب عن الامتناع عن الكتابة كما علمه الله واشترط فى الكاتب أن يكون عدلا بحيث لا يزيد ولا ينقص ، وبحيث يصلح المكتوب أن يكون حجة عند الحاجة اليه فى التقاضى كما اشترط الا يخل الكاتب بشرط من الشرائط التى اتفق عليها الطرفان .

ثم اشترط ان يملى المكتوب من يكون عليه الحق ليدخل فى املائه اعترافه بما عليه من الحق ، ثم قال : وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا وهذا أمر للممل الذى عليه الحق .

ثم بين أن المدين (وهو من عليه الحق) ان كان سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع الاملاء لعيب فى لسانه مثلا : فليملل وليه بالعدل ، والمعنى أن من عليه الدين ان لم يكن اقراره معتبرا لأمر فالمعتبر هو اقرار وليه ثم أمر الطرفين بأن يشهدا على المكتوب بعضا من أهل ملتهم او من رجالهم الذين يعتدون بشهادتهم بمعنى أن يعرفوا بالعدالة والصدق على أن يكون الذى يشهد : رجلين او رجلا وامرأتين ، وعلل الاشهاد بامرأتين مكان رجل بقوله :

« أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » اى مخافة أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى لأن النسيان غالب فى طبع النساء واجتماع المرأتين على النسيان أبعد فى العقل ، والضلال هنا بمعنى النسيان .

اوامر الهية :

ثم نهى الشاهد عن الامتناع عن أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق الى شهادته .

ثم بين أن القليل من المال كالكثير فى ضرورة الاحتياط فقال : **« ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا »** اى لا تملوا من كتابة الدين الصغير لأن ذلك اقسط وأعدل وأقرب الى عدم الشك والريب .

ثم نهى صاحب الحق عن اضرار الكاتب والشاهد ويصح أن يكون للكاتب والشاهد باضرار من له الحق بالزيادة أو النقص أو ترك الاحتياط فى الكاتب ، أو يمتنع الشاهد عن الشهادة أو يشهد بما لا ينفع فى اثبات الحق لصاحبه .

ثم قال : وان تفعلوا « أيها المؤمنون شيئا مما نهيتم عنه أو تتركوا شيئا مما أمرتم به » فان هذا هو الفسوق والخروج عن أمر الله ، ثم أمر بتقوى الله واخبر أنه هو الذى يعلمهم كيف يكتبون وكيف يتعاملون وهو العالم بمصالح الناس فى الدنيا والآخرة .

وحول الخمر نادى الله المؤمنين مرتين فقال :

« يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

لقد نزل فى الخمر قبل هذه الآية قوله تعالى : **« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس » .**

روايات فى سبب نزول الآية :

وروى فى سبب نزولها أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا ودعا نفرا من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا ، فلما ثملوا جاء وقت صلاة العشاء ، وتقدم أحدهم ليصلى بهم ، فقرأ : أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد ، فأنزل الله هذه الآية التى حرمت عليهم أن يقربوا الصلاة وهم سكارى فكانوا اذا صلوا العشاء شربوا الخمر فاذا أصبحوا ذهب عنهم السكر وعلموا مايقولون .

ومعنى قوله : **لا تقربوا الصلاة** : أى لا تغشوها ولا تقوموا اليها ، أو لا تقربوا مواضعها وهى المساجد .

ثم نزل تحريم الخمر بعد نداء المؤمنين ثانيا فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » .

فى هذه الآية نهى الله المؤمنين عما كانوا يتعاطون من الخمر كما نهاهم عن لعب الميسر وعن ذكر الأنصاب والأزلام وبين أن كل ذلك من عمل الشيطان ، ثم أمر الله على سبيل الوجوب باجتناب كل ذلك .

ونادى الله المؤمنين ليأمرهم بالوضوء والاغتسال عند الحدث الأكبر ورخص لهم فى التيمم عند عدم وجود الماء أو عند وجود العذر المبيح فقال :

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » .

والمراد بالقيام للصلاة : القصد ، اى اذا قصدتم الصلاة ، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم للصلاة محدثا كان أو غير محدث ، والحق ان الأمر للوجوب بالنسبة للمحدثين وللندب بالنسبة لغير المحدثين .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتوضأ لكل صلاة حتى كان يوم فتح مكة فمسح على الخفين وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد ، فقال له عمر : صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال : عمدا فعلته يا عمر وأراد بذلك بيان الجواز وقيل : كان الوضوء لكل صلاة أول ما فرض ثم نسخ ، ثم أمر الله الجنب بالتطهر ، وقوله : **أو لامستم النساء »** كناية عن الجماع ، ثم رخص الله للمرضى والمسافرين أو من لم يجد الماء بالتيمم وهو المسح بالتراب على الوجه واليدين الى المرفقين والمعنى : اذا أعوزهم التطهير بالماء لمرض أو لعدم وجود الماء فليطهروا بالتراب ، وكانت هذه الرخصة نعمة من الله لمن لهم عذر .

ونادى الله المؤمنين ليبين لهم حكم المطلقة غير المدخول بها من حيث العدة فقال :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » .

المراد بالنكاح فى الآية : العقد ، وقد سمى العقد نكاحا لملابسته له لأنه الطريق اليه وخص المؤمنات مع أن الحكم تستوى فيه المؤمنة والكتابيه ليبين للمؤمنين أن عليهم أن يتخيروا لنطفهم المؤمنات العفيفات ، وكنى بالمساس عن الدخول ، وعند أبى حنيفة حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس ، ثم ساق الحكم الشرعى فى تلك التى لم يدخل بها من حيث عدتها فحكم بأنه ليس لها عدة تعتدها ثم أمر بامتاعها وتسريحها .

وحول مبادىء اجتماعية نادى الله المؤمنين ليرشدهم الى مبادىء لتأديب الأمة أدبا اسلاميا جديدا فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

والاستئناس : هو الاستعلام ، والاستكشاف ليعرف الداخل أيسمح له بالدخول أم لا وذلك بأن يقول : الله أو الحمد لله أو يتنحنح ..

وأما السلام فمعناه أن يقول الداخل : السلام عليكم أأدخل .. يقولها ثلاثا فان اذن له دخل والا انصرف .

وعن أبى موسى الأشعرى ، أنه أتى باب عمر رضى الله عنهما فقال : السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ، ثم رجع وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الاستئذان ثلاثا . ونادى الله المؤمنين ليبين لهم المأذون له فى الدخول الى المضاجع والأوقات المسموح له بالدخول فيها فقال :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » .

آداب يجب مراعاتها :

بهذا نادى المؤمنين ليأمرهم أن يستأذن عليهم فى المضاجع : العبيد والاماء والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم من الاحرار وأما الأوقات التى يستأذن فيها هؤلاء فهى ثلاث مرات :

الوقت الأول : قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم عن النائمين .

الوقت الثانى : وقت الظهيرة ، لأنه وقت وضع الثياب عن الأجساد لشدة الحر .

الوقت الثالث : بعد صلاة العشاء ، لأنه وقت التجرد من الثياب .

وقد سمى كل وقت من هذه الأوقات : عورة .
وفيما عدا هذه الأوقات لا يستأذن الداخل من هؤلاء لأن المخالطة والمداخلة للخدمة لا تحتاج الى اذن دائم فى الدخول لأن فى ذلك من الحرج ما فيه .

وقيل ان سبب نزول هذه الآية :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل غلاما انصاريا الى عمر ليدعوه ، فدخل الغلام على عمر وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه ، فقال عمر : وددت لو أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا الا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق مع الغلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآيات ، وهى احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقد سأل عطاء ابن عباس : أأستأذن على أختى ؟ قال : نعم وان كانت فى حجرك تمونها .

وعن ابن مسعود : عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم وأخواتكم .

ونادى الله المؤمنين ليوجههم الى التثبت من الأخبار التى تجيئهم مخافة ان يأتيهم فاسق بخبر كاذب فقال :

« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

وبهذه الآية أرشد الله الى جانب يسترعى العناية والأهتمام وهو الاحتراز عن الاعتماد على أقوال الفساق الذين يريدون اشعال الفتن ، وما أجدر بالمسئولين فى الأمم الا يصيخوا الى كل ناعق يسعى الى بث الفرقة والخلاف بين الصفوف ليمزق الوحدة ويشتت المجتمعات .

ويتضح من الآية أن شهادة الفساق لا تقبل وأن الله أمر المؤمنين بالتبين والتثبت حتى لا يصيبوا قوما وهم فى حالة جهالة فيندموا على ما فعلوا .

تجارة رابحة :

ونادى الله المؤمنين ليرشدهم الى تجارة من نوع جديد فيها النجاة من العذاب وهى الايمان والجهاد فقال :

« يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ان الله ليحث المؤمنين ويغريهم بنوع من التجارة لم يعهدوه من قبل ، انها تجارة بين المؤمنين ورب المؤمنين والتجارة : معاوضة شىء بشىء والتجارة تنجى من الفقر ، وهذه التجارة الجديدة تصديق بالقلب واللسان ، والتجارة فيها ربح وخسارة ، وكذلك هذه التجارة فمن آمن وعمل صالحا وجاهد بالنفس والمال فله الربح العظيم وهو الجنة ، ومن أعرض فله الخسران وراس المال الذى يتقدم به المتجر هو : الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال .

وهذا الجهاد المطلوب ثلاثة انواع :

جهاد فيما بينه وبين نفسه ، وهو قهرها ومنعها من اللذائذ والشهوات .

وجهاد فيما بينه وبين الخلق ، وهو أن يترك الطمع ويشفق على الناس وينأى عن استغلالهم .

وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو أن يتخذ منها زاد معاده وذلكم الذى أمر الله به المؤمنين خير لهم من اتباع أهوائهم .

أيها المؤمنون :

هذه نداءات الله اليكم فهل سمعتم نداءه ، واستجبتم الى أمره ونهيه وشرعه وارشاده .

وهل قادكم نداء الله الى صراط الله ..

كلمة :

« ابتغوا الرفعة عند الله . قالوا وما هى يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك »

« حديث شريف »

الأعجاز الطبى فى القرآن

الغذاء القرآنى

الدكتور
السيد الجميلى

قال تعالى : « وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه » النحل ١٤ .

ولحم السمك غنى بالمواد البروتينية وبه نسبة عالية من الفوسفور اللازم لبناء خلايا الجسم لا سيما الألياف العصبية التى تحتاج الى مدد مستمر من الطاقة لتمارس عملها بكفاءة واقتدار.
كما يوجد فى لحم السمك الكثير من المعادن الأخرى بالذات الكالسيوم واليود .

والسمك من الكائنات الناشئة على وجه الأرض وهو من البرمائيات التى شاركت مع الانسان فى تزيين صفحة الطبيعة وقد ورد تحريم الميتة من السمك فى الكتاب ، ثم نسخته السنة المطهرة فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه المشهور :

« احلت لنا ميتتان ودمان : فالدمان الكبد والطحال والميتتان السمك والجراد » .

ويغوص السمك فى اعماق الماء ويجول احشاء البحار فيأكل النباتات المغمورة التى تحتوى على مادة « البلادونا » فيختزنها السمك فى عضلاته ولا يتأثر بها لكنه ينقلها للانسان الذى سرعان ما يتفاعل معها وتتفاعل فى بدنه حيويا ، لهذا نجد أنفسنا بعد وجبة السمك الدسمة فى ميول شديد للنعاس مع جفاف الحلق واللسان وخفقان القلب مع هدوء وارتخاء سائر الجسم .. .. وهذا كله من أعراض التداوى بعقار هذه المادة او اى من مشتقاتها .

ولاحتواء السمك على البروتين الحيوانى الممتاز مع مادة البلادونا فهو لذلك ينفع ويشفى ويداوى المصران الغليظ من التهاباته الحادة والمزمنة ، ويقلل من التقلص المعوى ويهدىء من ثوران المعدة وحموضتها ويبرىء قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر .

ويفيد اليود فى تنشيط الغدة الدرقية لانه يدخل فى تركيب هرمون الثيروكسين اللازم لعملية تنشيط البلوغ وحفز العمليات الكيميائية فى داخل الجسم البشرى .

وفى المناطق التى تبعد كثيرا عن شاطىء البحر اى بعيدا عن مصدر اليود ، فان نقص هذه المادة الضرورية يؤدى الى تضخم الغدة الدرقية وهذا التورم الشديد يدل على ازدياد الكفاءة واطراد

العمل لتعوض النقص فى اليود الضرورى لتخليق مادة الثيروكسين التى لا غنى للانسان عنها من ثم يصاب الشخص بما يسمى وباء (الجواتر الجحوظى) فتبرز العينان وتتورم الغدة على هيئة ورم فى الرقبة من ناحية الأمام .

قال تعالى : « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات » محمد ١٥ .

قال تعالى : (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لأن اللبن يتغير طعمه بعد حين وهذا معروف لنا جميعا فى الدنيا ، لكن أنهار الجنة ليست كأنهار الدنيا وكذلك فان اللبن فيها ليس كاللبن فى الدنيا لأن اللبن فى الجنة لا يتغير طعمه بعد حين ولا يتحول مذاقه ولا يتغير لونه الأبيض الناصع . سبحان الله .

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داوود والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين:

« من سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانى لا أعلم ما يغنى عن الطعام والشراب غيره » صدقت يا رسول الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب اللبن .

ومن اللبن يخرج السمن والجبن والأفضل لبن الشاه وكل لبن بعد عهده بالحليب فهو ردىء فاسد ، وكل حيوان تطول فترة حمله على فترة حمل الانسان فلبنه ردىء .

واللبن ينعش البدن ، ويقوى الجسم ويزيد النطفة ويطلق البطن ويزيد فى كفاءة العقل ، وفى لبن اللقاح جلاء وادرار وتليين ، لأن أكثر رعيها هو الشيح والاذخر والبابونج وغيرها من العقاقير المفيدة فى الاستسقاء .

ولبن الماعز لطيف معتدل جميل ، ولبن الضأن سميك دسم . وتحتوى المائة جرام من اللبن على :

١٩٠ وحدة دولية من فيتامين أ ، ٤٥ ميكروجرام من فيتامين ب١ .

١٨٦ وحدة دولية من فيتامين ب٢ ، ٢٩٠ من حامض البانتوثينيك و ٩٠ وحدة من النياسين الذى يعالج مرض البلاجرا ، ٥ من البيوتين و ٢ مجم من فيتامين ج و ٣ وحدات دولية من فيتامين د .

.. اليقطين ..

قال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) الصافات ٤٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (عليكم بالقرع فانه يزيد فى العقل والدماغ) .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: (من أكل القرع بالعدس رق قلبه وزيد فى جماعه ، وان أخذ بالرمان الحامض والسماق نفع الصفراء) .

واليقطين هو القرع حسب اجماع الآراء وهو فى عرف الزراعيين كل نبات لا سوق له أى يتكون جسمه من الجذور والأوراق بغير سوق مثل القرع والبطاطس والبطاطا .

والقرع سهل الهضم جيد الغذاء جم النفع عظيم الفائدة متعدد المزايا لا يجهد المعدة ولا الأمعاء فى هضمه وتمثيله ويؤثره عادة أطباء الحميات عندما نريد أن نغذى المريض محافظين على جهازه الهضمى من الانهاك والارهاق .

أما (الدباء) أو لب القرع أو الكوسة المقشورة بمعدل خمسين جراما الى ستين جراما منها تفيد مرضى الدودة الشريطية ، وبعد ثلاث ساعات من اعطاء الجرعة يعطى المريض مسهلا من زيت الخروع ، فيطرد الدودة شر طردة .

هكذا ينجلى أمامنا أن القرآن الكريم جاء للناس كافة ليطيب أرواحهم وينظف أبدانهم من الأدران حتى يحيا المسلم والمؤمن حياة هانئة فى بدن قوى وحرز منيع وبناء رصين قويم .

العدل في الإسلام

لزوم القاضي واستقلاله

الأستاذ عبد الحكيم النجار

● العدل فى الاسلام ظاهرة واضحة قوية تبدو فى كل تعاليمه ونظمه وعباداته ومعاملاته وعلاقته الاجتماعية .. جاء بقواعد للاخلاق والسلوك وآداب الفرد وآداب الجماعة فتناولت الشريعة كل ما يقيم حياة الانسان ويحقق الخير للبشرية جمعاء ويهيىء للمجتمع حياةصالحة آمنة مطمئنة.

.. والمساواة صورة من صور العدل .. فالناس فى الاسلام سواء لا فضل لانسان على آخر الا بالتقوى والعمل الصالح من أجل الانسانية والحرية والرفاهية والسلام .. لذلك كان القضاء فى الاسلام ضرورة .. وفى ذلك يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى خطابه لأبى موسى الأشعرى .. بشأن القضاء أنه فريضة محكمة وسنة متبعة .. لأنه كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : ان القضاء منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع طبقا للاحكام الشرعية ..

.. ولذلك كان نصبه فرضا كما يقول الكاسامى فى بدائعه .. ولا يحق للامام النكول عن اقامته وتخصيص من يتولى شئونه وهو ما اضطردت دولة الاسلام على اتباعه ..

استقلال القضاء

... والله تبارك وتعالي يقول فى كتابه العزيز **« يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق »** ويعنى ذلك أن القضاء هو الحكم بين الناس بالحق وهو واجب على ولى الأمر لا شائبة فيه .. فاذا قال (ميرابو) احد رجال الثورة الفرنسية أن الناس فى حاجة الى القضاء ما عاشوا .. فان هذا القول مسبوق بما سطرته الشريعة الغراء فى كتابها المقدس وعلمائها ومفكريها منذ قيام المجتمع الاسلامى .. ولم تكتف دولة الاسلام بمجرد اقامة القاضى وتنصيبه .. وانما كفلت له الاستقلال عن الوالى وعن الناس .. ورفعت من مكانته وأعلت من شأنه فى كل مكان ..

وظيفة القاضى

... وكانت وظيفة القاضى مندمجة فى وظيفة الوالى حتى زادت رقعة البلاد فخصص الخلفاء خيرة رجالهم للقيام بشئون العدالة والقضاء بين الناس تقديرا منهم لمكانة القضاء وعظيم رسالتهم .. ويقصد باستقلال القضاء فى الأنظمة الحديثة الا تتدخل الحكومة فى شئون العدل وعمل القاضى .. وان يستغنى عن الناس فى حياته الخاصة فلا يشغل بحاجاته عن تحقيق العدل بين الناس .. ولقد كفلت الشريعة الاسلامية لقضائها هذا الاستقلال على أروع صورة فحظرت التدخل فى عمل القاضى .. وفى ذلك يقول الحنفية انه ليس للامام أن يشترط على الناس الحكم بخلاف اعتقاده واجتهاده .. وترتيبا على ذلك يسوغ الزام القاضى بالحكم طبقا لمذهب معين بل ذهب الامام (أبو حنيفة) الى بطلان ولاية القاضى اذا اقترنت بشرط يوجب الحكم فى مسألة معينة بحكم معين .. وان قضى بالمخالفة بشرط تعينه يلغى هذا الشرط الفاسد .. ويصبح قضاءه بما رأى ما دام لا يخرج على نص محكم أو حكم ثابت فى الشريعة واستقلال القضاء فى الاسلام يمكن اجماله فى أمرين أساسيين :

أولهما : الا يؤمر القاضى بتطبيق حكم بعينه وانما يترك له الحق فى الاجتهاد سواء فى نطاق مذهب امامه أو نطاق الكتاب والسنة ..

ثانيهما : الا يلزم الامام القاضي باصدار حكم يخالف نصوص الشريعة الاسلامية والزام الامام فى هذا النطاق باطل يخرج عن نطاق ولايته وعن حدود تنصيبه للقاضى .. لأن الأصل أن الشريعة تسمو على أى اتفاق أو أمر يخالفها .. ومخالفة الأوامر المخالفة لها تطبيق لأحكامها وهو واجب القاضي والخليفة على حد سواء فلا يسوغ لأيهما الخروج عنها .

صورة من صور المساواة

.. ان التاريخ الاسلامى حافل بصور رائعة للعدالة والمساواة .. صور تفوق الأمنيات والأحلام .. ومهما أطلق الانسان لآماله من عنان .. فلن يصل أبدا الى هذه الصورة الانسانية المتألقة التى امتلأ بها تاريخ المسلمين.. وما اعتقد أن هناك صورة من صور العدالة والمساواة فى تاريخ البشر والأمم المتقدمة فى مثل هذه الصورة التى نراها ماثلة بين يدى حبيب رسول الله وصفيه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ..

... فقد حدث يوما خلاف بين على بن أبى طالب عليه السلام وبين يهودى فاحتكما الى عمر ابن الخطاب وكان خليفة المسلمين أبهر شخصية فى الاسلام .. وكان من عادة عمر بن الخطاب أن ينادى عليا بقوله يا أبا الحسن .. فلما وقف الخصمان أمام (عمر) يقص كل منهما قصته . نادى عمر ابن أبى طالب بنفس ندائه (يا أبا الحسن) فغضب ابن أبى طالب غضبا شديدا .. فسأله عمر بن الخطاب :

هل أغضبك يا على أن تقف أمام خصمك اليهودى ؟

وهنا تتجلى الانسانية الاسلامية فى أبهى صورها حينما يقول الامام العظيم على بن أبى طالب حبيب رسول الله وباب مدينة العلم .. لا بل غضبت لأنك ناديته باسمه وناديتنى بكنيتى فلم تسو بينى وبين خصمى .

هكذا هو الاسلام وهكذا هو العدل فى الاسلام .. وهكذا كانت الأمة الاسلامية تعيش فى جو من الأمن والأمان والاستقرار لكل الناس فى دنيا الناس .

وهكذا مهما اختلفت الصيغ فالجوهر واحد وهو استقلال القاضى واقامة العدالة وما كان ذلك أخذا بما جاء فى النظم الحديثة على ما يرى البعض — لأن النظم الحديثة فى الغرب لم تعرف هذه الأحكام الا من شريعة الاسلام الأسبق فى الوجود والأعرق فى التطبيق قبلها .. وبذلك تكون الشريعة جوهر العدالة وصرحها المتين فى مختلف الأزمنة والعصور .. وصولا الى مجتمع يسوده العدل والانصاف والمساواة وترفرف عليه المحبة والسلام .

وأخيرا ..

فالشريعة الاسلامية بما أكدته من قواعد العدل والانصاف وبما اتسمت به من البساطة والدقة لا تحمل الانسان على أمر لا يطيقه أو يتعذر عليه تنفيذه أو ادراكه .

والله من وراء قصدنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

تاريخ الإسلام

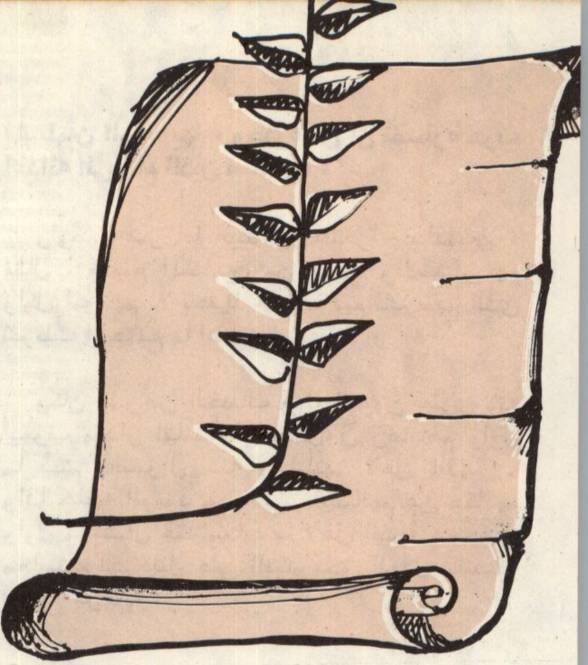

أكبر شاهد على سماحة الإسلام فى معاملة الشعوب التى خضعت لحكمه..

الدكتور محمد عبد التواب حامد

لقد كانت حرية العقيدة التى أرسى قواعدها الاسلام ، ورفع شعارها من اهم اسباب انتصاره فى جميع المعارك التى خاضها . وحرية العقيده من أولى الحريات التى يقررها الاسلام للانسان . قال تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (الكهف : ٢٩) ذلك لأن الأساس فى الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالى عن الاكراه والاجبار ، وأساس الايمان بهذا الدين هو العقل والفكر والنظر والاطمئنان القلبى ، لذا كانت القاعدة الاسلامية الأولى فى هذا المجال أنه لا اكراه فى الدين قال عز وجل : لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » (البقرة : ٢٥٦)

عدالة الاسلام :

وقد كان من الهدى النبوى أن يخير أهل البلاد المفتوحة بين ثلاث ، الاسلام أو الدخول فى الذمة أو القتال ، ولم يكره الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الراشدون من بعده أحدا على الاسلام لا ممتنعا ولا مقدورا عليه ، ذلك لأنه لا فائدة فى ايمان مثل هذا . وكان من يرغب من أهل البلاد المفتوحة عن الدخول فى الاسلام ويقبل الدخول فى الذمة ، يلتزم بدفع الجزية ، وهى شىء من المال يدفع مقابل حمايتهم والدفاع عنهم .

وقبول الاسلام الجزية من أهل هذه البلاد مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أعظم الأدلة على الحرية الدينية فى الاسلام . وقد كانت سماحة المسلمين وعدالتهم وأخلاقهم تسبق أنباؤها معاركهم ، وكانت سببا فى استجابة أهل هذه البلاد وترحيبهم بالفتح الاسلامى ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيان حكامهم ورجال دينهم . وفى خلال فترة وجيزة من الزمن استطاعت الدولة الاسلامية أن تقهر أقوى سلطتين سياسيتين فى هذا الوقت وهما دولتا الفرس والروم ، وأن تبسط سلطانها فيما بعد على معظم أرجاء العالم الذى كان قائما فى ذلك الحين .

وبفضل هذه الحرية الدينية ، لم يعرف الاسلام عبر تاريخه الطويل الحروب الدينية التى وصمت جبين العالم وعوقته عن تطوره حينا من الزمن ، وقد عصم الاسلام من هذه البربرية عقيدته السمحة ، التى تجعل الدين لله ، وتحرم الوساطة بينه وبين أنفرد . فلا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية ولا وصاية لهم عليهم .

« كانت الملوك من غير المسلمين اذا فتحوا مملكة اتبعوا جيشها الظافر بجيش من الدعاة الى ريفها ، يلجون على الناس بيوتهم ، ويغشون مجالسهم ، ليحملوهم على دين الظافر ، وبرهانهم الغلبة وحجتهم القوة . ولم يقع ذلك لفاتح من المسلمين ، ولم يعهد فى تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون ، لهم وظيفة ممتازة ، يأخذون على أنفسهم العمل فى نشره ، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم

ومحاسنتهم فى المعاملة ، وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا واحسانا ، عندما كان يعدها الأوربيون ضعة وضعفا .

رفع الاسلام ما ثقل من الأتاوات ، ورد الأموال المسلوبة الى أربابها ، وانتزع الحقوق من مغتصبها ووضع المساواة فى الحق عند التقاضى بين المسلم وغير المسلم(١) » .

ولا أدل على هذه السماحة فى المعاملة والعدل فى التقاضى مما جاء فى رسالة عمر بن الخطاب بخصوص معاملة أهل الذمة ، حيث ورد فيها ما نصه(٢) .

« ولكم أن نمنعكم — وما يحل ملكه عندنا لكم — ممن أرادكم من مسلم أو غيره بظلم ، بما نمنع به أنفسنا وأموالنا ، ونحكم لكم فيه على ما جرى حكمنا عليه ، بما نحكم به فى أموالنا . وما يلزم المحكوم فى أنفسكم فليس علينا أن نمنع لكم شيئا ملكتموه محرما من دم ولا ميته ولا خمر ولا خنزير كما نمنع ما لا يحل ملكه ، ولا نعرض لكم فيه الا أنا لا ندعكم تظهرونه فى أمصار المسلمين(٣) ، فما ناله منه مسلم أو غيره لم نغرمه ثمنه لأنه محرم ولا ثمن لمحرم . ونزجره عن العرض لكم فيه فان أعاد أدب بغير غرامة فى شىء منه » أ.هـ

رعاية الاسلام لأهل الذمة :

ويرى المطلع على التاريخ الاسلامى ، والمتتبع لسيرة الخلفاء الراشدين — رضى الله عنهم — مقدار عناية هؤلاء السلف بأهل الذمة ، ومقدار احترامهم ومحافظتهم على أموالهم وانفسهم ومعتقداتهم .

فقد كان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — على شدته مع المسلمين ، رفيقا باهل الذمة والمعاهدين ، فقد أوصى سعد بن ابى وقاص ، لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة ، وبأن لا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها ، الا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه ، وأوصاه أن لا ياخذ من اهلها شيئا ، لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ، وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه .

وأوصى عمر أبا عبيدة بن الجراح بالذميين ، فقال : وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت فى جميع ما أعطيتهم .

وكان عمر بن الخطاب يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار اقامتهم العدل فى رعاياهم وأول ما يهتم بالسؤال عنه معاملتهم لأهل الذمة . واذا جاءته الوفود من الأقاليم يسألهم عن حكامهم وأول ما يسأل عنه معاملتهم لأهل الذمة ، فحسن معاملتهم لهم دليل على القيام بحق العدل بالنسبة لجميع الرعايا .

معاملة الخلفاء الراشدين لأهل الذمة :

ولا شك أن معاملة هؤلاء الخلفاء الراشدين لأهل الذمة والمعاهدين . والتى اتسمت بالسماحة والعدل كان مستندها ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهى عن ظلمهم ، أو قتلهم أو أخذ حقوقهم .

فقد روى البخارى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما(٤) .

وروى أبو داود بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :«ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة »(٥) .

وقد كانت معاملة الحكام المسلمين أمثال أبى عبيدة ، وخالد وغيرهم لأهل البلاد المفتوحة — مسترشدين بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم — سببا لدخول أكثرهم فى الاسلام طائعين راضين بسيادة المسلمين عليهم .

يقول سيرت . و . أرنولد(٦) :

« ولما بلغ الجيش الاسلامى وادى الأردن

---

(١) رسالة التوحيد للامام محمد عبده ص ١٦٢ .

(٢) كتاب الأم : للامام الشافعى ج ٤ ص ١١٩ طبعة الشعب .

(٣) والمسلمون وأهل الذمة سواء فى المنع من اظهار هذه المحرمات فى ديار الاسلام ، أما من ناحية التملك فيجوز ذلك لأهل الذمة ولا يجوز للمسلمين .

(٤) البخارى ج ١٢٠/٤ وابن ماجة ج ٨٩٦/٢ وانظر مسند أحمد ج ٣٦/٥ ، ٣٨ .

(٥) سنن ابى داود ج ١٥٢/٢ .

(٦) كتاب الدعوة الى الاسلام : سيرت و. ارنولد.ترجمة: حسن ابراهيم حسن وزميليه ص ٧٣ ط. ٣ .

وعسكر أبو عبيدة فى فحل ، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب الينا من الروم وان كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، واكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ، وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الرومان وتعسفهم » أ.هـ .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر رضى المصريون بهذه الفتح ، وشكروا لعمرو أنه لم يتعرض لدينهم وعاداتهم ، ونظامهم ، وأنه لم يطالبهم الا بجزية بسيطة عن كل شخص ، مقابل حمايتهم والدفاع عنهم .

كيف عامل المسلمون أهل البلاد التى فتحوها ؟

ولما فتح المسلمون الأندلس ، عاملوا أهلها معاملة تتجلى فيها السماحة بأجلى معانيها فقد أعفوا من الجزية غير القادرين عليها ، واستمتع بالحرية النصارى واليهود ، وذلك للمسلك الذى سلكه المسلمون فى تصريف الشئون هناك . ولقد عاش النصارى أحرارا فى اقامة شعائرهم الدينية دون تدخل من المسلمين فى ذلك ولا فى أحوالهم الشخصية . وقد تولد عن هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمةالأندلسية الى المسلمين وحصل بينهم زواج كثير .

وكذلك اليهود ، فقد خلصهم المسلمون حين فتحوا الأندلس ، من عسف القوط الذين كانوا يرزخون تحته ، ومن اضطهادهم ، وسمحوا لهم بحرية التجارة التى كانت محظورة عليهم وأباحوا لهم أن يتملكوا ، بعد أن كانت الملكية محرمة عليهم ، فاستنشقوا بذلك نسيم الحرية .

وهكذا تمتع كل من اليهود والنصارى بالحكم الاسلامى ، وما فيه من سماحة وانسانية ، قال ميشو فى تاريخ الحروب الصليبية : لما استولى عمر على مدينة أورشليم لم يفعل بالمسيحين ضررا مطلقا . ولكن لما استولى عليها المسيحيون قتلوا المسلمين ، ولم يشفقوا وأحرقوا اليهود احراقا .

وجاء فى كتاب الاسلام للكونت هنرى وكاسترى : ان الحبر ميشو قال : ولقد أيقنت من تتبعى للتاريخ ، أن معاملة المسلمين للمسيحيين ، تدل على ترفع فى المعاشرة عن الغلظة ، وتدل على حسن مسايرة ، ولطف ومجاملة ، وهو احساس لم يشاهد فى غير المسلمين ، اذ ذاك ، خصوصا أن الشفقة والرحمة والحنان كانت أمارات ضعف عند الأوربيين ، وهذه حقيقة لا أرى وجها للطعن فيها .

وقال : سيرت . و. أرنولد(١) : لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم ، منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح فى القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم بحق ، أن القبائل المسيحية التى اعتنقت الاسلام ، قد اعتنقته عن اختيار وارادة حرة » أ.هـ

ويقول مونتسيكو فى كتابه روح الشرائع عند كلامه على الجزية(٢) : ان هذه الأتاوات المفروضة كانت سببا لهذه السهولة الغريبة التى صادفها المسلمون فى فتوحاتهم ، فالشعوب رأت — بدل — أن تخضع لسلسلة لا تنتهى من المغارم التى تخيلها حرص الأباطرة أن تخضع لأداء جزية خفيفة يمكن توفيتها بسهولة وتسلمها بسهولة كذلك .

ويقول أحد علماء الغرب : ان المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهوريهم الا شيئا ضئيلا من المال لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية »(٣) .

وقد رأيت من تمام الفائدة أن أتبع الشواهد التاريخية الماضية ببعض كتب العهود التى أخذها القواد المسلمون على أهل البلاد المفتوحة ، وهذه الكتب موجودة بنصها — موقعة بأسماء شهودها من الطرفين — فى كتب التاريخ الاسلامى ، ومنها يعلم مقدار عدل المسلمين وسماحتهم فى معاملة الشعوب التى خضعت لحكمهم .

فقد جاء فى تاريخ الطبرى ذكر لكثير من كتب العهد التى أخذها قواد عمر بن الخطاب — رضى الله عنه على أهل البلاد المفتوحة :

---

(١) كتاب الدعوة الى الاسلام . سيرت و. أرنولد ص ٧٠
(٢) روح الدين الاسلامى ص ٣٧٩ نقلا من كتاب : « المنازعة بين الدين والعلم » لدريبر .
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٩ .

فمن ذلك : كتاب العهد الذى كتبه سويد بن مقرن ، أحد قواد عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ لرزبان وأهل دهستان ، وهاك بعض ما جاء فيه بنصه :

« هذا كتاب من سويد بن مقرن ، لرزبان صول ابن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ، أن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة قدر طاقتكم على كل حالم ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا من جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغير شىء من ذلك .

شهد سواد بن قطبة وهند بن عمر وسماك ابن مخرمة وعتيبة بن النهامى(١) .

ومنها : الكتاب الذى كتبه عتبه بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب ، وهذا بعض ما جاء فيه بنصه : « هذا ما أعطى عتبه بن فرقد عامل عمر بن الخطاب ــ أمير المؤمنين ــ أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر(٢) منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ، ومن أقام مثل ما لمن أقام من ذلك(٣) » أ.هـ

ومنها : العهد الذى كان بين سراقة . عامل عمر بن الخطاب ــ وبين شهر بزار ، وهاك نصه :

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر بزار وسكان أرمينية والأرض من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا وعلى أهل أرمينية والأبواب الطراء منهم والثناء(٤) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة ، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالى صلاحا ، على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك ، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء ، فان حشروا وضع ذلك عنهم .

شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله . وكتب مرضى بن مقرن وشهد(٥) » أ.هـ

أين هذا التسامح الدينى الذى عامل به المسلمون شعوب البلاد المفتوحة ، مما فعلته أوربا فى العصور الوسطى ، فقد شن حكامها وكهانها حروبا دموية ضارية انغمست فيها شعوبهم طوال عدة قرون واستبيحت فيها باسم الدين ــ والدين منها براء ــ جميع المقدسات الانسانية من حياة وحرية وكرامة وعدل .

أين هذا من تلك الحملات الوحشية التى شنتها أوربا على الديار الاسلامية حروبا عدوانية استعمارية شعارها الجور والاكراه فى الدين . ولولا ضيق المقام لذكرت جملة من هذه الحملات .

فليقارن العاقل بين سماحة الاسلام وما كفله لرعاياه سواء من المسلمين أم من غير المسلمين من حرية العقيدة ، وما فعله دعاة التطور والحضارة بالشعوب التى خضعت لحكمهم عن طريق الظلم والقهر ، وما قاسته هذه الشعوب فى ظل حكمهم من الوان الاستغلال والاضطهاد . ليتأكد العاقل أن دين الاسلام هو الدين الذى اكمل الله به الشرائع ، وتمت به نعمة الله على الخلق **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** (سورة المائدة ٣) .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : لأبى جعفر بن جرير الطبرى ج ١٥٢/٤ طبعة دار المعارف ١٩٦٣ .

(٢) الحشر هنا : جمع الناس وسوقهم للقتال أو مساعدة المقاتلة .

(٣) المرجع السابق ج ١٥٥/٤ .

(٤) الطراء : الغرباء الذين يطراون ، جمع طارىء ، والثناء : المقيمون .

(٥) المرجع السابق ج ١٥٧/٤ .

التصوف و الفلسفة

الإسلامية

من أدب الصوفية في المقامات

الـــــورع

الدكتور سعد حسن فشوان

ومقام الورع مقام شريف ، قال صلى الله عليه وسلم : « ملاك دنيكم الورع » ، وقال فيما رواه عنه أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : « كن ورعا تكن اعبد الناس » .

وقد كثرت أقوال الصوفية فى الورع ، وهذه الأقوال تختلف من طبقة لأخرى ، فأبونصر السراج (٣٧٨ هـ) يجعل أهل الورع ثلاث طبقات :

فمنهم من تورع عن الشبهات التى اشتبهت عليه ، وهى ما بين الحرام البين والحلال البين ، ومالا يقع عليه أسم حلال مطلق ، ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك ، فيتورع عنهما .

وهو كما قال ابن سيرين : (١١٠ هـ) « ليس شىء أهـون على من الورع ، اذا رابنى شىء تركته » .

ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ، ويحيك فى صدره عند تناول الشبهات وهذا لا يعرفه الا أرباب القلوب والمتحققون .

راى ابو سعيد فى الورع :

وهو كما قال أبو سعيد الخراز (٢٧٩ هـ) : « الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر ، حتى لا يكون لأحد قبلك مظلمة ، ولا دعوى ولا طلبة » .

وكما حكى عن الحارث المحاسبى (٢٤٣ هـ) انه كان لا يمد يده الى طعام فيه شبهة ، وسئل سهل بن عبد الله (٢٨٣ هـ) عن الحلال فقال : الحلال الذى لا يعصى الله فيه . وقد قال أبونصر السراج : والذى لا يعصى الله فيه لا يتهيأ لأحد الوقوف عليه الا باشارة القلب .

وأما الطبقة الثالثة فى الورع فأصحابها هم العارفون والواجدون وهو كما قال أبو سليمان الدارانى (٢٢٥ هـ) رحمه الله : كل ما شغلك عن الله فهو مشئوم عليك ، وكما قال سهل ابن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافى الحلال الذى لا يعصى الله فيه ، والحلال الصافى الذى لا ينسى الله فيه » .

فالورع الذى لا ينسى الله فيه هو الورع الذى سئل عنه الشبلى (٣٣٤ هـ) رحمه الله فقيل له : يا أبا بكر ما الورع ؟ فقال : أن تتورع الا يتشتت قلبك عن ذكر الله عز وجل طرفة عين » .

هناك اذن ورع العموم ، وورع الخصوص ، وورع خصوص الخصوص ومن هنا اختلفت أقوال الصوفية فى الورع تبعا لاختلاف منازلهم فيه كما رأينا . .

ومن أقوال الصوفية فى الورع قول أبى سليمان: الورع أول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضاء.

وقـول يحيى بن معـاذ (٢٥٨ هـ) : الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل .

وما قاله ابو عبد الله بن الجلاء :

صحب ذا النون وابا تراب النخشبى : أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ، ولم يتناول من طعام جلب من مصر (أى من المدن) ، والركوة : الدلو ، والرشاء : الحبل .

وقول معروف الكرخى (٢٠٠ هـ) : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم .

حوار بين أخت بشر الحافى وبين الامام أحمد :

وقد قيل : جاءت أخت بشر الحافى (٢٢٧ هـ) الى أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) وقالت : **انا نغزل** على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا **أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها ؟** فقال أحمد : من أنت ؟ عافاك الله تعالى، فقالت : أخت بشر الحافى ، فبكى أحمد وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلى فى شعاعها .

وقول أبى بكر الدقاق (من أقران الجنيد) : تهت فى تيه بنى اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلنى جندى فسقانى شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبى وتألمت ثلاثين سنة ..

وقد قيل : ان رابعة العدوية (١٨٠ أو ١٨٥هـ) خاطت شقا فى قميصها فى ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها (أى حضوره) زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها .

ولقد رأى بعض الصوفية أن الورع يقتضى الامتناع عن ذكره سبحانه اجلالا له ، **يقول الكتانى** (٣٢٢ هـ) : لولا أن ذكره فرض على لما ذكرته اجلالا له ، مثلى يذكره ؟! **ولم يغسل فمه بألف** توبة منقلبة عن ذكره .

يقول الأستاذ ابو على الروذبارى (٣٢٢ هـ) ينشد لبعضهم :

ما ان ذكرتك الا هم يزجرنى
قلبى وسرى وروحى عند ذكراكا
حتى كأن رقيبا منك يهتف بى
اياك ، ويحك والتذكار اياكا

كما أن الذكر يقتضى النسيان ، وكيف ينسى الصوفى ربه ؟ أو كيف ينسى المحب حبيبه ؟ أو كيف يزعم ذلك أو يدعيه ؟!

وهنا يختلط الحب بالورع ، ذلك لأن الصوفى حين يتورع عن الذكر اجلالا له سبحانه فانه ينبىء بذلك عن مقدار حبه لخالقه ، وفى ذلك انشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت الفى
وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

ودفع بعض الصوفية الورع الى تفسير « شطحات » الغير تفسيرا قائما على الحيطة والحذر ، وفى ذلك يقول ابو نصر السراج :

« فمن أجل ذلك قلنا : لا ينبغى لأحد أن يظن انه يحوى جميع العلوم حتى يخطىء برايه كلام المخصوصين ، ويكفرهم ويزندقهم ، وهو متعر من ممارسة أحوالهم ، ومنازلة حقائقهم وأعمالهم » .

ودفع الورع أيضا الى ترك « الايمان » الذى يعنى الاشارة بحركة جارحة ، قال الجنيد (٢٩٧هـ) رحمه الله : جلست عند ابن الكرينى فأوميت برأسى الى الأرض فقال : بعد ، ثم أوميت برأسى الى السماء فقال : بعد .

وقال الشبلى رحمه الله : ومن أومى اليه فهو كعابد وثن ، لأن الايمان لا يصلح الا للأوثان ، وقد قال القائل :

ولى عند اللقاء وفيه عتب
بايماء الجفون الى الجفون
فأبهت خيفة وأموت خوفا
وأفنى عن حراك أو سكون

كما دفعهم الورع الى اظهار الحياء منه سبحانه ، والى كتمان الهوى يقول ابو حمزة الصوفى (٢٨٩ هـ) :

نهانى حيائى منك أن أكتم الهوى
وأغنيتنى بالفهم عنك من الكشف
تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى
الى غائبى واللطف يدرك باللطف

تراءيت لى بالغيب حتى كأنما
تبشرنى بالغيب أنك فى الكف

أراك ولى من هيبتى لك وحشة
فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف

وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه
وذا عجب أن الحياة مع الحتف

وقال النووى (٢٩٥ هـ) :

لعمرى ما استودعت سرى وسرها
سوانا حذارا أن تشيع السرائر

ولا لاحظته مقلتاى بلحظة
فتشهد نجوانا العيون النواظر

ولكن جعلت الوهم بينى وبينه
رسولا فأدى ما تكن الضمائر

هكذا عرف الصوفية للورع مكانته فأحلوه منزلة عالية فى نفوسهم، وتمثلوه فى سلوكهم، وتمسكوا به فى مجاهداتهم، وفى تقلبهم فى أحوالهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، تند عن الحصر، وتتأبى على الرصد.

كان الورع مرعيا عندهم فى آدابهم فى الصلوات، وفى الزكوات والصدقات، وفى الصوم، والحج، وفى آدابهم بعضهم مع بعض فى الحضر وفى السفر، وفى الصحبة، وعند مجارات العلم، وفى وقت الطعام والاجتماعات والضيافات، وفى وقت السماع والوجود وغير ذلك.

وقد صدق الشيخ على عقل (١٨٩٤ـ١٩٤٨م) رحمه الله حين قال فى ديوان الالهام، فى قصدتيه: « انما الدنيا هموم كلها » :

واترك المكروه ان رمت العلا
ان أهل الحق خافوا ما يباح

عصموا أنفسهم عن « ورع »
واتقوا رب السما دون جناح

وتنادوا فى حماه خشية
وترى فجر الهدى للكل لاح

الى أن قال :

ان روحى لم تفارق روحهم
ودواما سرهم فيه النجاح

وحياتى كلها بينهمو
وبهذا نلت أسباب الفلاح

وما أجمل ما ورد أيضا على لسانه فى قصيدته: « وليس مقام الناس بالفقر والغنى » :

وليس مقام الناس بالفقر والغنى
ولكنما الأقدار بالعلم والحذر

فلنقتد بهؤلاء الصالحين فى كل موقع من مواقع العمل، ولنسر على هداهم فى السر والعلن، وليحاسب كل منا نفسه حسابا عسيرا فى الدنيا قبل أن تحدق بنا الأخطار ونحن فى موقع العرض على الرحمن، جبار الأرض والسموات.

بقدر قليل من الورع تستقيم أحوالنا فى الحياة، وتتشبث أقدامنا بالأرض وهى تقطع رحلة العمر، على قصرها أو طولها فى فتوة لا تنكسر ورجولة لا تلين.

بالورع نقضى على مظاهر التسيب فى مواقع العمل، فنندير ظهورنا للحرام ولكل ما فيه شبهة، ونتجنب الجشع والطمع، ونقضى على (اللامبالاة) وعدم الخوف من الله، فتتفتح من حولنا أزهار الحق والخير والجمال، فى مجتمع مثالى فاضل تزينه قوة الخير وصراحة الحق.

الدعوة و الشباب

من خصائص الدعوة الإسلامية فطرية الإسلام

الدكتور / محيى الدين الألوائى

أهم الميزات التى يمتاز بها الاسلام أنه دين الفطره ، كما انه دين العقل والعلم ، ومن ميزات الدعوة الاسلامية أنها تخاطب العقل ، وكل ما يدعو اليه الاسلام من العقائد والأعمال والأحكام ليس منها ما ينافر العقل الصحيح ولا تأباه النفوس السليمة . ومن ناحيه أخرى أن القرآن قد حدد وسائل الدعوة اليه بالبرهان العقلى والاقناع السليم ، ومنع اى نوع من الاكراه اذ صرح : « لا اكراه فى الدين » (سورة البقرة ٢٥٦) وأن الرسول غير مكلف بشىء سوى التبليغ المبين .

وجاء الاسلام مصدقا لما اقتضته الفطرة السليمة ، ولم يزد فى الاستدلال شيئا سوى أن أيقظ العقول ونبهها الى النظر فى آثار الله تعالى ، فجاء فى وصف الحق تعالى واثباته بما يطابق مقتضى الفطرة والعقل . ومن الآيات الواردة فى ذلك « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون » (النمل ٦٠) **« أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون » (النمل ٦١) « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا » (فاطر ٤٠) « وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الرعد ٣) .**

ولكل من هاتين الميزتين المذكورتين تأثير فى نفوس الناس بمقدار ما فيهم من العقول والتجارب والذكاء . فاذا دعا الاسلام الى عقيدة أو حكم من الأحكام تجافى عن الالزامات التى لا تحيط بها العقول ولا تدركها الأفهام ، وكلما هم بتلقين اصل من أصوله بدأ بالمقدمات النظرية البديهية ، لأن منزل هذه الدعوة هو خالق الانسان ومالك القلوب والأسماع والأبصار ، فلم يجعل من رسله الا مبشرين ومنذرين . ويقول القرآن : **« فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » و « فهل على الرسول الا البلاغ المبين » و « افأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين » . و « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين**

ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق » « وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

الفطرة السليمة

ان دعوة القرآن وجهت أولا وقبل كل شىء الى الفطرة السليمة للانسان ، ولا يدعو الى شىء ليس فى استطاعة العقل البشرى أن يدركه . وبعبارة أدق وأصح أن الاسلام هو الدين الذى قوض دعائم الايمان بغير المعقولات ، واقام على دعائم الايمان اليقينى المتحصل من طريق العقل والنظر ، والقائم عند حدود المسلمات العقلية وحكم الفطرة البشرية . وأن الآيات القرآنية التالية تساعدنا على ادراك هذه الميزة الكبرى للاسلام : « قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون » و « قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » و « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

وظيفة القرآن

وخلاصة القول أن وظيفة القرآن فى البشر رسم أقرب الطرق الى الهداية وحفظ البشرية عن مواطن الهلاك ، فما كان ليأتى بما ينافى العقول السليمة أو يحمل للجسم ما لا طاقة له به ، أو أن يفرض على الانسان ما ليس من فطرته وطبيعته . ومن هنا أصبح الدين الاسلامى دين الفطرة البشرية التى فطر الناس عليها فى كل زمان ومكان ، صالحا لكل أمة وكل جيل ، مصلحا لكل من استمسك بمبادئه وعمل بنظامه. وأعلن القرآن أن دين الله فى كل الأمم واحد لا تختلف أصوله باختلاف الأمم وأحوالها وأزمانها وأمكنتها ، وانما الذى يختلف باختلاف ذلك هو الأحكام الفرعية . ويشير الى ذلك قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » و « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ومن فطرة الاسلام ايضا انه صرف قلوب الناس عن التعلق بما كان عليه آباؤهم وان كانوا فى ضلال مبين . ونهاهم عن التقليد الأعمى ، فكفل الاستقلال لكل شخص فى عقله وفكره وعمله وأعلن أن الانسان لم يخلق ليقاد بالزمان والتبعية، ولكنه فطر على أنه يهتدى بالعلم والفكر ، وعاب أرباب بعض الأديان فى اقتفائهم اثر آبائهم ، ووقوفهم عند ما اختطه لهم سيد أسلافهم . ونبه أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . وقد ذم القرآن هذه الظنون والأوهام اذ يحكى قولهم. « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » « بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا ، ثم أعلن : « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . وكذلك قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وهكذا صاح الاسلام بالعقل البشرى السنيم صيحة أزعجته من سباته ، وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها كلما نفذ اليه شعاع من نور الحق .

نتيجتان هامتان

وتترتب على ذلك نتيجتان هامتان تنفرد بهما الدعوة الاسلامية وهما :

١ ــ ضمان المساواة التامة بين أفراد الجنس البشرى فى الحقوق والواجبات الانسانية .

٢ ــ تحرير العقول البشرية من الأعباء المصطنعة التى فرضتها القوانين البشرية او العادات والتقاليد المتوارثة .

ويؤكد القرآن الكريم فطرية الاسلام الشاملة العامه بقوله : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » (الروم ٣٠) تم وصف النتيجة الحتمية لهذا الدين مخاطبا خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) .

وكان جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فى كل زمان ومكان ، يدعون الناس الى النظر فى الظواهر الطبيعية المألوفة للاستدلال على صدق دعوتهم التى بعثهم الله بها ويخاطبون العقل والضمير .. ويدعونهم للنظر فى السنن الكونية التى تسرى فى هذا الوجود ..

واذا أردنا فهم ميزة الدعوة المحمدية وجب ان نفهم المعنى الحقيقى لكلمة « الاسلام » فهما صحيحا وهى لا تحمل اسم نبى أو داعية بل يطلق عليها اسم خاص هو « الاسلام » ولا يطلق عليها اسم « الديانة المحمدية » أو « الدين المحمدى ». وتفيد كلمة « الاسلام » معنى « الانقياد » التام لله تعالى والاذعان له ويوضح القرآن معنى الاسلام الحق مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم : **«قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » (الأنعام ١٦٢ ــ ١٦٣) .**

واجبنا نحو الشباب

شبابنا من خيرة الشباب ، ولشبابنا واجب علينا هو أن نرسم له الطريق المستقيم والمنهاج القويم وأن نبين له الحق الواضح المستبين ، وذلك يكون بتصحيح المفاهيم الخاطئة : وبتوجيهه الوجهة النافعة وبتيسير الثقافة النقية البعيدة عن جو الوساوس والهواجس والنزعات الشيطانية الشاذة التى تدس السم فى الدسم ، وبالبعد به عن الأفكار الوافدة الواردة التى تدنس الآراء السليمة الحرة التى جاء بها استقلال الشخصية وحرية الرأى المقرران فى الاسلام مع توضيح الحدود والقيود الدينية لكل فرد مسلم ، ولئن كان الاسلام قد أطلق العقل ولكنه قال له اسبح كما شئت واحذر الغرق ، ومن المعلوم أنه قد أصبح جليا واضحا أن بذور الشيوعية لا تصلح للانبات فى أرض التوحيد (أرض العلم والايمان) وهى تحمل مكروب الالحاد الكريه والتشكيك البغيض فى وحدة العقيدة وهى هى من لدن نوح الى يومنا هذا . ورسالة النبيين والمرسلين جميعا واحدة فكل نبى جاء ليقول للناس (لا اله الا الله) فعقيدة الاسلام واضحة وتعاليمه سامية وأخلاقه عالية وهى التى جاء بها النبيون من ربهم .

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

ومناهج الاسلام مكنت له من اقرار السلام فى ربوع الأرض ومن تاليف الناس من جميع الأجناس لتنقية جو الحياة من سموم الحقد والكيد والضغينة والأنانية ليسود الرضا والتراحم والحب وينمحى التطاحن والتناحر وتتوارى المحن والفتن والأحقاد .

العقيدة الاسلامية والوحدة :

والعقيدة الاسلامية صادقة مخلصة تعيش فى النور وتنمو فى جو الحرية العقلية والعقائدية ، أما النظام الاسلامى فهو مثالى يقرر الحق ويصون العدل ويحمى الأمن ويكره الجبن والرعونة والهوج ويعن من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فهو لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ولا ينظر اليهم لا حول لهم ولا طول ، لأن الوحدة فى الاسلام بجوار القوة هما الركنان المهمان اللذان لا يرجى للاسلام ولا للمسلمين بقاء بدونهما . وذلك لأن الاسلام يقول للمسلمين ، **(ولا تهنـوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) ويقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ويقول لهم (ولا تنازعوا فتفشلوا) .**

لان الاسلام يريد أن يعيش المسلمون فى ظل الأخوة الانسانية والكرامة الآدمية فهو يقول للمسلمين ، **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عـذاب عظيم) .**

منهاج الاسلام هو المنهاج السليم :

ومنهاج الاسلام ينير الطريق لمن شاء ان يستقيم من ذوى النفوس الراضية الصابرة والقلوب الواعية المتآلفة المتآخية المتعاونة على البر والخير ، والله يقول **(وتعـاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) .**

والناس صور مكررة وصحف مصورة والناس هم الناس جاءوا من أب واحد وأم واحـدة وكأنهم أسرة واحدة ، وأما اله الناس فواحـد **(ان الهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق)** . ولكن الذين يلجأون الى الاستعانة بالاستعماريين الالحاديين على حرب المسلمين كما هو حادث فى أفغانستان الآن أولئك هم شر البرية ، لأنهم بهذا يمهـدون لهذا الغزو الدعوب بنشاطه المكثف الذى ترصد له الأموال وتحشد له الحشود والجنـود . لغزو خبيث مناوىء للفطرة النظيفة التى فطر النـاس عليها ، والله يقول **(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) ...**

ولولا المناعة والقوة الذاتية للاسلام لكان لهذا الغزو الفكرى والاستعمارى خطره وضرره على أرض المسلمين وعقائدهم ، ولولا الضعف الذى يكشفه أولوا الألباب ويعرفه أولو الأبصـار فى المبادىء الالحادية البغيضة ــ وقد أعدوا لهـا ما استطاعوا من قوة ــ لكان لهـذا المخطط الشيوعى أثره لأنه يبدو واضحا تارة ومقنعـا تارة أخرى فى تآمره على أمة الاسلام التى قـال لها ربنا : **(ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .**

ويل للغافلين عن دينهم وعن وحدتهم :

انهم يعملون ، والمسلمون لاهون متفرقون ، فويل للغافلين منهم عن دينهم وعن وحدتهم وعن اتفاقهم وقوتهم ولئن دام حالهم هذا فغدهم شر من يومهم كما أن يومهم شر من أمسهم ، ولقد أضحى زعماء التفرقة يحسبون كل صيحة عليهم **(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)** وكأنهم لم يعلموا ان دين الاسلام يقـول لهم **((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ويقول لهم ، مثل المؤمنين فى توادهم وتعـاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسد بالسهر والحمى)) .**

وان الله يقول **(ان الذين كفروا ينفقـون أموالهم ليصدوا عن سـبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) .**

ان الوطنية الصادقة لا تنبعث الا من القلوب المؤمنة المخلصة ، فلا أمان لمن لا ايمـان له ، ولا خلاق لمن لا دين له ، وان الشيوعية ، تريد كسر شوكة البلاد بانكسار شوكة الاسلام فى أرض العروبة (أرض النبوات) باذاعة التشكيك فى التوحيد ، وبث روح الالحاد التى يحمل مكروبها أصحاب الأقلام الملوثة ليذهبوا باقلامهم وافلامهم بشبابنا بعيدا عن دين الله الذى ارتضاه لنا وقال ((ورضينا لكم الاسلام دينا)) حتى بعد أن ارتكب السفاحون فى أفغانستان المحارم والمظالم وأراقوا الدماء وقتلوا الأبرياء انك لتراهم قد احتـل الفراغ أذهانهم فصمت عن الحق آذانهم مما جعل فريقا من المنتسبين للاسلام يعيشون بعيدا عن جو الاسلام أولئك الذين تنكروا لدينهم وتقاليدهم وتاريخهم المجيد ولكن الحقد سبب كل قطيعـة واصل كل ضغينة فلا تنفع مع الحاقدين حجـة ظاهرة ولا يجدى مع الجـاحدين برهان قاطـع ، وليعلم الناس أن الاسلام يجمع ولا يفرق ويوحد ولا يمزق لتعلو بالوحـدة كلمة الله ((كلمـة التوحيد)) لأن المجتمعات الفاضلة لا تقوم الا على الأخلاق الراسخة التى بعث بهـا رسول الله القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

بقية مقال حماية الاسلام الدائن والمدين

وقرأ ابن عباس وأبى محمد رضى الله عنهما كتابا ، وقال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة ؟

وقد يتباطأ الانسان فى تأكيد حقه لأمر فى نفسه اذ يرى أن ضآلة الدين ربما انها لا تساوى هذا الجهد الذى يقوم به — فهو ادراك لانفعالات نفسية — ولكن الله عز وجل رغبنا فى أن نأخذ بالأحوط فيسجل الدين صغر او كبر **(ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله)** .

وقد يمتنع الشاهد عن اداء شهادة اما تكاسلا او خوفا من الوقوع فى أمر ربما لا يرضى عنه الدائن او المدين ، ومن ثم فالله عز وجل يحيط الشاهد بسياج من الرعاية والحفظ ففى الوقت الذى حذر فيه من الامتناع عن اداء الشهادة او كتمانها **(ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا)** — **(ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)** .

فى الوقت الذى حذر فيه من ذلك نهى أهل الظلم عن أن يلحقوا الضرر بالكاتب أو الشهيد وان حدث فانه يكون خروجا منهم عن شريعة الله (ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم) وهكذا كان حرص الاسلام الحنيف على اثبات الحق وتأكيده حتى لا يجحد جاحد ولا ينكر منكر فكانت الشهادة على شىء مكتوب

وذلك أقوم من الشهادة الشفوية التى تعتمد على الذاكرة وحدها . وقد حصن الشاهد بضمانات تطمئن نفسه وتشجعه على اداء عمله .

وتوثيق الحق ربما زاد وضوحا باملال المدين الذى هو كالاقرار على نفسه وكالدليل القاطع على حقيقة الدعوى فالاعتراف سيد الأدلة . ومن ثم أصبح حق الدائن مؤكدا وطريق اثباته أمر ميسور ، فلا مجال لأصحاب النفوس الذاوية أن تغمط الحق وتدعى الأباطيل وصدق الله فى قوله **((وادنى أن لا ترتابوا))** أى أقرب من انتفاء الريب .

وسبحان ربى ذلك هو شرع الله الحكيم حتى ان القوانين المستحدثة رات أن طريق اثبات الحق فى بعض الجوانب لا يكون الا موثقا بالكتابة التى دعا اليها الاسلام فى قوله جل شأنه **(اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه)** .

ما يبرر التغاضى عن كتابة الدين :

ومما يبرر التغاضى عن كتابة الدين أن الدائن يرى أن المدين موضع أمانة ومناط شرف وكرامة .

فعلى المدين حينذاك أن يكون عند حسن ظن الدائن به ، وذلك باداء ما عليه وبتوفية دينه **(فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه)** .

وفى قول الله عز وجل : **(الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها)** .

ما يفيد رفع الضرر فى ترك الكتابة عند المبايعة بالنقود الحاضرة .

١ — وفى تفسير الطبرى جـ ٣ أنه كان اكتتاب الكتاب بالدين فرضا فنسخه قوله **(فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته)** .

وعن الشعبى لا بأس اذا امنته أن لا تكتب ولا تشهد لقوله **(فان أمن بعضكم بعضا)** .

قال ابن زيد لولا قوله **(فان أمن بعضكم بعضا)** لم يبح لأحد أن يدان بدين الا بكتاب وشهداء ورهن .

٢ — يرى بعض المفسرين أن نفى الحرج فى الآية يفيد الاثم فى ترك كتابة المداينة الى أن نسخت بقول الله **(فان أمن بعضكم بعضا)** .

واننى أرى أن المقصود فى الآية رفع الضرر فى ترك الكتابة لا رفع الاثم ، وعلى هذا فالكتابة واجبة فى الدين الا فى حالة السفر والائتمان . يدا بيد أى لا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء .

والمعنى عند الزجاج الا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أى دينا قريب الأجل .

لان التجارة تصرف فى المال لطالب الربح فسواء أكانت المبايعة بدين أم بعين فالتجارة حاضرة .

فالكتابة مستثناة فيها لكثرة جرياتها بين الناس وتيسيرا لعمليات البيع والشراء اللذين يتطلبان عدم التعقيد والتباطؤ فى الأمور .

اما عن الشهادة فى المبايعة فقد تطلب حتى لا يجحد البائع ما باعه وخصوصا أن العين فى يد المشترى وليس له من دليل على نقل الملكية اليه اللهم الا بالشهادة .

وهكذا نظرة الاسلام الشاملة وحرصه كل الحرص على حماية الناس جميعا واحاطته لهم بما يصونهم من عبث العابثين ، والنفس الامارة بالسوء ، وهى دعوة صريحة الى الحيطة والكياسة (فالمؤمن كيس فطن) وفى هذا كله تقليل المشاحنات ومحو للخصومات مما فيه نفع للبشرية جمعاء حتى تظل روابط الاخاء قائمة وتبقى الأرواح متعانقة فيسود الأمن والرفاهية وقد نزع من الصدور الغل ودام الصفاء والنقاء .

كتاب الشهر

بسم الله الرحمن الرحيم

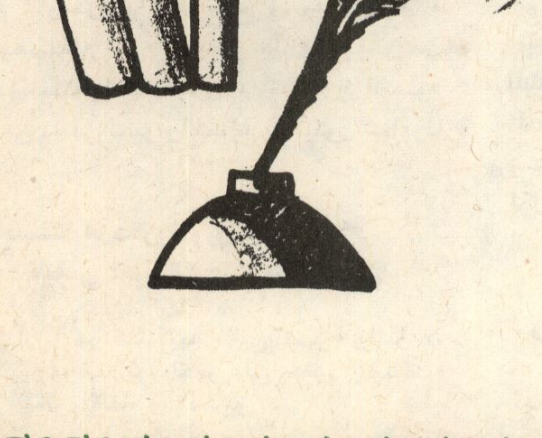

حديث إلى الشباب

إعداد : ليلى عبد الباقى

لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر

حديث الى الشباب كتاب قيم ظهر لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف والكتاب يقع فى خمسة وسبعين صفحة من القطع الجيد .

والدكتور النمر حينما يتحدث الى الشباب فانما يكون حديثه من القلب ونبضاته ، قلب الأب الذى يحب أبناءه ويحنو عليهم ويعمل كل ما يستطيع وفوق ما يستطيع أيضا لتهيئة المستقبل الطيب لهم ، ويفرح ما وسعته الفرحة حين يرى أبناءه يتجهون الاتجاه السليم لبناء أنفسهم على المنهج السليم الذى يحبه الله ويرضاه ويصيبه الكدر حين يرى منهم أشياء تخرج على هذا المنهج وتعطل سيرهم و تعرضهم للمتاعب .

وبمقدار ما وضعه الله فى الأباء من كنوز الحب والشفقة الطبيعية على أبنائهم ، طالبهم بأن يرعوهم ، ويحرسوا تصرفاتهم فى مسيرتهم ، ويرشدوهم باللين تارة متى كان اللين مجديا وبغير اللين اذا احتاجوا لغير اللين ، وقد تكون القسوة أحيانا هى منتهى الحنو والشفقة كما يقول شاعرنا الحكيم :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

على أن الأمر هنا لايصل الى القسوة وانما هو مجرد تنبيه ووضع نور أحمر على بعض «المطبات» حتى لا يتعثر الأبناء فى الطريق .

وفضيلة الدكتور النمر من خيرة العلماء العاملين الذين يعملون على الارتفاع بمستوى الشباب ليصل بهم الى خير ما قدر **ولهذا يقول فضيلته : فحينما يمتد الزمن بكم ستكونون أنتم الذين تتولون هذا البلد ، أما نحن فقد لا نكون واذا كنا على قيد الحياة نكون قد أدينا ما علينا** وننتظر اليكم كيف تعملون فمن أجل هذا أيها الأبناء نعمل دائما من اجل تهيئة المستقبل لكم وأنتم أصحاب المستقبل ، أنتم أصحاب المصلحة فى هذا المستقبل .

اذا عملنا الآن فاننا نعمل من أجلكم واذا اجتهدنا الآن فاننا نجتهد أيضا من أجلكم .

نحن الآن قد جرت بنا الأيام نحو الغروب ، اما أنتم ففى مطلع الشمس مطلع حياتكم ، والزمن ان شاء الله ممتد بكم ، وأنتم الذين ستجنون الثمرة فى المستقبل ، وأرجو أن يبارك الله عمانا حتى تجنوا الثمرة الحلوة الطيبة من أعمالنا ومن اجتهادكم معنا ووضع أيديكم فى أيدينا ..

دعوة الرئيس الى بناء الانسان المصرى :

ويشير فضيلة الدكتور الى ان لابد للمسلمين ضرورة بناء الانسان المصرى من جديد ، بنائه بمفاهيم جديدة وروح جديدة فيقول سيادته : « أيها الأبناء نتكلم كثيرا عن بناء الانسان لأن الانسان المصرى الآن يحتاج الى بناء قوى ، ووضعنا الآن كالنهر الكبير فيه الماء العذب لكن يوجد مع الماء الكثير من الحشائش وأشياء أخرى كثيرة تحتاج الى تصفية وتنقية حتى يصبح الماء عذبا حلوا صالحا للشرب دون أى تأفف » .

يشير فضيلة الدكتور الى ان لابد للمسلمين من منهج ثابت وعقيدة ثابتة وأرضية قوية ننطلق منها لبناء الانسان ويقول فضيلته : « لذلك دعا السيد الرئيس ودعونا جميعا الى ضرورة بناء الانسان المصرى من جديد ، بنائه بمفاهيم جديدة ، وروح جديدة ، ان جيلنا نحن قد عاش فى ظل الاحتلال جاهدنا كثيرا ضد الاحتلال الانجليزى .

وكان السيد الرئيس من أول المجاهدين المكافحين ، نعم جيل أبنائكم ضحى وجاهد ، واحتمل الكثير ، أنتم الآن لستم فى حاجة لهذا الجهاد والعناد ، البلد الآن بلدكم ، وكل ماتعملونه تعملونه بارادتكم وتعود فائدته عليكم ، لستم فى حاجة الى جهاد المستعمرين الذى كان دور آبائكم .

جيل الآباء .. ومسئولية الأبناء :

أنتم الآن لكم دور آخر ، دور احياء البلاد ، جيل الآباء خلص دولتكم وأمتكم من المستعمر ، ويشرف الآن على بناء هذه الدولة وهذه الأمة وبنائها بالشباب فالمسئولية عليكم الآن وأنتم أحرار فى بلادكم وفيكم عزائم الشباب ، وطموح الرجال والشباب ، أنتم الآن تصنعون مستقبلكم فى هدوء دون أن يكون هناك ما يسيطر عليكم من المستعمرين » .

الشيوعية ضد الأمة الاسلامية :

ويشير فضيلة الدكتور الى أن لابد للمسلمين من منهج ثابت وعقيدة نامية وأرضية قوية ننطلق منها لبناء الانسان ، الغرب له منهجه المغاير والشرق الشيوعى ضد الأمة الاسلامية ولا يريد للمتدينين خيرا ، لأنه يعمل على القضاء على الدين وكل انسان متعلق بدينه لدى الشرق الشيوعى انما هو انسان بغيض فهم اعداؤنا الطبيعيون .

مصر زعيمة العالم الاسلامى :

أصبحت مصر زعيمة العالم الاسلامى وقائدة العالم الاسلامى فمصر موقعها الآن فى العالم الاسلامى هى موقع القلب من الجسد وهى موقع القلعة التى تحمى البلاد الاسلامية .

وشباب مصر هم الذين أوكل اليهم حراسة وحماية هذه القلعة .

فأبناء مصر هم الذين صدوا التتار والمغول والصليبيين ولا يزال ابناء مصر هم القادرون على صد التيارات الهدامة .

ومن هنا فان أمتنا تحتاج الى شباب قوى بايمانه وعزائمه لأن الشباب هم الأمل المرتجى لهذه الأمة .

وقد علمنا التاريخ أن الذين صلحت بهم الحياة هم الذين تربوا فى مدارس الاسلام ورشفوا من رحيق القرآن الكريم .

ويقول فضيلته : « بناء الانسان من الداخل انما هو الايمان بالله سبحانه وتعالى بتعاليم الاسلام التى بينها الله فى القرآن الكريم وبينها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتجت تجربتها بناء دولة اسلامية عظيمة فى وقت قصير .

وإذا كانت كتب التراث الاسلامى زاخرة بالقيم الفاضلة والعلوم النافعة فاننا فى أشد الحاجة الى الاطلاع على تراثنا لننهل منه ونستفيد مما فيه من علوم ومعارف وحضارة لتنطلق الى المستقبل ونحن أكثر قوة ولا شك أن تراثنا الاسلامى علامات مضيئة فى الطريق الحضارى » .

العمل الاسلامى يمر بظروف حرجة :

ويمضى فضيلة الدكتور فى بيان التحديات التى تواجه المسلمين فيقول : « العمل الاسلامى بوجه خاص يمر بظروف حرجة وله الكائدون له المتربصون به فى كل مكان فى الداخل والخارج ومن سوء التقدير أن يظن الذين يعملون فى الحقل الدينى أن الجو حولهم ممهد لهم أو أن الجو لهم وحدهم أو أن مجرد اقتناعنا بأمر يعنى اقتناع الآخرين من المسلمين أو غيرهم به ، والقائد الماهر أو الجندى لابد أن يعرف طبيعة الأرض التى يحارب عليها والجو الذى تجرى فيه المعركة ليعد لكل أمر عدته وقد عرفنا عن معركة رمضان أن القيادة المصرية درست كل شىء قبل العبور حتى وقت المد والجزر وتيار المياه فى القنال حتى لا يعوق العابرين أو يعطلهم » .

موقف الشائنين تجاه مصر :

وفى أسلوب رائع ومنهج علمى يوضح فضيلة الدكتور موقف الشائنين لمصر فى الخارج ويبين أن مواقف هؤلاء تتسم بالقسوة والخروج عن العلاقات الاسلامية . قال تعالى :

اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

ويمضى فضيلة الدكتور النمر فى بيان الحقائق أمام الشباب ليكون الطريق أمامهم واضحا وقد كشف لهم أحداث ايران الاسلامية وظواهر الاضطراب التى تسىء الى الفكر الاسلامى .

وقد تضمن هذا الحديث دعوة ضمنية مفادها أن الايمان هو الأساس الذى يعمر القلوب بالصدق والصفاء وأن مقولة هذا شأنها وتلك فلسفتها لا شك تؤدى الى نتائج مثمرة ومفيدة فى طريقنا الى العلم .

وسوف نثب بالحضارة الاسلامية وثبة كبرى تنقذ الانسانية من وهدة الضياع والهلاك وتزيل الاصفاد والقيود التى تقف حجر عثرة أمام تقدم البشرية .

وللشباب رسالة كبرى ملقاه على عاتقه . ولهذا كان على شبابنا أن يحسن حمل الرسالة ويخلص لها حبا لدينه ولوطنه .

والذى لا شك فيه أن كتاب **« حديث الى الشباب »** مساهمة فعالة فى ابراز الحقائق ووضع الأمور فى مواضعها وان القارىء يجد فيه العلم الوافر والمنهج السليم .

كلمة

■ يارب :

انفعنى بعقلى .

واجعل ما أنا صائر اليه ، أحب إلى

مما أنا مدبر عنه . !

« عمر بن عبد العزيز »

العالم الإسلامي

أنباء

و

آراء

ندوة للاقتصاد الاسلامى تحت رعاية الرئيس

القاهرة :

عقدت كلية التجارة بجامعة الأزهر ندوة للاقتصاد فى الفكر الاسلامى بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر تحت رعاية الرئيس محمد أنور السادات .

وناقشت الندوة عددا من الموضوعات والدراسات والبحوث الاقتصادية حول المشكلة الاقتصادية ومشاكل تمويل التنمية فى العالم العربى **والصيغ البديلة للتمويل فى الفكر الاسلامى واسس الاقتصاد الاسلامى .**

مؤتمر للتربية الاسلامية

القاهرة :

عقدت كلية التربية بجامعة طنطا مؤتمرا للتربية الاسلامية فى أوائل شهر ابريل ١٩٨٠ شهده **فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر ، وبعض أساتذة جامعة الأزهر وعلماء الدعوة الاسلامية بالمحافظات ، وعمداء كليات التربية بجميع المحافظات .**

وقد ناقش المؤتمر ثلاثة عشر بحثا فى التربية الاسلامية منها :

- **فلسفة التربية الاسلامية كما يحددها القرآن الكريم .**
- **فلسفة التربية الاسلامية كما تبدو فى ضوء الحديث الشريف .**
- **التربية الاسلامية فى القرن الرابع عشر الهجرى .**
- **التربية الاسلامية بين الصوفية والفلاسفة .**
- **تنمية الشعور الدينى لدى الاطفال .**
- **اصول تربية الطفل فى الاسلام .**
- **الآراء التربوية فى كتابات ابن مسكويه .**
- **دور المسجد فى تلبية احتياجات جمهوره .**

لقاء فكرى بين اساتذة جامعة الأزهر وعلماء الاديان بالسويد

القاهرة :

زار القاهرة ثلاثون أستاذا من جامعات السويد خلال شهر مارس ١٩٨٠

وقد جرى لقاء فكرى بين اساتذة جامعة الأزهر برئاسة الأستاذ الدكتور عوض الله حجازى رئيس جامعة الأزهر وبين علماء الاديان بجامعات السويد برئاسة الدكتور يان باريمان — فى مجالات العقيدة الاسلامية ودورها فى تربية الفرد والمجتمع ، ومنهج الاسلام فى الاقتصاد والسياسة والاسلام والتغيرات الاجتماعية .

وقد عقدت ثلاث لجان مشتركة من الجانبين لبحث كل موضوع على حده .

اللجنة الأولى : برئاسة الأستاذ الدكتور **محمد سيف الدين فهمى** عميد كلية التربية.

وناقشت هذه اللجنة دور العقيدة الاسلامية فى تربية الفرد والمجتمع .

اللجنة الثانية : برئاسة الأستاذ الدكتور **حسن على الشاذلى** وكيل كلية الشريعة والقانون وناقشت منهج الاسلام فى الاقتصاد والسياسة .

اللجنة الثالثة : برئاسة الأستاذ الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وكيل كلية اصول الدين ، وناقشت الاسلام والتغيرات الاجتماعية .

وقد انتهى اللقاء بتقرير عدة حقائق عن الاسلام منها :

- **دعوة الاسلام الى تغيير البناء الداخلى للانسان .**
- **لا كهنوت فى الاسلام وان باب العلم والتعمق فيه مفتوح للجميع .**
- **الاسلام يعطى أهمية خاصة لحقوق الانسان ، ولا يسمح بانتهاك هذه الحقوق .**
- **الاسلام نظام حياة شاملة كاملة .**
- **الاسلام يدعو الى السلام .**
- **الاسلام يحترم الاتفاقيات الدولية .**
- **الحكم شورى .**
- **احترام المرأة — العناية بتربية الاطفال .**
- **عدم وجود واسطة بين الله والخلق.**

إعداد: محمد حسن أبو حطب

معرض فنى اسلامى

القاهرة :

أقام معهد الفتيات الأزهرى بشبرا معرضا للفن الاسلامى يضم اعمالا عن الفن الاسلامى ولوحات للمساجد والطرز الاسلامية فى فن النسيج وقد حضر المعرض الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الأزهر .

جامعة اسلامية بالنيجر

النيجر :

ستقام جامعة اسلامية فى مدينة ساى جنوب نيامى عاصمة النيجر على مساحة ٤٠٠ فدان وستخدم هذه الجامعة دول غرب أفريقيا الاسلامية .

وتضم الجامعة الاسلامية الكبرى كليات **للدراسات الاسلامية والعلوم النظرية والانسانيات ، وكليات للدراسات العلمية والتكنولوجية .**

كما تضم مكتبة وقاعة للمحاضرات والاحتفالات الكبرى ومركزا ثقافيا واجتماعيا ومسجدا .

وقد قدمت مصر التصميم المعمارى لهذه الجامعة الاسلامية هدية للنيجر ولدول غرب أفريقيا الاسلامية .

بلاط جديد لمطاف المسجد الحرام

السعودية :

تقوم الجهات المختصة بتركيب نجفات لاضاءة الحرم المكى الشريف على أن تكون ذات طابع اسلامى ، كما تقوم احدى المؤسسات بعمل البلاط اللازم للمطاف والذى تم احضاره من اليونان ويتميز هذا البلاط بخاصية امتصاص الحرارة .

كوريون يشهرون اسلامهم

السعودية :

أشهر ١٧ كوريا يعملون بالشركة المنفذة لطريق خيبر – تبوك اسلامهم أمام المحكمة الشرعية بخيبر ونطقوا بالشهادتين أمام القاضى ومنحوا صكوكا شرعية بذلك بعد أن تسموا بأسماء اسلامية .

وزير الأوقاف فى الباكستان

باكستان :

زار فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف باكستان الاسلامية بدعوة من حكومتها وناقش معهم منهج تطبيق الشريعة الاسلامية .

مكانة اللغة العربية فى الدول الاسلامية

باكستان :

اختتم المؤتمر العالمى الثانى للتعليم الاسلامى أعماله فى ٢١ مارس ٨٠ بعد أن استمرت اجتماعاته ستة أيام فى مدينة اسلام أباد .

وقد أوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الثانية فى الدول الاسلامية غير العربية .

وقد تقرر أن يعقد المؤتمر العالمى الثالث للتعليم الاسلامى فى مدينة دكا عاصمة بنجلاديش فى عام ١٩٨١

العيد المئوى لجامعة دار العلوم الاسلامية

الهند :

احتفلت الهند بالعيد المئوى لجامعة دار العلوم الاسلامية بديوبند التى تدرس فيها العلوم والثقافة الاسلامية .

وقد شهد الاحتفال ممثلون عن جميع الدول الاسلامية ..

وقد مثل مصر فى هذه الاحتفالات فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف . والوفد المرافق له .

مسابقة فى تلاوة القرآن الكريم

فرنسا :

أقامت الجمعية الدينية الاسلامية فى مدينة لافال بفرنسا مسابقة فى تلاوة القرآن الكريم

ودلت نتائج المسابقة على مدى اهتمام الأسر الاسلامية بحفظ كتاب الله وتحفيظه وتفسيره لأبنائهم .

جامعة اسلامية فى شيكاجو

الولايات المتحدة :

ستقام جامعة اسلامية على مساحة ستة أفدنة فى الولايات المتحدة على ضفاف بحيرة الينوى .

الجالية الاسلامية فى البرازيل

البرازيل :

خصصت البرازيل قطعة أرض مساحتها ٢٢٫٥٠٠ مترا لصالح الجالية الاسلامية فى البرازيل وقد اقيم احتفال بتلك المناسبة حضره سفراء الدول العربية والاسلامية فى البرازيل .

أخلاق و مواقف

اعداد : حامد المرسى تقى الدين

من الأدب النبوى

قال معاذ رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

أى عمل اذا عملته دخلت الجنة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ .. بخ سألت عظيما ، وهو يسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة ، وان شئت نبأتك برأس هذا الأمر ، وعموده ، وذروة سنامه ، أما رأسه ، فالاسلام ، ومن أسلم سلم .
وأما عموده ، فالصلاة .

وأما ذروة سنامه فالجهاد فى سبيل الله.

وان شئت نبأتك بجوامع من الخير !!

الصيام جنة ، والصدقة تمحو الخطيئة ، وقيام العبد فى جوف الليل . ثم قرأ : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم » الآية .

وان شئت نبأتك بما هو أملك بالناس من ذلك .

وأشار بأصبعه الى لسانه فقلت : أو انى لمأخوذ بما تكلمت به ؟ : فقال صلى الله عليه وسلم : ويحك وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا ألسنتهم ؟ انك سالم ما سكت ، فان تكلمت فلك أو عليك » ..

المخلصون لله

قال على كرم الله وجهه :

الا أن لله عبادا مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة فى الجنة فاكهين ، وأهل النار فى النار معذبين .

شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة ، لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصفوا أقدامهم فى صلاتهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يجارون الى ربهم ، يا ربنا .. يا ربنا ، يطلبون فكاك قلوبهم ، وأما النهار فعلماء حلماء ، بررة أتقياء ، كأنهم القداح (السهام) ينظر اليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول خولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم .

* * *

فى الجمعة ساعة سعد لا ساعة نحس

من الاعتقاد الفاسد الشائع أن فى يوم الجمعة ساعة نحس ومن الغريب أن الذى يعتقد ذلك هم عامة المسلمين .

مع أنه جاء فى الحديث الشريف : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم ، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط ، وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة — وقبض على أصابعه يقللها — لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا الا أتاه الله اياه .

طب روحانى

وقف رجل على طبيب ، حوله خلق كثير، وبأيديهم موارير ، وحن الطبيب يفابل حل علة بدوائها ، يعطى لهذا القابض ، ولهذا المسهل ، ولهذا الحار ، ولهذا ارطب .

فقال الرجل : أيها الطبيب ، أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله ؟ !

فأطرق الطبيب برأسه الى الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

اسمع هذا الدواء ، أن عملت به رجوت لك الشفاء ، ان شاء الله .

خذ عروق الفقر ، وزنجبيل الصبر ، واخلطهما بسفوف الذكر ، وامزجهما برقائق الفكر ، واجعل معه اهليلج التواضع والخشوع ، ودقه فى مهراس التوبة والخضوع ، ولته بماء الدموع ، وضعه فى ظنجير التذلل ، وأوقد تحته نار التوكل ، وحركة بملعقة الاستغفار ، حتى يزيد زيد التوفيق والوقار ، ثم اجعله فى آنية المحبة ، وبرده بمروحة المودة ، وصفه بمصفاة الأحزان ، وصب عليه عصير الأجفان ، واجعل معه حقيقة الايمان ، وامزجه بخوف الرحمن ، وتغذ قبل شربه بمر الصيام ، ودم على هذا ما عشت من الأيام .

واياك أيها العليل أن تقرب فى أيام دوائك شيئا من الآثام فانها تجدد عليك ما رجوت برأه من الاسقام .

فاذا دمت على هذا الدواء ، صفا قلبك بين القلوب ، وزالت عنك أوجاع الذنوب .

* * *

انا وابن عمى على الغريب

لما اشتغل عبد الملك بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير ، أجتمع وجوه الروم عند القيصر ، وقالوا له :

قد امكنتك الفرصة من العرب ، بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تغزوهم فى دارهم .

فنهاهم عن ذلك ، وخطأهم ، واراد ان يسفه رأيهم عمليا ، فدعا بفهدين ، فحرش بينهما ، فاقتتلا قتالا شديدا ، ثم دعا بثعلب فخلاه بينهما ، فلما رآه الفهدين تركا ما كانا فيه ، وأقبلا على الثعلب فقتلاه ، فقال القيصر : هذا مثلنا ومثلهم فعرف الروم صدقه وحسن رأيه .

* * *

لو خرجت من جلدك لم اعرفك

يروى أن رجلا بخيلا جدا من اهل « مرو » كان دائما يحج ويتجر ، وينزل على رجل من أهل العراق ، فيكرمه ، ويكفيه مؤنته .

وكان كثيرا ما يقول للعراقى : ليتنى أراك بمرو حتى اكافئك على قديم احسانك .

فعرضت لذلك العراقى بعد فترة حاجة فى ناحية مرو ، فلما نزل بمرو ، ذهب الى الرجل ليحط رحله عنده ، كما كان يصنع به ، فلما أقبل عليه وجده جالسا فى جماعة من أصحابه ، فأكب عليه وعانقه ، فلم يتحرك الرجل وكأنه لا يعرفه ، فقال العراقى : لعل انكاره اياى لمكان القناع فرمى بالقناع فلم يتحرك وكأنه لم يعرفه أيضا ، فقال فى نفسه لأننى معمم فلم يعرفنى ، وخلع عمامته ، ثم خلع قلنسوته.

وهنا علم المروى انه لم يبق شىء يتعلق به المتجاهل فقال له : لو خرجت من جلدك لم اعرفك .

* * *

الدعاء مخ العبادة

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق أن يقول فى دعائه : « اللهم انى أسألك بمحمد نبيك ، وابراهيم خليلك ، وموسى نجيك ، وعيسى كلمتك وروحك .

وأسالك بصحف ابراهيم ، بتوراه موسى وانجيل عيسى ، وزبور داود ، وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

وأسالك بكل وحى أوحيته ، أو قضاء قضيته ، أو سائل أعطيته ، أو غنى افقرته، أو فقير أغنيته ، أو ضال هديته .

وأسالك باسمك الذى تثبت به ارزاق العباد ، وأسالك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت ، وأسالك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت ، وأسالك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست ، وأسالك باسمك الذى استقل به عرشك ، وأسالك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد وأسالك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار ، وعلى الليل فاظلم ، وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم — أن ترزقنى القرآن والعلم به ، وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى — بحولك وقوتك ، فانه لا حول ولا قوة الا بك يا أرحم الراحمين » .

مقالات

من الصحف والمجلات

نشرت

مجلة الرسالة الاسلامية التى تصدر فى بيروت فى عددها رقم ٣٨ من السنة الثالثة افتتاحية جاء فيها :

نحن نفهم وبكثير من الألم والمرارة ان تكون الدول العربية منقسمة سياسيا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . ولكننا لا نفهم ابدا أن يعطى هذا الانقسام بعدا اسلاميا أو هوية اسلامية . فلا يوجد اسلام أمريكى ، ولا اسلام سوفياتى ولا يوجد اسلام رجعى ، ولا اسلام تقدمى . فالاسلام هو الاسلام وهو بعيد عن كل هذه الصراعات والانقسامات وهو فوق هذه التصنيفات والنعوت . بل انه أسمى من ان يكون أداة استغلال من أى نوع ولأى هدف بين اى فريق .

ويضيف الأستاذ محمد السماك رئيس تحرير الرسالة الاسلامية قائلا : نهيب بالعالم ان يعى ابعاد الصراع الدولى الذى يستهدفه من جهة أولى والدور الذى يفترض ان يقوم به لدفع آثار وانعكاسات هذا الصراع عليه من جهة ثانية سواء كانت تلك الآثار والانعكاسات عسكرية مدمرة أو سياسية مستبدة . فلا التحالف مع الروس ضد الأمريكان ، ولا التحالف مع الامريكان ضد الروس فيه مصلحة للمسلمين . فقط التحالف مع الله ينقذ العالم الاسلامى مما يتهدده من مخاطر وكوارث . والتحالف مع الله يعنى فى الدرجة الأولى نبذ الخلافات بين بعض الدول الاسلامية والتحلى بصفة المؤمنين « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » وليس العكس « **واعدوا لهم مااستطعتم من قوة** » **لهم** وليس لاخوانهم فى الايمان وفى الحسابات الأخيرة فان العالم الاسلامى اذا لم يدفع بنفسه الى خارج مظلة النفوذ الأمريكى أو السوفياتى واذا لم يستظل بمظلة الاسلام فانه مرشح لأن يكون لقمة سائغة تبتلعها الأشداق المفتوحة من الشرق والغرب على حد سواء .

نحن عملاء أم موالى موسكو :

وصحيفة الرائد الهندية الصادرة فى ١٣ ربيع الأول ١٤٠٠هـ تكتب مقالا كبيرا بعنوان : «نحن عملاء أم موالى موسكو» .

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح

نشد بصر القارىء وبصيرته أمام الحقائق التالية فيه : ان المسلمين يرفضون بكل وضوح الأيديولوجية الرأسمالية ودورها المخرب فى وطننا الاسلامى وفى العالم كله وبنفس القوة يرفضون الأيديولوجية الشيوعية ودورها المخرب فى وطننا الاسلامى وفى الشعوب الضعيفة **بل ان عقلاء العالم يدركون اليوم فشل الايديولوجيتين كليهما فى توفير المناخ المناسب الذى تترعرع فيه الحرية الأصلية والأمن الحقيقى والسلام المنشود .**

قضايا الاسلام فى مفترق الطرق :

ذكرت مجلة الارشاد الاسلامية ــ التى تصدر بصنعاء العدد الرابع من السنة الثانية الصادر فى ربيع الثانى ١٤٠٠هـ مقالا بعنوان: قضايا الاسلام فى مفترق الطرق جاء فيه :

يجب أن ندرك أولا وقبل كل شىء أن التعبير بقضايا الاسلام تعبير يتجاوز حقيقة الاسلام .. الاسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا ، بعد أن أكمل لهم ــ سبحانه ــ هذا الدين ، وأتم

نعمته عليهم بهذا الكمال ، وحقيقة الاسلام هو أن قضاياه قضية واحده ، هى الاسلام نفسه ، بكل أصوله وفروعه ، لكن الاستعمار الصليبى الذى استحوذ على ديار المسلمين عشرات السنين ، هو الذى عمل على تجزئة القضية الواحدة الى عدة قضايا ، ووزع الكل الى جزئيات ، ليشغل كل طائفة من المسلمين بقضية من القضايا ، أو جزئية من الجزئيات ، تستوعب كل تفكير الطائفة ، وتستهلك كل جهودها وتكون النتيجة أن تصدمنا الحقيقة المريرة هى أننا كنا — وما زلنا — نحرث فى البحر ..

ان قضية الاسلام قضية واحدة .. قضية الوجود بالنسبة للاسلام ككل ، غير قابل للتجزئة بحال من الأحوال ، والا كنا كمن وصفهم القرآن من أهل الكتاب : «يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض» والقرآن فى صراحة يؤكد ان غاية الجهاد فى سبيل الله ان يكون الدين كله لله ، وان ما عدا ذلك فهى الفتنة ذاتها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

ان الاسلام ليس مجرد مبادىء وانما هو أيضا خطة عمل لتنفيذ هذه المبادىء والاسلام ليس مجرد ايمان بالقلب ، وانما هو أيضا اقرار باللسان وعمل بالجوارح،والاسلام ليس مجرد معنى راكد فى ضمير المسلم وانما هو عقيدة نضال وكفاح فى الحياة ، والذين يزعمون أن الدين صلة — فحسب — بين العبد وربه ، كذلك الذين يزعمون أن كل انسان ليس مسئولا الا عن نفسه ، وتقوم فلسفتهم العمياء على أن ندع الخلق للخالق .. هؤلاء واضرابهم انما يترجمون عن فكر غربى صليبى مستورد ، غزا ديار المسلمين مع الاستعمار ، ولم يرحل مع جيوش الاحتلال ، وقد أصبح له فى ديار المسلمين تلاميذ مخلصون فى ولائهم له ، وان عدوا مسلمين بحكم شهادات ميلادهم ..

فالاسلام دين ودولة معا ، هكذا ارادهما الله .. كالروح والجسد .. معا ، فالدولة بلا دين لا تعتبر دولة مسلمة ، والدين بلا دولة لا يعتبر اسلاما ، والدولة فى الاسلام : ارض وشعب ، وعقيدة ونظام ، أرض اسلامية وشعب مسلم ، لا يمكن الفصل بينهما ، وعقيدة اسلامية ونظام حكم اسلامى : لا يمكن الفصل بينهما كذلك لا يمكن الاستغناء عن عنصر من هذه العناصر الأربعة ، واقد سعى الاستعمار الصليبى — بادىء ذى بدء — الى تفتيت هذه العناصر ،التى تشكل وحدة المسلمين ، قسم دولة الاسلام الى دويلات ، والشعب الواحد الى شعوب واستجاب له ذووا المطامع والاهواء ، وبعد أن كانت دولة الاسلام تساق اليها الغنائم من اقصى الأرض وادناها صارت هذه غنائم واسلابا للصليبية والشيوعية ، ولا تقع اللائمة على الاستعمار وحده ، بل أيضا على ذوى الأهواء والمطامع من المنتمين الى الاسلام شكلا فهم الذين أعانوا الاستعمار على تحقيق اهدافه ، وهم الذين رضوا بأن يكونوا حلفاءه ثم بعد ذلك خلفاءه ، وما يزالون أعوانه وعملاؤه ، بل ومواليه بالدرجة السفلى ، ولاتعفى من المسئوابة الشعوب المسلمة التى فقدت الاحساس بمعنى الجهاد ، الجهاد فى سبيل الله فعاقبها الله بأن تبذل دماءها — مكرهة — فى سبيل الاهواء .. أهواء الأنظمة الجاهلية ، وأخيرا وليس أخرا ، لا يمكن أن يعفى علماء الدين من المسئوابة فهم الذين خانوا رسالتهم عن طواعية ورضا ، فعاقبهم الله بأن أصبحوا اليوم جزءا من وسائل الاعلام الموالية الأنظمة الجاهلية ، وبعد ان كانوا فيما مضى عمالقة تشرئب اليهم الأعناق ، صاروا أقزاما توطأ بالأقدام .. !!

وبعد .. فاذا كانت القضية الكبرى هى قضية الوجود الاسلامى ، ونحن اذا اعتبرنا الوجود الاسلامى فى مفترق الطرق ، فليس معنى هذا ان له كيانا معترفا به أو مستقرا يحسب له حسابه .. اذن فهو فى مفترق الطرق يبحث عن ذاته .. !!

الوحدة الاسلامية :

نكرت مجلة لواء الاسلام القاهرية فى عدد ربيع الثانى ١٤٠٠هـ افتتاحية بعنوان « الوحدة الاسلامية » جاء فيه :

العالم الآن على فوهة بركان ، وهو يجتاز مرحلة من أخطر المراحل التى مرت بها البشرية حتى الآن ، ويرى المسيطرون عليه أن لا منجاة للبشرية الا بجامعة تجمعهم على الحب والوئام، وتبث فيهم روح المودة والسلام ، وتحفزهم الى أن يطرحوا وراء ظهورهم المطامع والأحقاد ، والنزوات والشهوات ، كما يرون — ورأيهم حق لاثنية فيه ، أن منبع المصائب ، ومبعث الحروب والدمار ، اغتيال القوى للضعيف ، وسطوة القادر على العاجز ، وهذه كلها عيوب هى فى الفرد والجماعة سواء ، وفى الأمم والشعوب صنوان .

من اجل ذلك نرى القادة والمفكرين ، والعظماء والمصلحين ، من شتى الأجناس والطبقات ، والأديان والمال ، يدعون الى اجتماع الأمم — على اختلافها وتباين مشاربها وميولها — للضعيف

حتى يصبح بين الأقوياء قويا ، والوقوف فى وجه الهوى حتى يصبح مع غيره متساويا .

وتلك لعمر الحق تعاليم الاسلام الخالدة ، التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وتبعه عليها خلفاؤه الراشدون ، ومن بعدهم من الأمراء والقادة والمصلحين فقد دعا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الى أن يكون الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لقوى على ضعيف ولا لغنى على فقير ، ولا لأمير على سوقى، ولا حر على عبد : الا بالعمل الصالح ، والجهد النافع ، والأخلاق الفاضلة ، وتقوى الله عز وجل .. وكلنا لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

ولما دعا الدين الاسلامى الى المساواة ، دعاهم الى الوحدة ، فان أساس الدعوة الاسلامية الوحدانية لله جل علاه ، والاخلاص فى عبادته دون سواه والتمسك بأهداب شرعة محمد التى جاء بها من لدن رب السموات والأرض صراطا مستقيما ، من سار عليه نال خيرى الدنيا والآخرة، وكان عند الله من المقربين .

ولقد تطورت الدنيا ، وتغير وجه التاريخ منذ الأزل مرة ومرة ، وبقى الاسلام مصونا بتعاليمه ، قويا بالفضائل التى جاء بها ودعا اليها وسيظل شديدا باقيا ما بقيت السموات والأرض : وهو دين لم يرسل به صاحبه صلى الله عليه وسلم لأمة بعينها ، ولا لشعب دون سواه ، بل أرسل للناس كافة ، ودعا أبناء البشرية جميعا الى الله والى الطريق القويم . ولكن من أسف تفرق أبناؤه أيدى سبا ، وتشتت جموعهم ، واختلفت فى الحياة ميولهم وأفكارهم.

فبينا نرى العالم الغربى الذى لا يدين بالاسلام من أبنائه الا نزر يسير ، يدعو الى وحدة شاملة تجمع الكبير والصغير ، والقوى والضعيف ، وتحيط الجميع بسياج من الحرية والمساواة ، والتعاطف والتآزر ، بينما نرى هذا فى الغرب ، لا نسمع له صدى ، ولا نرى له أثرا بين أبناء المسلمين ، وهم أحق الناس وأجدرهم بالعمل عليه ، لأنه من صميم دينهم ، ومن أول التعاليم التى جاء بها نبيهم الكريم .

واذا كنا لم نتعظ بالأمس ، ولم نأخذ العبرة بما يجرى بين ظهرانى العالم من أحداث ، فما أجدرنا فى هذه الأيام التى قام الدليل فيها على أن لا حياة لأمة الا بالوحدة ، ولا قوام لشعب الا باجتماع الكلمة ما أجدرنا فى هذه الظروف العصيبة ، والمحنة القاسية الأليمة التى يمر بها العالم كله الآن ، أن تتحد الشعوب الاسلامية قاطبة على رأى واحد ، وتجتمع على كلمة واحدة ، وقيادة واحدة ، وان تتخذ لها شعارا، هو العمل بكتاب الله ، وشرعة رسول الله ، وأن تكون فى توادها وتعاطفها وتراحمها ، كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ان المسلمين ان فعلوا هذا ، أو بدأوا بالعمل عليه ، وأخرجوه الى حيز الواقع الملموس ، فانهم لاشك سيجنون من ورائه خيرا كثيرا ، وسيتجنبون شرا مستطيرا ، وستكون لهم فى النهاية الغلبة والعزة ، والقوة والمنعة . وسيصبحون قوة يخشى بأسها ، ويحسب ألف حساب لخطرها ، ويرغم الجميع على احترامها، وتعود لهم مكانتها التى كانوا عليها فى أيامهم الخوالى .

ليذكروا هذا كله ، وليعملوا على أن يذكر المسلمون — وبخاصة قادتهم وزعماؤهم — هذا كله ، وليعودوا الى تذكر مجدهم الغابر ، وعزهم السالف ، أيام كانوا قلة فى العدد ، ولكنها مهيبة ، وقوما فقراء فى الأموال والنفائس ولكنهم أغنياء القلوب ، أغنياء النفوس ، سيرتهم الطيبة تتعطر بها المجالس وذكرهم العطر مدعاة الفخر والاعتزاز .

ليتذكروا هذا كله ، وليعملوا على ان تكون لهم ومنهم وحدة اسلامية تجمع الشمل ، وترأب الصدع ، وتوحد الكلمة، وتدعو الى كلمة سواء ، حتى يستطيعوا ان يتخذوا لهم مكانا فى هذا العالم المادى الزاخر بالتقلبات ، الملىء بالأحداث والاضطرابات .

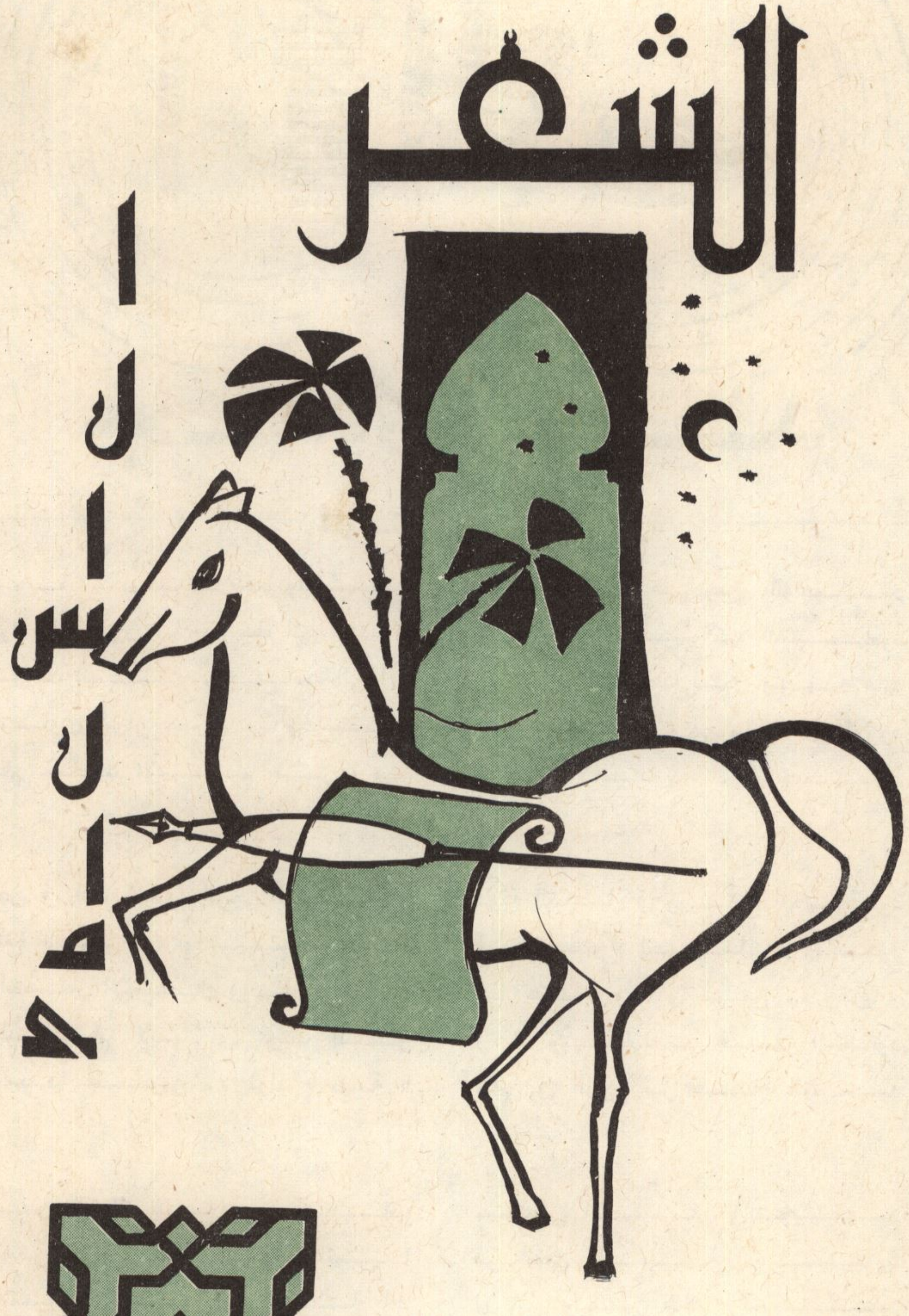
الشعر

أمة النور

جددى العهد

الأستاذ محمد حليم غالى

مرحبا .. مرحبا بخير وليد ... جاء صبحا على جبين الوجود
مولد النور .. يوم جاء الى الكو ... ن .. توالت مواكب للسعود
بشريات السماء . جاءت الى الار ... ض .. أطاحت بكل وجه عنيد
وتهاوى ايوان كسرى .. وغاضت ... عين « ساوا » عن مائها المورود
غام عهد الأصنام صارت هباء ... لتكون الآفاق . . للتوحيد

***

نحن فى الشاطىء الرخى أقمنا ... دولة النيل فى ربوع الخلود
تقف الشمس .. والشعوب لديها ... فى خشوع لمجدها .. وسجود
وانتصار الأبطال فى ساحة المجـ ... ـد هنا فى .. ونبضتى .. وغريدى
وابتسام الأيام فى موكب النو ... ر .. وميلاد سر هذا الوجود
كلها غنوتى .. لمولد « طه » ... وهى فى الروح سر هذا القصيد

***

يوم ذكراك يا حبيب كتاب ... مستفيض الاحسان والتمجيد
نابض الوحى بالرسالة للنا ... س تنحى آلهة الجلمود
وتفك الأسير من ربقة الذ ... ل . ونير الآلام والتسهيد
وتنادى الانسان فى رقة الد ... ب تنض ضميره من جحود
ذاك سر الاسلام ينبت فى القلـ ... ـب .. صفاء العباد للمعبود
ويدك الأصنام . تغدو ركاما ... كى يظل الوجود للموجود

***

أيها الصادح المغرد فى النيـ ـل ترنم بسر هذا الوليد
انه الصادق الأمين وقلب مرهف الحس .. ممسك بالعهود
انه العابد المسهد فى الليـ ـل وعنوان أمة التوحيد
انه الهادىء الحليم على البـ ـر .. فان ثار كان بأس الحديد
انه العذب فى الحديث كما العطـ ـر .. رفيقا .. كضاحكات الورود
يا نبى الاسلام انك روح سوف تجلو ضياءها من جديد

* * *

أمة النور .. جددى العهد سيرى تابعى الخطو فى الربى والنجود
واملىء الكون .. بالسماحة والحـ ـب فما عاش من يرى جحود
قد صنعت الأبطال فى سالف الدهـ ـر فمدوا الاسلام دون حدود
حملوا العدل والسعادة .. للكو ن .. فكانوا بشير عهد سعيد
ان آى الرحمن فيك نشيد فليظل القرآن نور النشيد

* * *

لا تبالى بعصبة تتراءى فى صفوف الاسلام للتنكيد
سبة تلك فى بلادى وعار وصموا الدين . . وصمة الرعديد
فى جفاء .. وغلظة .. واعتداء فى حمى بيتنا القوى العتيد
« كعبة الله » فى الوجود .. أتوها دخلوها .. بكل غر حقود
أفسدوها .. وكبلوا طائفيها حصدوهم .. كمثل حب الحصيد
وهى أمن ، ورحمة ، وسلام لضيوف الرحمن .. دار السعود
لن يمروا .. فقد أتاهم عقاب وعقاب الرحمن .. يوم الوعيد

* * *

تنظر « القدس » للصباح عساها أن ترانا .. نعيد أرض الجدود
ويحن « الأقصى » لوقع خطانا كى يرى الركب مقبلا من بعيد
سوف نأتيه فى الصباح .. نحيى بسمات الرضى . . بثغر الوجود
ونعيد الاسلام وجها صبوحا بسلام . . وعزة ، وجهود
بالحقول الخضراء .. بالأمل الحلـ ـو .. وأفياء كل طلح نضيد
مثل « سيناء » عودة تتراءى فى جبين الأيام عبر الخلود
« فالأذان » المحبوب نادى علينا وأذان الاسلام للتوحيد

* * *

مناجاة

الأستاذ عبد الستار يونس المغنى

يا الهى أنت جاهى ... وملاذى فى اتجاهى
وأنيسى فى منامى ... ورفيقى فى انتباهى
لك نور فى فؤادى ... وضيا دون اشتباه
أنت فى قلبى سناء ... جل ربى من اله

* * *

قد هجرت الخلق طرا ... ونبذت من عداكا
ولجأت لك يا من ... لا يخيب من أتاكا
وأهتديت بك ربى ... وأعتصمت بعراكا
لك قد أسلمت وجهى ... فاغننى عمن سواكا

* * *

يا مجيبا لدعائى ... يا كريما فى العطاء
يا سميعا لندائى ... يا منجى الأتقياء
قد وسعت الكون جودا ... ملء أرض وسماء
جئت أبغى منك قربا ... كى أفوز بالرضاء

* * *

رب هب لى منك نورا ... واهدنى صوب الرشاد
اننى آلبى انحرافا ... لا أبالى بالفساد
نجنى من سوء فعل ... واكفنى شر العباد
يا الهى أنت حسبى ... أنت قصدى والمراد

* * *

قد طرقت الباب ، يا من ... من أتاه لا يضام
كن مغيثى يوم حشر ... نجنى يوم الزحام
لا تؤاخذنى بذنب ... ان أوزارى جسام
لك صليت الليالى ... أبتغى حسن الختام

الدكتور محمد ابراهيم الجيوشي

دراسة في فكر الحكيم الترمذي

هل يزيد الإيمان وينقص؟ -٣-

تمهيد

تابعنا الحكيم الترمذى فى مقالنا السابق وهو يقطع رحلة الحياة ، ويتزود من معارفها وعلومها ، ويحاول ان يكتشف الحجب ، ويعرف ما وراء الأستار ورأينا أنه كانت له مشاركة فى علم الكلام حيث تناول بعض مباحثه ،وناقش عددا من قضاياه وقدمنا حصرا موجزا لهذه القضايا التى تناولها بالبحث والمناقشة ووعدنا أن نقدم صورة محققة للنصوص التى أمكن العثور عليها من تراث الحكيم الترمذى ، وسجل فيها رأيه فى بعض قضايا علم الكلام .

قضية الايمان والاسلام :

وكانت قضية الايمان والاسلام واحدة من هده القضايا التى برزت بوضوح فى آثار الحكيم الترمذى وتراثه ، فبالنسبة للايمان يتحدث عن زيادته ونقصانه ، وهل هو مكتسب أو موهوب، ويتناول الايمان والاسلام والصلة بينهما ، ولكنه يدخل الى مناقشة هذه القضايا من باب القلب لا من باب العقل ، وذلك لأن القلب معدن النور، والنور هدية الله لأهل بيته وأحبابه وأوليائه والسعداء من عبيده ، والايمان لمن نال هدية الله ، فاستقر قلبه على توحيد الله ، واطمأن اليه ، فصار مؤمنا ، لأن الايمان استقرار القلب، وطمأنينة النفس ، والقلب كان طالبا لربه ، مترددا لا يستقر ، والنفس متحيرة لا تسكن : فلما جاء نور الهداية استقر القلب ، واطمأنت النفس .

ويرى أن سبب النزاع القائم بين الباحثين فى الايمان وسواه من القضايا أنهم اهتموا بالاسماء ولم يبحثوا عن الأصول ، ولو فعلوا لاستراحوا وأراحوا .

وفى ذلك يقول : « وانى وجدت عامة هؤلاء المتنازعين يتنازعون فى الأسماء ، ولا سبيل لهم الى الوصول ، فيسكن تنازعهم ، فمثلهم كمثل رجل قال لثوب : هذا خز ، وقال الآخر : شعر ، فكلاهما يرجعان لشىء واحد ، لأن الخز أيضا هو شعر ، وكرجل قال : هذا كلأ ، وقال الآخر : هذا حشيش ، وقال آخر : هذا نبات ، وقال آخر : هذا اذخر ، وقال آخر : هذا مرعى ، فمرجعهم الى شىء واحد ، فانما اختلفوا ، لأن فى كل اسم معنى زائد لطيف دقيق » .

شخصيات

إسلامية

تصور الحكيم الترمذى لقضية زيادة الايمان ونقصانه :

ثم يتابع الحكيم تصوره لقضية زيادة الايمان ونقصانه فيرى أن الايمان بحسب حقيقته لا يزيد ولا ينقص وسنرى عرضه لهذه القضية فى سهولة واقناع حينما نقرأ النص عقب هذا التقديم، ويرى أن الايمان والاسلام نوعان فى عقد واحد بمعنى أنهما لا ينفكان ، ويرى أن الايمان من المكاسب ولهذا استحق المؤمن الثواب ، وهو من فعل العبد أما العقل ، فهو من المواهب .

وقد عرض الحكيم تصوره لهذه القضايا فى نصين من آثاره سمى كلا منهما مسألة ، النص الأول سماه .. مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان .. ويوجد منها نسختان الأولى فى مجموعة ليبزج ، وتشغل الاوراق من ٨٨ ب الى ٩٢ — ١ ، والمجموع كله يشتمل على رسائل ومسائل للحكيم الترمذى ورقمه ٢١٢ .

وهو بخط محمد بن أبى جراد نسخه عام ٦١١ هـ والثانية فى مجموعة ولى الدين رقم ٧٧١ والمجموع كله للحكيم الترمذى يحتوى على بعض الكتب والرسائل ، وهو متأخر فى النسخ عن مجموع ليبزج وتشغل مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان .. فيه الاوراق من ٨٧ — ١ الى ٩٠ — ١ .

والنص الثانى سماه « شرح قوله ما الايمان وما الاسلام وما الاحسان » وتوجد منه نسختان أولاهما فى مجموع ليبزج رقم ٢١٢ ، وتستغرق الأوراق من ٩٢ — أ حتى ٩٩ — ب .

وآخراهما فى مجموع اسماعيل صائب والمجموع كله للحكيم الترمذى يحتوى على بعض الكتب وعدد من المسائل ، وقد نسخ مجموع اسماعيل صائب عام ٥٩٣ هـ فى مدينة حلب بيد عبد المحسن بن حمود وتشغل مسألة « شرح قوله ما الايمان وما الاسلام وما الاحسان ؟ . الأوراق من ٣ — ب الى ٨ — ب .

ويلاحظ أن الحكيم الترمذى قد حشد فى النص الثانى طائفة من الاحاديث بأسانيدها مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد بدأ الحكيم هذه المسألة بايراد الطرق المختلفة التى جاء بها حديث جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان والاحسان ، وحشدها بطائفة من الأحاديث أوردها بسندها ، ولم يتناول من الموضوع الذى نناقشه الا العلاقة بين الاسلام والايمان ، ثم خاض فى أمور أخرى أقرب الى الالهامات والاشراقات الصوفية منها الى علم الكلام .

كيف عالج الحكيم الترمذى بعض قضايا علم الكلام ؟ :

هذه تقدمة لابد منها بين يدى النص الذى نريد أن نقدمه للقارىء اليوم ليرى بنفسه كيف عالج الحكيم الترمذى بعض قضايا علم الكلام .

وربما لا تسعفنا صفحات المجلة بنشر النصين فننشر منهما ما يتيسر لنا نشره فى هذا العدد .

ونتابع النشر فى أعداد قادمة ان شاء الله ..

النص الأول :

مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان .

قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن على ابن الحسن الترمذى رحمة الله عليه :

مسألة فى الايمان والاسلام والاحسان

الحمد لله رب العالمين ، ولى الحمد وأهله ، سألتنى عما وقع فيه الناس من الاختلاف فى الايمان ، ومحله من ابن آدم ، وانما أتوا ذلك من قلة افهامهم ، وترك الاستقصاء فى النظر .

فاعلم أن الله تبارك اسمه خلق هذا الآدمى، وركب فى رأسه عينين وأذنين يبصر ويسمع ظاهر الأشياء ، وجعل فى جوفه بضعة من لحم، لها « عينان وأذنان »(١) ، فسماهما قلبا وفؤادا والقلب ما بطن منهما ، والفؤاد ما ظهر منهما(٢) والعينان على الفؤاد ، والرؤية له ، وذلك قوله :

« ما كذب الفؤاد ما رأى »(٣) .

وجعل لهذه البضعة ساحة ، وهى الصدر ، وذلك موضع العلم ، وجعل فيه الروح ، وفيه الحياة ، وهو سماوى ، جعل فيه نفسا ، وهى أرضية ، وفيها الحياة ، وجعل مستقر الروح فى الرأس ، ثم هو منفش(٤) فى جميع الجسد ،

---

(١) فى ليبزج [عينين وأذنين] والصحيح ما اثبتناه من ولى الدين .

(٢) فى ولى الدين [منها والقلب ما ظهر] ولم يذكر منهما الثانية .

(٣) النجم ٥٣ رقم ١١ .

(٤) هكذا فى النسختين والمقصود منتشر .

« مشتملة عليه »(١) بالشهوات والهوى .

وجعل مستقر العقل فى الرأس معه الروح ، وفى هذه الحفظ ، ثم يشرق فى الصدر نوره ، وهناك معتمله ، ومستقر الذهن فى الصدر ، والعلم معه ، فمنه تصدر الأمور الى الجوارح، فبذلك العلم علم الآدميون كلهم أن لهم(٢) ربا والها ، فأقروا به ، وفزعوا اليه فى المضار والمنافع ، وعرفوه بقلوبهم والقلب أمير على الجوارح ، والمعرفة فيه(٣). وتلك معرفة الفطرة التى فطر الناس عليها ، فعرفوا أن الله تعالى خالقهم ، ورازقهم ، ومدبر أمورهم(٤) ، وذلك قوله : « **قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله** »(٥) ، فانما قالوها(٦) عن معرفة الفطرة ، ثم أشركوا من أجل أن نفوسهم اشتهت أن تعبد من تراه وتدركه ، ودعاهم(٧) الهوى الى ذلك ، « فلما فاتهم كله دعاهم هواهم وعدوهم »(٨) الى الأوثان ليعبدوها ويتخذوها وسيلة الى الله ، فضلوا الطريق ، وهم يحسبون أنهم مهتدون ، وذلك قوله تعالى: « **اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** »(٩) فالتمسوا القربة من طريق أهواء نفوسهم(١٠) ، **قال الله (١١) : أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون »(١٢) ، فالغشاوة التى على قلبه ثوران(١٣) الهوى والشهوة .**

رعاية الله لأهل التوحيد :

ومن الله تعالى(١٤) على أهل السعادة ، وتولاهم بنور التوحيد ، وقد تضمن ذلك النور نور المحبة ، فعلقت قلوبهم(١٥) بمحبته ، وبما زينه(١٦) فى قلوبهم من العقل الذى أعطاهم ، فبنور العقل عقلوا(١٧) التوحيد حتى وحدوه وأعرضوا(١٨) عن الشرك ، ولم يقبلوا من العدو ما دعاهم اليه ، وأعطى للعدو سلطانا فى صوته، فيه حلاوة للاستدراج ، فسبى قلوب أهل العقول تلك الحلاوة ، وذلك قوله : « **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** »(١٩) ، فهو يدعوهم من أجواف الأوثان ، فيسبى قلوبهم ، وذلك قوله يوم القيامة « **وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى** »(٢٠) .

فانما دعاهم بذلك الذى أعطى من الصوت المضمن تلك الحلاوة ابتلاء(٢١) العباد ، فاستفزهم بتلك الحلاوة فأجابوه ، فافتتنوا به ، فأشركوا(٢٢) بالله تعالى(٢٣) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى خطبته : « ان الله تعالى أمرنى أن أعلمكم مما جهلتم ، قال ربكم : خلقت عبادى حنفاء ، وأمرتهم أن لا يشركوا بى شيئا ، فأتتهم الشياطين ، فاجتالتهم(٢٤) عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى »(٢٥) .

قال ابو عبد الله « رحمة الله عليه »(٢٦) : ومن أجل تلك الحلاوة أحبوا تلك الأوثان ، وايد الله المؤمنين بنور التوحيد ، وبالحب الذى تضمنه ، وذلك قوله عز وجل : « **حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم** »(٢٧) ، ثم قال : « **أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم** »(٢٨) ، اى عليم بما سبق لهم فى البدء ويوم المقادير ، حكيم بحكمته(٢٩) قدر لهم ، لا جزافا ، فلما نالت نفوس المؤمنين حلاوة هذا الحب ، لم يلتفتوا الى ما جاء به العدو من

---

(١) هكذا فى الأصل مع اعتبار مشتملة بالتاء المربوطة فى ولى الدين وفى التعبير قلق .
(٢) فى ولى الدين (له) .
(٣) ساقط من ولى الدين .
(٤) فى ولى الدين (ومدبرهم) .
(٥) يونس الآية رقم ٣١ .
(٦) فى ولى الدين (من) .
(٧) فى ولى الدين (ودعاه) .
(٨) فى ولى الدين [فلما فاته كله دعاه هواه وعدوه] .
(٩) الزمر ٣٩ آية رقم ٣ .
(١٠) فى ولى الدين [أنفسهم] .
(١١) فى ولى الدين زيادة كلمة « تعالى » .
(١٣) الجاثية ٤٥ آية رقم ٢٣ .
(١٣) فى النسختين « فثوران » .
(١٤) كلمة « تعالى » ساقطة من ولى الدين .

---

(١٥) فى ولى الدين (لمحبته) .
(١٦) فى ولى الدين [فبها ونبة] .
(١٧) فى ولى الدين (عقل) .
(١٨) فى ولى الدين (واعترضوا) .
(١٩) الاسراء ١٧ آية ٦٤ .
(٢٠) ابراهيم آية رقم ٢٢ .
(٢١) فى ليبزج « ابتلاءه » .
(٢٢) فى ولى الدين « وأشركوا » .
(٢٣) كلمة « تعالى » ساقطة من ولى الدين .
(٢٤) فى ولى الدين فاحتالهم .
(٢٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن مردويه عن محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبيه عن جده فأخرجه أبو عوانة فى سنده وقال ابن ابى حاتم : عمرو بن علقمة ضعيف ، وقال عنه الذهبى واه ، وقال ابن حميد متروك انظر مسند ابى عوانة ج ١ ص ١١١ .
(٢٦) فى ولى الدين — رحمه الله تعالى .
(٢٨،٢٧) الحجرات الآيتان ٦ ، ٧ .
(٢٩) كلمة بحكمته ساقطة من ليبزج .

حلاوته ، وقبح(١) ذلك عندهم « ما جاء به »(٢) العقل من زينته ، وكره اليهم ذلك فاستقرت القلوب منهم على الله وحده ، واطمأنت اليه ، فبذلك الاستقرار لزمه اسم الايمان ، لأن الايمان استقرار القلب ، وطمأنينة النفس ، والقلب كان طالبا لربه ، مترددا لا يستقر ، والنفس متحيرة لا تسكن ، فلما جاء نور الهداية استقر القلب ، واطمأنت النفس ، فقيل « أمن على قالب فعل يأمن أمنا ، والاسم منه الأمن ، وذلك طلبه معبوده ، فتردد فى طلبه مرة الى الوثن ، ومره الى الشمس والقمر ، ومرة الى النيران ، وهو فى ذلك متحير ، فلما وجد هذا النور من منة الله عليه ، سكن عن التردد والجولان ، فقيل آمن من يؤمن ايمانا ، والاسم منه ايمان »(٣) .

فالنور هدية الله لأهل منته(٤) وأحبابه وأوليائه والسعداء من عبيده ، ومعدن ذلك النور فى القلب ، والايمان هو لمن نال هذه الهدية(٥) ، فقبل منه ، وعلى فعله يثاب ويكرم ، فمن عرف الأصل(٦) سقط تنازعهم .

هل الايمان مخلوق ام لا ؟

وانى وجدت عامة(٧) هؤلاء المتنازعين متنازعون فى الأسماء ، ولا سبيل(٨) لهم الى الأصول فيسكن تنازعهم ، فمثلهم فى ذلك كمثل رجل قال لثوب : هذا خز ، وقال الآخر(٩) : شعر ، فكلاهما(١٠) يرجعان الى شىء واحد ، لأن الخز ايضا هو شعر ، « الى خلقه الذى سمى به »(١١) وكرجل قال : هذا كلأ ، وقال الآخر(١٢) : هذا حشيش ، وقال آخر : هذا نبات ، وقال آخر : هذا اذخر ، وقال آخر : هذا مرعى ، فمرجعهم الى شىء واحد ، فانما اختلفوا ، لأن فى كل اسم معنى زائد لطيف دقيق ، فبلورت هؤلاء المخزولين(١٣) المتنازعين فوجدتهم مخذولين مطرودين من باب الله تعالى(١٤) قد نسوا ما قدمت أنفسهم لغد ، وقد عموا عن نعم(١٥) الله تعالى ومننه واحسانه ، فلو فتح على قلوبهم بابا من مننه وبابا واحدا من سوء عمله ، فقابل أحدهما بالآخر لاشتغل بذلك شغلا يخرس لسانه عن هذه الأشياء ، ويضيق صدره عن الاشتغال بمثل هذا .

فواحد يقول : الايمان مخلوق ، وآخر يقول: غير مخلوق ، وواحد يقول الايمان يزيد وينقص، وآخر(١٦) يقول : لا يزيد ولا ينقص ، وواحد(١٧) يقول : قول وعمل ، وواحد يقول : الاستطاعة مع الفعل ، وواحد يقول : قبل الفعل ، فلا يدرون ما تفسير الايمان ، ولا يدرون ما القرآن، ولا يدرون ما المخلوق ، ولم سمى ايمانا ، ولم سمى قرآنا ، ولم سمى مخلوقا ، انما هو كلام على الألسنة كالهذيان ، يقاسون من تلقاء أنفسهم ، ويطلبون حذق الكلام ودقته « أقل قوم دعة وأشدهم حسرة »(١٨) .

هل الايمان يزيد وينقص ؟

ولقد دخلت بين متنازعين ، يقول أحدهما الايمان يزيد وينقص ، وقال الآخر : لا يزيد ولا ينقص ، فأشرت الى عين الشمس ، فقلت: ما هذه ؟

قال : هذه شمس .

فقلت : تنقص أم تزيد ؟

قال : لا .

ثم أشرت له الى اشراقها على الأرض ، فقلت: ما هذا ؟

---

(١) فى ولى الدين « وفتح » .
(٢) ما بين القوسين ساقط من ليبزج .
(٣) ابتداء من القوس حتى نهايته رواية ليبزج وبينها وبين رواية ولى الدين اختلاف فى ترتيب الجمل وعرض الفكرة وان كان المعنى واحد على الروايتين ، وفيما يلى رواية ولى الدين : « وقيل آمن على قالب أفعل يؤمن ايمانا ، فالايمان اسم فعله ويصدر فعله ، واذا كان القلب والنفس مترددا ومضطربا من خوف حل به فذهب الخوف قيل : أمن على قالب فعل اشتقاق أحدهما من الآخر ، لانه انما يراد بهذه اللفظة استقرار القلب ، وطمأنينة النفس منذ خاف ، فتردد قلبه ، واطمأنت نفسه ، فلما ذهب الخوف قيل منه أمن على قالب فعل يأمن ايمانا والاسم منه الأمن ، وذلك طلب معبوده، فتردد فى طلبه مرة الى الوثن ، ومرة الى الشمس والقمر ، ومرة الى النيران » .
(٤) فى ليبزج « مننه » .
(٥) فى ولى الدين « يقبل » .
(٦) فى ولى الدين « أصل تنازعهم » .
(٧) كلمة « عامة » ساقطة من ولى الدين .
(٨) فى ولى الدين « فلا سبيل لهم » .
(٩) فى ولى الدين « آخر » .
(١٠) فى ولى الدين « وكلاهما » .

(١١) هكذا فى ليبزج ، وفى ولى الدين « وانما سبب شعره الى خلقه » ، وكلاهما يحتاج الى اضافة .
(١٢) فى ولى الدين « آخر » .
(١٣) كلمة المخذولين ساقطة من ليبزج فى الموضعين .
(١٤) كلمة تعالى ساقطة من الموضعين ولى الدين .
(١٥) فى ولى الدين « نعمة » .
(١٦) فى ليبزج « وواحد يقول قول واحد » .
(١٧) فى ولى الدين « وآخر » .
(١٨) ساقط من ولى الدين .

قال : هذه شمس .

قلت : تزيد وتنقص ؟

فتحير قلبه .

قلت : اليس اذا كان بينها وبين الأرض غيم او سحابة رقيقة نقص من اشراقها ، فاذا ذهب الغيم زاد فى اشراقها ؟

قال : نعم .

قلت : (أفلست تسميه)(١) شمسا ، وهو يزيد وينقص ، وتلك العين تسميها(٢) شمسا ، وهى لا تزيد ولا تنقص ؟

قال : نعم .

قلت : أفليس بقدر ما تنقص يدخل النقص فى جمع بنى آدم ، والزروع(٣) ، والثمار ، واذا زاد اشراقه(٤) عملت حرارته فى زرعهم وثمارهم .

قال : نعم .

قلت : فكذلك الايمان بمنزلة الشمس التى قد برزت لك على قلبك من النور ، وأشرقت على صدرك ، فاذا حال بينها وبين القلب غيوم الشهوات والهوى نقص الاشراق فدخل الوهن فى القلب ، وفى النفس ، وتعطل عن العمل ، واذا ذهب الهوى والشهوة زاد فى اشراقه ، واستقر القلب ، وقويت النفس للعبودية ، فمن الاشراق يزداد وينقص ، فأى تنازع بقى ها هنا

رأى العلماء فى ذلك :

فمن قال : يزيد وينقص « بهذا المعنى »(٥) ، وهذا مصيب فى قوله ، ومن قال : لا يزيد ولا ينقص ، لأنه متى نقص دخل الشك(٦) ، فأما الزيادة التى ذكر الله تعالى فى تنزيله يزيده نورا الى نور ، فيزداد قلبه بذلك النور الزائد ايمانا اى استقرارا وثباتا .

(١) فى ولى الدين « الست سميته » .
(٢) فى ولى الدين (سميتها) .
(٣) فى ولى الدين « الزرع » .
(٤) فى ولى الدين — اشراقها — وحرارتها — زرعهم .
(٥) فى ولى الدين « فهذا معناه » .

الايمان والاسلام :

ثم وجدتهما مختلفين(٧) ، فقال أحدهما : الايمان والاسلام واحد ، وقال الآخر : شيئان متباينان .

فقلت لهما : متى وجدتما اسمين معناهما واحد ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، وان دقت تلك الزيادة ؟ ، ولو كان كما زعمت لكان فضلا وهذيانا .

واعلم أن الله تعالى أعطى العباد ما انقطعت حجتهم ، فأراهم من الآيات فى الظاهر ،وأعطاهم وما ينفعهم فى دنياهم ، « وركب فيهم الشهوات من العلم والذهن فى الباطن حتى علموا مايضرهم والهوى »(٨) حتى دعاهم الى عبادة من دونه طمعا فى المنافع ودفع المضار ، ثم انه كان لله عبيد اختارهم وانتخبهم لنفسه ، وخلقهم للسعادة ، فمن عليهم بالهداية ، وابتدأ أمرهم بأن طهر قلوبهم التى يريد أن يجعلها خزائنه ووعاء لمعرفته وأنواره وآياته ، وموضع أسراره ، وموضع نظره ، فأنزل عليها رحمة طهرها بماء الرحمة حتى صلحت لهذه الأشياء التى وضعها هناك ، وذلك قوله تعالى **« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة »(٩)** .

ما معنى صبغة فى الآية ؟

والصبغ كل شىء يغمس فى شىء فهو صبغة ، ولذلك سمى الصبغ صبغا ، لأن الثوب يغمس فيه ، ولذلك سمى صباغ الطعام من الخل والمرىء(١٠) وغير ذلك من الأصباغ ، فكل مغموس فيه مأكول ، فهو صباغ ، وكل صبغ فيه ملبوس فهو صبغ ، فمن اختاره الله تعالى واجتباه فمبتدأ(١١) أمره أن يطهر قلبه بماء الرحمة ، حتى يدعه كالشىء المغسول . ثم أحياه(١٢) بنور الحياة ، وذلك قوله : **« أو من كان ميتا فأحييناه »(١٣)** .

فانما كانت بضعة من لحم ، لها عينان لا تبصران ، وأذنان لا يسمعان ، فلما طهره بماء

(٦) كان مقتضى السياق أن يضيف هنا ما يوضح المعنى .
(٧) فى الاصلين « مختلفان » والصحيح ما أثبتناه .
(٨) فى ولى الدين « وركبت فيهم الهوى والشهوات » .
(٩) البقرة ، آية ١٣٨ .
(١٠) فى ولى الدين والمرعى .
(١١) فى ولى الدين « فمثل » .
(١٢) فى ولى الدين « اجتباه » .
(١٣) الانعام ٦ آية ١٢٢ .

الرحمة صلح لنور الحياة ، فلما جاء نور الحياة حيى قلبه بالله ، ثم جاء نور الهداية فهداه ، وذلك قوله : **« وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس »(١)** ، فذلك نور المعرفة ، ثم جاء نور العقل ، فبنور العقل عقل(٢) نور المعرفة عن النكرة ، فاستقر لأنه زينة ، ثم جاء نور الحب فقيده ، فعندها صار محكما ، فاعترف بلسانه بلا اله الا الله مع أنوار المعرفة التى فى باطنه ، وعقد قلبه على أنه ربه ، وهو له عبد ، فهو(٣) حشو هذا العقد أنه رب يملكه ، ويحكم فى أموره ما يشاء ، وأنه له عبد ينتهى الى جميع ما يأمره، ويرضى بجميع ما يحكم به عليه انقيادا ، فاستحق ها هنا اسمين مؤمنا ومسلما ، فأما اسم المؤمن، فلأنه استقر واطمأن عن التردد والجولان لطلب ربه(٤) . واسمه المسلم ، لأنه سلم نفسه اليه فى جميع ما يأمره .

فمن قال من المتقدمين : الايمان والاسلام واحد ، فانما قاله لأن ذلك منه فى عقد واحد ، فأما أن يكون نوعا واحدا فلا .

وكيف يكون الاستقرار والطمأنينة والتسليم لأمره ونهيه نوعا واحدا ، ومن قال ها هنا : واحدة ، وخفى(٥) عليه هذه الصفة فقد غلط فيه ، فالعقد واحد ، والقبول واحد ، ولكنه عقد وقبول لنوعين ، ثم اقتضى العبد من يوم آمن وأسلم فى جميع عمره أن يفى بهذا العقد والقبول، ووضع بين يديه العبودية نوعين : أمر يحكم به عليه ربه ، وأمر يأمره به ربه .

فأما الذى يحكم به عليه فالأحوال من الفقر والغنى ، والعز والذل ، والصحة والمرض ، وكل محبوب ومكروه ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يطمئن قلبه ونفسه الى ما حكم به عليه ، كما اطمأن اليه ربا .

وأما الذى يأمره به ، فالفرائض ، وترك المحارم ، فاقتضاه الوفاء بذلك أن يسلم فى كل أمر أمره ، ونهى نهاه نفسا(٦) ، فيأتمر بأموره ، وينتهى عن محارمه ، فاذا أوفى الايمان والاسلام نجا من الوزن والحساب ، وانما صار الوزن والحساب على العبيد ، لأنهم وفوا ببعض ، وتركوا الوفاء ببعض ، ووثب(٧) فى المحارم ، وقل(٨) صبره فى حكمه عليه فى الأحوال ، واضطراب قلبه ، فوضع الميزان وحاسب لينظر العبد وفاه أكثر أو ترك الوفاء أكثر(٩) ، فان زاد وفاؤه على ترك الوفاء نجا وان غلب ترك الوفاء نجا ، وان غلب ترك الوفاء بقى العبد موقوفا بقى العبد موقوفا على مشيئته ، ان شاء عفا ، وان شاء عاقب .

فمن خفى عليه هذه الصفة كيف دبر(١٠) الله تعالى(١١) هذا الأمر ، وما تفسير كل كلمة من هذه الأسماء ، فانما يخوضون بجهلهم بالأسماء وتقع بينهم المنازعة ، فواحد يقول الايمان فى القلب ، وآخر يقول مخلوق(١٢) ، وآخر يقول غير مخلوق ، فيتعادون ، ويفترقون ،ويتدابرون، ويتباغضون، « وهم فى الكلام كالهذيان »(١٣) ولا يرجعون الى تفسير كل اسم ، يقولون : الايمان ، ولا يدرون، ما الايمان .

يقولون : القرآن ، ولا يدرون ما القرآن ، فمرة يشيرون الى ما فى الصحف ، ومرة يشيرون الى أصول القراءة ، ومرة يشيرون الى الوحى ، والأولى بهؤلاء السكوت عن مثل هذا ، والاقبال على ما أمروا .

فالنور هدية الله لأهل مننه وأحبابه وأوليائه، وسعداء عبيده ، والايمان هو(١٤) لمن ينال هذه الهدية ، فعل منه ، فاستقر قلبه ، واستقرت نفسه ، وقبل العبودية من ربه .

فهذا منه ايمان ، وعلى فعله يثاب ، ويكرم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ..

الايمان يكتسب أو موهوب

وسألت عن الايمان من المواهب أو من المكاسب ؟ ، فالايمان فعل العبد يقال أمن يؤمن ايمانا ، ولو لم يكن من المكاسب لم يستحق الثواب ، فأما الذى نال به الايمان فالعقل ، فهو مواهب ، وقبول العبد وطمأنينة نفسه الى ما جاء به العمل ، وأورده على قلبه مكاسب وبه استحق الثواب(١٥) .

---

(١) الانعام ٦ آية ١٢٢ .
(٢) فى ولى الدين « انتقل » .
(٣) فى ليبزج « فهى » .
(٤) فى ولى الدين « رده » .
(٥) فى ولى الدين « وحقق » .
(٦) فى ولى الدين « متسافيا » .
(٧) ولى الدين « رتب » .

(٨) ولى الدين « وكل » .
(٩) ساقط من ولى الدين .
(١٠) ولى الدين « كيف ذكر الله » .
(١١)ساقط من ولى الدين .
(١٢) ما بين القوسين ساقط من ولى الدين .
(١٣) من بين القوسين ساقط من ليبزج .
(١٤) ساقط من ولى الدين .
(١٥)ليبزج ورقة ١٦٥ ب .

شخصية فى سطور

ابن عساكر حافظ الشام وخادم الحديث

إعداد مسعد محمد الديب

قال عنه النووى :

« هو حافظ الشام ، بل حافظ الدنيا . الامام الثقة الثبت » .

● هو ابو القاسم على بن الحسين بن هبة الله ، المعروف بابن عساكر ، من معاصرى السلطان نور الدين ، وصلاح الدين .

● ولد بـ « دمشق » فى أول المحرم سنة ٤٩٩ هـ ـ الموافق سبتمبر ١١٠٥ م ، فى أوائل زمن الحروب الصليبية .

● تلقى دراسته الأولى فى علوم الفقه والحديث بدمشق ، وتتلمذ على جماعة من الدمشقيين ، منهم والده ، وأخوه ضياء الدين .

● رحل الى العراق عام ٥٢٠ هـ ، وتلقى العلم بمدرستها ، فأكمل دراسة الفقه والنحو واللغة ، ثم انتقل الى مدن العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز حتى وصل « مرو » ليشبع نهمه فى طلب الحديث .

● اكثر فى الاخذ عن العلماء ، حتى بلغ عدد من أخذ عنهم ١٣٠٠ شيخا ، وبلغ عدد من أخذ عنهن من النساء بضعا وثمانين امرأة .

● ثم عاد الى الشام ، وهو من كبار الفقهاء فى المذهب الشافعى ، متفردا فى الحديث وعلومه ، متقنا للأحاديث الشريفة حفظا ومتنا وسندا .

● وأمضى أبو القاسم فى « دمشق » نحوا من أربعين عاما ، قضاها فى الجمع والتصنيف والقراءة ، حتى كان يحاسب نفسه على كل ساعة تضيع بلا عمل ، حتى جمع فى الحديث الشريف ما لم يجمعه أحد ، الى أن آلت اليه الرئاسة فى الحفظ والاتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث ، والتفقه فيه ، وحسن التجويد والتصنيف .

● ظل ابن عساكر خادما للسنة النبوية الشريفة ، ملتزما عبادة ربه ، الى أن أدركته المنية ليلة الاثنين ٢١ من رجب ٥٧١ هـ ، مخلفا ابنه القاسم بهاء الدين من رجال الحديث .

● كان رحمه الله تعالى يدين بمذهب الامام الأشعرى ، ومن المنافحين عنه ، وله فى ذلك مؤلف أسماه « تبيين كذب المفترى فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى » ، وهو رد على الحسن بن على الأهوازى الدمشقى المتوفى عام ٤٤٦ هـ الذى كان يكره مذهب الأشعرى ويهاجمه .

● له مؤلفات علمية ضخمة ، فقد ملأ وقته بالتاليف والتصنيف ، ورويت مصنفاته عنه فى حياته ، وهذه المؤلفات ، أغلبها مجموعات حديث ، ثم كتب تاريخ ، وكتاب فى علم الكلام ، وكتاب آخر فى الأدب .. نذكر منها :

١ ـ كتاب جمع فيه بين سنن أبى داود ، وجامع الترمذى ، والنسائى ، ودعاء الاشراف على معرفة الأطراف .

٢ ـ كتاب جمع فيه ما اتفق عليه شيوخ الأئمة الثقات .

٣ ـ المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى .

٤ ـ كشف المغطى فى فضل الموطأ .

٥ ـ من كتبه التاريخية « تاريخ مدينة دمشق » فى ثمانين مجلدا .

٦ ـ كتابه فى علم الكلام « كذب المفترى فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى » .

٧ ـ وكتابه فى الأدب « الأطراف الادبية » فى أربعة مجلدات .

نادى

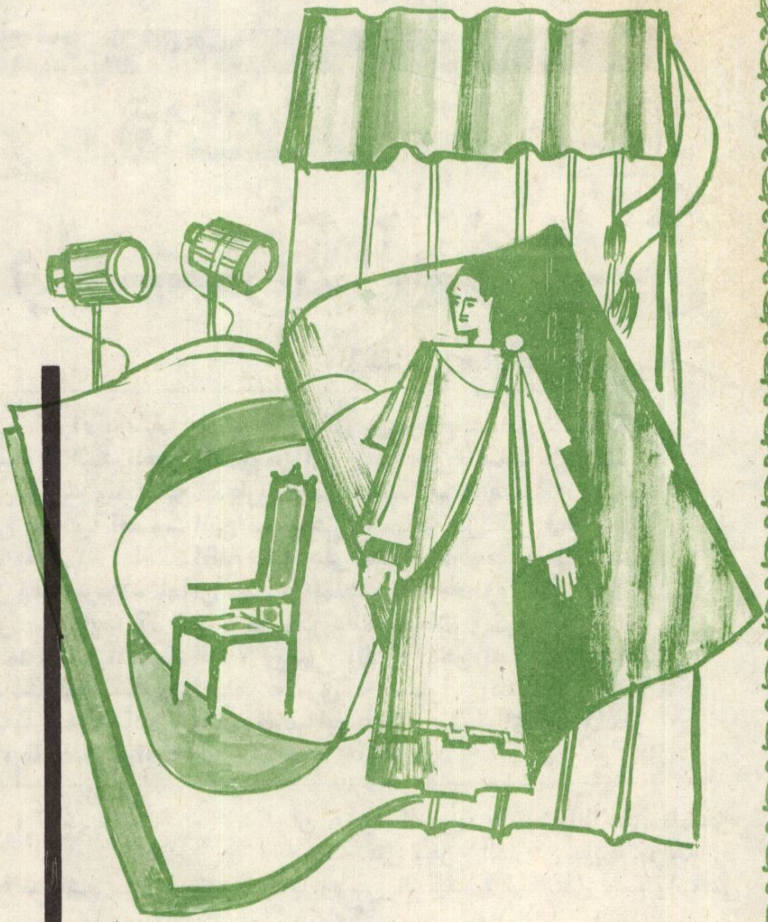

القصة والمسرحية

يوسف الصِّدِّيق

تمثيلية فى حلقات : ١٠

النسوة وامرأة العزيز

الأستاذ بهاء الدين القباني

ملخص ما نشر

تحاول زليخا جاهدة اغراء يوسف بشتى الوسائل بل وتلح عليه وتستعطفه أن يلبى لها رغباتها ويوسف فى أشد الحيرة والقلق من أمر زليخا التى يتمناها كل الناس الا هو .. وبينما هو فى حيرته ونفسه مضطربة وهى جالسة تحت قدميه اذ سمع صوتا يناديه . فيتجه الى صاحب الصوت التى تعود على سماعه من قبل ذلك فاذا بأبيه يعقوب عليه السلام يقول له : لقد اطلع الله على شفافيتك وحساسيتك .. فأرسلنى اليك لأخيرك بين أحد أمرين . اما أن تقبل أن يمنحك الله معجزة تأويل الرؤيا .. واما أن تقبل الانزلاق مع زليخا ؟؟ . فيرد يوسف عليه السلام ويقول هذا عالم واسع جدا أراه أمامى الحمد لله ــ الحمد لله . ويسرع بالفرار نحو الباب وزليخا تجرى وراءه فى جنون وتشد قميصه من الخلف فيتمزق . ويحاول يوسف أن يعالج قميصه وهو يفتح الباب . فاذا بالعزيز يعالج الباب ليفتحه ، وعندما رأى هذا المنظر يقول مدهوشا ماذا حدث ما الذى أراه ؟ .

زليخا : (تتصنع الابتسام فجأة) لا شىء ! . لا شىء يا زوجى العزيز ! . فقد .. فقد كنت أنا ويوسف فى الحجرة نتناقش حول موضوع افترضناه سويا .. وما دمت فى هذه اللحظة فلا بأس من أن تشترك معنا فى المناقشة ولتحكم بيننا .. وتقدر أينا على صواب .. يوسف أم أنا ؟

العزيز : وما هو هذا الموضوع يا زليخا ؟

زليخا : (باسمة) افترضنا أنا ويوسف أن واحدا من شرار الناس حدثته نفسه الأمارة بالسوء أن يتهجم على فى خدرى الحصين .. وفعلا بدأت يده الآثمة تمتد لارتكاب الفعل الفاضح .. مصرا على تنفيذ ما اعتزمه .. فياترى ماذا يكون العقاب الذى يمكن أن يوقع على هذا الشخص ؟ كان رأيى أنا .. أن عقابه السجن ! . ولكن يوسف كان رأيه ان عقابه الضرب بالسياط على ظهره وبطنه حتى يخرج الدم من جلده .. هه .. يا زوجى الحبيب ؟ أينا على صواب فى حكمه ؟

(تتناول العزيز من يده فينقاد لها ، وتجلسه على السرير ، بينما العزيز يتطلع الى يوسف .

وشعره المنكوش ، والى قميصه الذى تعلق نصفه بكتفه ونصفه الآخر الممزق يتدلى على جسمه ، فيبدو نصف عريان يوسف ما زال واقفا فى مكانه ينظر الى خارج الحجرة)

زليخا : (تواصل كلامها ولا توقفه) هه .. ماذا قلت يا زوجى ؟. هه .. بم تحكم ؟ هه . بالسجن ؟ أم الضرب بالسياط كما قال يوسف ؟ .

يوسف : (بسرعة) كلا .. كلا يا سيدى العزيز فأنا وسيدتى لم نكن نتناقش حول موضوع كهذا الذى تقوله سيدتى !! .

العزيز : ماذا ؟ لست أفهم ! ..

يوسف : يا سيدى .. ان سيدتى تحاول تبرير موقفها فاختلقت على الفور هذه القصة !. ان سيدتى على جانب كبير من الذكاء والحيلة وحسن التصرف .. فقد أسعفتها بديهتها الحاضرة اللامعة أن تقول هذه القصة لتحول انظارك على الفور من أن تفتش عن السبب فى وقوفنا أنا وهى لدى الباب على هذه الصورة المريبة . فهى لم تشأ أن يفتتح أى منا الحديث فيجرى فى مجرى لا ترضاه هى بل تريد أن تتوتاه وأن لا يستفحل .. فأرادت لذهنك يا سيدى أن يتوجه وجهة معينة هى أن تجعلك تجيب أنت على أسئلتها والا تعطيك فرصة فى ان تسألها انت وتنتظر اجابتها .. خاصة ان الأذهان تكون فى مثل هذا الجو مهيأة لقبول اى حديث والسير فيه الى نهايته .. فقط يقع العبء على من يفتتح الحديث وعلى لباقته وسعة ادراكه ومدى تفهمه لروح المخاطبين .. ولقد ألقت سيدتى هذا العبء على عاتق نفسها فسألتك هذا السؤال ! .

زليخـا : (فى استغراب شديد) ماذا ؟ ..

العزيز : اسكتى يا زليخا !. استمر يا يوسف ..

يوسف : منذ لحظة واحدة كانت سيدتى بلا وعى واقعة تحت تأثير الشيطان .. فلما التقى ثلاثتنا على باب الحجرة هكذا فجأة .. افاقت هى على الفور وبادرتك بهذه القصة حتى لا يرتطم كل منا بالآخر ارتطاما لم يحسب اى منا حسابه .. وحتى لا نتحول جميعا فى لحظة صمت الى تشابك عنيف بالأيدى قد لا يعرف أحدنا مداه ..

زليخـا : (مقاطعة) أنت !. أنت ! ..

العزيز : اسكتى يا زليخا .. هدى .. هدى يا يوسف .. قل ما حدث ؟

يوسف : القصة التى اختلقتها سيدتى الآن تريد هى منها أن لا تتهمنى على الفور زورا وبهتانا وانما تعطينى فرصة أخرى كى أرجع على عقبى فى عنادى معها وافعل ما تأمرنى به فى المستقبل اشارة منها من طرف خفى انها تستطيع أن تسجننى ان لم أكف عن مكابرتى وعدم اطاعتى لها فيما تأمرنى به من فعل السوء .. وكيف انها تساهلت معى فى هذه المرة وكان فى امكانها أملا منها فى تخويفى حتى أنزل على رغبتها فى المستقبل والا كان السجن من نصيبى أو أن تختلق قصة أخرى زائفة أيضا .. كان من نصيبى فيها ما قالته عن الجلد بالسياط !

زليخـا : (تضع وجهها باكية بين كفيها) كلا .. كلا يا زوجى ! . لا تستمع الى يوسف .. فالذى حدث هو ما قلته لك الآن ! .

يوسف : كلا .. ياسيدى .. لن أكتم الأمر وينبغى أن تكون انت على علم بما يجرى فى القصر حتى لا يزداد الأمر تعقيدا فى المستقبل .. وحتى لا تسرى النار من تحت الهشيم ثم تهب مشتعلة دفعة واحدة لا نستطيع ايقافها عند حد خاصة يا سيدى انت أكرمتنى وآويتنى واتخذتنى ولدا لك ..
(يسكت فترة قصيرة) ..

العزيز : قل .. قل يا يوسف ..

يوسف : سيدتى دعتنى اليوم الى حجرة نومها بحجة تنظيم أثاثها .. ولكنها أغلقت الأبواب ثم دعتنى اليها كى أرتكب معها فعل السوء ولكنى رفضت وأسرعت نحو الباب كى أهرب منها .. ولكنها لحقت بى عند الباب وجذبتنى اليها من قميصى جذبة قوية فمزقته ! ..

العزيز : ماذا ؟ ماذا تقول يا يوسف ؟ هه .. وأنت يا زليخا هل حدث هذا ؟ وكيف ؟ تكلمى ! ..

زليخـا : (تجرى نحو فراشها وتلقى بنفسها باكية) كلا .. يا زوجى .. وأقسم لك بالآلهة انه لم يحدث شىء من هذا ؟

العزيز : (يطرق) .. (لنفسه) أيمكن أن يحدث هذا ؟ زليخا تراود يوسف عن نفسه ؟ كلا .. كلا .. ان يوسف هو الذى تغير وأصبح شخصا خائنا .. هو شاب مكتمل الرجولة تنضج فى وجهه الحيوية والقوة وتطفح منه الرغبة الأكيدة .. فهو الذى يمكن أن يقدم على فعل مثل هذا أما زليخا العفيفة الطاهرة ذات الحسب والنسب والجمال والكبرياء . فلا يمكن أن تكون كما قال عنها يوسف ؟. لا .. لا عيش له معنا بعد اليوم .
(يخرج من باب الحجرة وينادى)
ــ بلعام .. يا بلعام ..

زليخـا : (تنتفض من الفراش فجأة) بلعام !. أخى ..

العزيز : اجل .. جاء معى ليراك .. يا بلعام .. تعال . الق بيوسف فى السجن ! .. على الفور ..

(ياتى بلعام من أسفل الدرج) .

بلعام : (مستغربا) ماذا ؟ ولمه ؟ يا زوج أختى انت تحب يوسف وتكرمه .. فلماذا هذا الانقلاب المفاجىء ؟

العزيز : انه يراود أختك عن نفسها ! لقد ضبطته انا الآن ! .

بلعام : ضبطته ؟ ماذا تقول ؟ (يلتفت الى يوسف) هل حدث هذا يا يوسف ؟

يوسف : انها هى التى راودتنى عن نفسى .. ولكنى هربت منها ..

بلعام : (ينظر اليه فى عدم اقتناع) هربت منها ؟ ومن يصدق هذا ؟

يوسف : اجل .. هربت منها وجذبتنى من قميصى فمزقته بيديها ؟

بلعام : جذبتك من قميصك فمزقته ؟

يوسف : اجل ..

بلعام : (الى العزيز)ايها العزيز .. هدى .. لا تصدر حكما الا بعد الاطلاع على دليل ..

العزيز : اى دليل تقصد يا بلعام ؟ وكل شىء ظاهر ؟ يوسف فى حجرة نومى مع زليخا .. قميصه ممزق .. وهو شاب وزليخا امراة جميلة .. اعجبته فأراد فعل السوء بها ولكنها طردته عن نفسها وجرت نحو الباب لتفتحه لتستغيث من تهجم يوسف عليها .. اى دليل بعد هذا يا بلعام ؟

بلعام : كلا .. انت رجل فى منصب كبير فى مصر وعقلك رشيد .. متزن لا تحكم على الشىء حكما سريعا الا بعد تفكير وتروى .. والحقيقة سوف تتضح بالهدوء والحكمة !.

العزيز : كيف ؟ كيف يا بلعام ؟

بلعام : القميص ! القميص الذى يرتديه يوسف.

العزيز : القميص !؟

بلعام : اجل .. نطلع على القميص فاذا كان قد تمزق من الأمام فهذا دليل على أن يوسف حاول التهجم عليها ولكنها دافعت عن نفسها بابعاده عنها فمزقت له القميص من الأمام .. وتكون زليخا صادقة فيما تدعيه وهو كاذب فيما يدعيه .. واذا كان القميص ممزقا من الخلف فهذا دليل على انه هرب منها فعلا ولكنها طاردته ولحقت به وامسكت قميصه من الخلف وجذبته اليها فتمزق وتكون هى كاذبة فيما تدعيه وهو صادق فيما يدعيه ..

العزيز : اجل .. راى حسن .. ارنا القميص يا يوسف .. اخلعه .. اخلعه ! .

بلعام : كلا .. كلا .. لا تخلعه .. وارنا اياه كما هو ..

(ينظران القميص من الأمام ومن الخلف وهما يدوران من حول يوسف)

بلعام : (مندهشا) انظر .. القميص ممزق من الخلف !.

(يشير الى ظهر يوسف الذى تبدو منه الملابس الداخلية خلال القميص) .

— انظر .. التمزيق فى ظهر القميص يبدأ من الأكمام ومن الرقبة من الخلف حتى ذيل القميص دليل على انها مزقت له القميص بكلتا يديها .. قبضت بقوة على القميص من وسط الظهر فمزقت أطرافه من الأكمام من أعلى وعند الرقبة .. وهذا دليل صدقه !!.

العزيز : اجل .. يا بلعام .. اجل .. القميص ممزق من الخلف .. بل ان آثار أصابعها المعروفة تظهر بوضوح فى مكان التمزيق .. اذن .. فأنت ! ؟..

بلعام : اجل .. انت يا زليخا !. أنت التى حاولت الايقاع به .. خاصة وانك الآن فى أبهى زينة وترتدين الملابس الفضفاضة .. يا سيدى العزيز .. انهن النسوة يا سيدى يستطعن بسعة حيلتهن وحضور بديهتهن أن يوهمن الغير بأنهن بريئات مع انهن أصل لكل بلية .. ومنبع لكل فعل خبيث !. ان كيدهن عظيم !..

العزيز : (يربت على كتف يوسف) .

لا عليك يا يوسف .. لا تقلق .. ولا يذهب بلبك الأسى لما حدث .. اعتبر الموضوع كأنه انتهى الآن . .ولا تبحث فيه ..

(يلتفت الى زليخا التى جلست على سريرها مندهشة صامتة) .

— اما انت يا زليخا فيكفى اننا عرفنا انك مذنبة .. وهذا وحده عقاب لك على فعلتك ..

بلعام : استسمحى زوجك العزيز يا زليخا .. استسمحيه واستغفرى له .. استسمحى يوسف ! ..

* * *

(زليخا تبكى) .
(يسرى الهمس فى القصر .. وفى انحاء مصر)

* * *

— اجل .. أحبها واحبته !. وكانا يلتقيان كثيرا فى غيبة العزيز عن القصر ! ..

* * *

— جعلت حجرة فتاها امام حجرة نومها ليسهل اتصالها به ..

* * *

— ان حب يوسف لزليخا قد بدأ منذ قدومه الى القصر وهى كذلك !

* * *

— يقولون ان يوسف هذا شاب جميل .. وهى أنثى جميلة وقعت على أملها ..

* * *

— زوجها العزيز رجل عاقر ولا تسرى فيه شهوة الرجال !.

* * *

— اذا كانت تحن الى الرجال ، فهناك رجال البلاط والقادة ! واى منهم يرفض لزليخا مطلبا يسيرا مثل هذا المطلب ؟

* * *

— امراة العزيز تريد أن يواقعها احد خدامها .. ياللعار ..

* * *

— أصاب عقلها الخلل !.

* * *

— وهل صدقتم انه لم يحدث شىء !. لقد أغلقت الأبواب .. وكان هناك شد وجذب .. وحدث ..
— وحدث .. وحدث .. وحدث ..

* * *

(فى حجرة زليخا ..) (زليخا مستلقية واصفون عند قدميها)

زليخا : (تهب واقفة فجأة) ماذا ؟ ماذا تقولين يا اصفون ؟ ..

اصفون : اقسم لك بالآلهة يا سيدتى .. اقسم .. ان جميع سكان مصر .. يتكلمون عن موضوعك هذا .. انه اصبح مادة للتسلية والتضاحك والتغامز !.

زليخا : ولكن لم يكن هناك سواى وزوجى واخى بلعام و .. يوسف .. فكيف ينتشر خبر كهذا فى جميع انحاء المدينة ؟ .

اصفون : يا سيدتى !. يا سيدتى .. الأرض تنشر الأخبار .. الحيطان تنشر الأخبار .. الهواء ينشر الأخبار .. وطبعا .. اخذت هذه القصة تنتشر فى القصر أولا .

زليخا : من قصرنا ؟ هنا .. هل الخدم ينشرون أخبار من يعملون لديهم ؟

اصفون : سيدتى .. أنت ذكية جدا .. كيف يغيب عن بالك أن القصور دائما هى البؤرة التى تنتشر عنها كل الأخبار .. زوجات الخدم والحشم يا سيدتى هن اللائى يقمن بنشر الأخبار .. والنسوة يا سيدتى اكثر الناس تطلعا وافواها وآذانا .. هن أقدر من غيرهن على تغليف الواقع بأغلفة زائفة النسوة جادات مجتهدات فى هذه الأمور .. ينشرن الأخبار والاشاعات ولا يبغين أجرا .

زليخا : اذن .. فالنسوة فى قصر الملك هن اللائى ينشرن الأخبار ؟ ..

اصفون : وفى هذا القصر أيضا ..

زليخا : من تعتقدين يا أصفون ؟

اصفون : زوجة ساقى الملك .. زوجة الخباز زوجة الحاجب .. زوجة صاحب الدواب .. ونسوة رجال البلاط .. ونسوة كل العظماء فى مصر !

زليخا : (تطرق فى تفكير عميق) (ترفع رأسها فجأة) ..

— اسمعى يا أصفون !!

اصفون : لبيك سيدتى ..

زليخا : ارتدى ملابسك الآن .. واذهبى الى جميع النسوة اللاتى ذكرتهن الآن .. وابلغيهن تحياتى واشواقى الى رؤيتهن .. وقولى لهن أن امراة العزيز قد أعدت لكن مأدبة عشاء .. وهى تدعوكن لقضاء ليلة جميلة معها فى قصرها .. غدا .. غدا يا أصفون .. على أن لا تعتذر احداهن عن الحضور .. اية واحدة منهن .. اكدى عليهن ..
هيا .. أسرعى يا أصفون .
(تضحك فى هستيرية) انهن غبيات ! . حمقاوات .. ينشرن الاشاعات فى سذاجة وخبث .. انهن لا يعلمن من هى زليخا ؟ . وأنا .. أنا زليخا !. أنا زليخا !..

* * *

(والى اللقاء فى العدد القادم)

التعريف بأمهات المؤمنين

عائشة رضى الله عنها

الدكتورة نعمات محمد على

عائشة بنت ابى بكر رضى الله عنهما ثالثة امهات المؤمنين دخولا بها . وثانيتهما عقدا عليها ، وكان لها مع الرسول صلى الله عليه وسلم دور ومنزلة ، ساهمت فى الحياة السياسية والاجتماعية مساهمة واضحة وقد استمرت تؤدى دورها الى أن لقيت ربها فى أوائل عهد الدولة الأموية .

والتعريف بعائشة رضى الله عنها يناقش عدة قضايا ، ويرد عددا من الشبهات الحاقدة التى يثيرها أعداء الاسلام — بهتانا — ضد الدعوة الاسلامية ممثلة فى رسولها ، وشريعتها وأئمة المسلمين فى الصدر الأول .

وفى منهج موضوعى علمى نتكلم عن عائشة كامرأة تربت فى بيئة فاضلة ، وكزوجة أدت دورها مع زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكأم للمؤمنين أدت واجبها مع الرسول والرسالة وأخلصت لله رب العالمين .

وكان من الممكن أن أتغاضى عن الأكاذيب التى أثيرت حول أم المؤمنين عائشة ، واكتفى بسرد الحقائق ، لولا منهج الاسلام — الذى أدين الله به — وهو يدعو الى عرض قضايا الخصم كما هى بأمانة — ومناقشتها بموضوعية كاملة ، وتعقل تام ، ومن أمثلة هذا المنهج قول الله تعالى : ((**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا**)) .

وعلى ضوء هذا المنهج ستكون كتابتى عن عائشة . ولا ضرر مطلقا فيه ، لأن الحق يثبت ببرهانه ، والباطل ينهار بمزاعمه . وعائشة هى بنت أبى بكر ، وهى زوجة رسول الله ، وهى أم المؤمنين ، وحبى لها نابع من ذلك كله . والله يوفقنى ..

بيئة عائشة :

تعتبر عائشة رضى الله عنها امتدادا لبطنين كبيرين من بطون مكة هما تيم وكنانة ، لأن اباها هو أبو بكر الصديق ابن أبى قحافة . بن عامر . ابن عمرو . بن كعب . بن سعد بن تيم .

وأمها هى ((أم رومان)) وأسمها زينب أو دعد . بنت عامر . بن عويمر . بن عبد شمس . من بنى مالك بن كنانة .

وتيم وكنانة من قبائل العرب التى تميزتا بمساندة الحق ، وبالشجاعة ، وبالكرم ، وبالوفاء وبالدفاع عن الكرامة ، وبكل ما هو جميل عند العرب قبل الاسلام .

حلف الفضــول :

لقد تم حلف الفضول فى دار عبدالله بن جدعان التيمى وفيه كانت نصرة المظلوم واعانة الضعيف وفى بنى تيم كان تكريم النساء . واحسان معاملتهن وشدة المحافظة عليهن . وفى كنانة يقول النبى صلى الله عليه وسلم : واصطفى قريشا من كنانة فأنا خيار من خيار ..

أبو بكر الصديق :

وابو بكر فرع تيمى عرف بصدقه وأمانته ، احبه العرب وأعزوه . وانزلوه فى نفوسهم منزلة عالية ، فهو اعلمهم بأنسابهم وأيامهم ، وكان تاجرا أمينا ، فاذا ما أتاه قرشى أخذ منه حاجته وعلمه ، وخبر الاسلاف لديه ، فلما جاء الاسلام سبق اليه ابو بكر عن قناعة به ، وحبا للحق الذى وجده بعد أن بحث عنه طويلا فى كل مكان ذهب اليه ، وقد صدق أبو بكر فى اسلامه حتى سمى « الصديق » يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة . ونظر . وتردد ، الا ما كان من أبى بكر ابن أبى قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيـه » .

وقد ادى صدق الاسلام عند أبى بكر ان بذل فى نشر الاسلام والدعوة اليه جهده وماله ، حتى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : **« ما نفعنى مـال قط ما نفعنا مـال أبى بكر »** فبكى ابو بكر لمـا سمع ذلك وقال : يا رسول الله هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله !! .. ذلك هو أبوهـا ..

أما أم رومان أمها فهى فرع من كنانة ، عرفت بقوة الذكاء ، وسرعة البديهة ، وحب الحق ، أسلمت مع السابقات فى الدين . وبايعت رسول الله ، وهاجرت الى المدينة ، يصف النبى صلى الله عليه وسـلم جمالها . وصلاحها ومكانتها فيقول : « من سره أن ينظر الى امراة من الحور العين فلينظر الى أم رومان » .

ومن أبى بكر وأم رومان ولدت عائشة ، ومعهما نشأت ، فورثت كثيرا من الصفات الفاضلة ومهرت فى عادات نبيلة ، لأن العرق دساس ، ومن يشابه أباه ما ظلم .

فلما قضى الله تعالى بأن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ رسول الله يوصى بها خيرا ، اذ كان يختلف الى بيت أبى بكر فيجد عائشة رغم صغرها متسترة — وكان لا يخطئه يوما — فينادى أمها ويقول لها : « يا أم رومان استوصى بعائشة خيرا واحفظينى فيهـا » فكان لعائشة بذلك منزلة عند ابويها وكان لتوجيهها والعناية بهـا أهمية خاصة بسبب وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها .

من السبب ؟

حدث ان جاء رسول الله الى بيت أبى بكر فوجد عائشـة تبكى بكاء حزينا فسألها : من السبب ؟ فقالت : انها أمهـا .. فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أم رومان فقال : يا أم رومان ألم أوصك بعائشة أن تحفظينى فيها ؟ ! فقالت : يا رسول الله انها بلغت الصديق عنى واغضبته علينا .. فقال النبى : وان فعلت قالت أم رومان : لا جرم لا سؤتها ابـدا .

ما امتازت به عائشة :

وهكذا تجمع لعائشة منذ مولدها عناية الآباء واهتمام الرسول مما جعلها تنشأ معدة لتحمل رسالتها فى بيت النبوة فكانت خير من استجاب لقول الله تعالى : **« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »** .

ومما تميزت به عائشة بعد انتقالها الى بيت رسول الله طاعتها الشديدة له ، وحبها لشخصه ومحافظتها الكاملة على بيته وعرضه . وكانت تؤثره صلى الله عليه وسلم على نفسها وراحتها وفى ذلك حدثت قصص سنتكلم عنها فى موضعها من هذه الدراسة .

هذه بيئة عائشة الأسرية والزوجيـة وبعون الله تعالى أخذت منهـا العديد من الصـفات والآداب .

صـفات السيدة عائشة :

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها خير وارثة لصفات أبويها . وخير مثال الأمهات المؤمنين . وقبل ان اتحدث عن زواجها وحياتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أحب ان أوضح بعض صفاتها الخلقية والخلقية التى صنعت منها شخصية عرفت ببعض المسميات الخاصة بها .

فهى « ابنة أبى بكر » وهى « الصديقة بنت الصديق » وهى « حبيبة رسـول الله » وهى « حبيبة حبيب الله » وهى « الشـقراء » وهى « الحمراء » . ولهذه المسميات دلالتها على صفات أم المؤمنين عائشة .

اما صفاتها الخلقية فقد كانت جميلة بينة الجمال . دخل « عينية بن معنى القرارى » على رسول الله وعنده عائشة قبل ان يشرع الحجاب فلما راى عائشة لمح جمالها فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هذه الحميراء يارسول الله ؟ » قال : هذه عائشة بنت ابى بكر .

فقال عيينه : افلا أنزل لك عن أجمل النساء ؟

قال صلى الله عليه وسلم : « لا .. » .

وكانت حمرتها مشربة بالبياض . ولذلك عرفت بالحميراء تصفيرا للحمرة .

وكانت اقرب الى الطول لأنها كانت تعيب القصر .

وكانت معتدلة القوام . نحيلة الجسم . ففى حديث الافك أن القوم حملوا هودجها ووضعوه على الراحلة من غير ان يشعروا بعدم وجودها فيه لخفة وزنها ، ومن حديثها قولها : « خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس : تقدموا . فتقدموا . ثم قال صلى الله عليه وسلم : تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت . حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة أخرى قال صلى الله عليه وسلم للناس : تقدموا فتقدموا . ثم قال : تعالى اسابقك فسابقته فسبقنى . فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول يا عائشة هذه بتلك .

ولم تكن السيدة عائشة فى صحة جيدة . بل كانت تصاب بالمرض ياتيها بين الفينة والفينة تصف ذلك فتقول رضى الله عنها : « كنت اذا اشتكيت رحمنى — صلى الله عليه وسلم واطف بى ، فلما كان حديث الافك لم يفعل ذلك فى شكواى فانكرت ذلك منه » والثابت أنها مرضت فى خلال الافك وكان النبى يدخل عليها ولا ينطق باسمها ويقول : كيف تيكم ؟؟

وقد كان لمرضها المستمر أثر فى سقوط شعرها تقول رضى الله عنها : لما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى الحرث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعرى وكان ذلك فى مقتبل حياتها بعد هجرتها الى المدينة مباشرة .

وكانت جهورية الصوت بلا خضوع فيه . بحيث تستطيع أن تخطب فى الناس كما فعلت يوم « موقعة الجمل » ..

وكانت رضى الله عنها حريصة على التزين والتطيب فى بيتها وكان رسول الله حين يراها يداعبها ويقول لها : **« ان لونك يا شقيراء لحسن »** ومن نصائحها للنساء قولها : **« يا معشر النساء اياكن وقشر الوجه »** وسألتها امرأة عن الخضاب فقالت : لا بأس به .. وسألتها بكره بنت عقبة عن الحناء فقالت لها : « شجرة طيبة وماء طهور » وسألتها عن الحفاف . فقالت : ان كان لك زوج واستطعت ان تنزعى مقلتيك فتضعيها احسن مما هما فافعلى .

وكانت تلبس الثياب الحمر المعصفرة ، وخاتم الذهب ، وكثيرا ما ظهرت لصاحباتها منتقية .

وأما صفاتها الخلقية :

رضى الله عنها فقد اشتهرت بالوقار والاحتشام اذ كانت تتستر كثيرا وتلزم كل امرأة مسلمة بالستر ومن أقوالها : « لابد للمرأة من ثلاثة أثواب تصلى فيهن درع وجلباب وخمار . وكانت تحل أزرارها فتتجلبب به .

وتميزت السيدة عائشة بالورع والتقوى . تؤدى فروض الدين على وجهها الأكمل . تصلى . وتصوم . وتحج . وتعتمر وتحسن الى الفقراء والمساكين . ولم تكن عبادتها خالية عن معناها . وانما كانت أقوالا وأفعالا تسمو بالنفس وتعلو بالروح ، بعث اليها ابن الزبير مرة بمال كثير فوزعته فلما جاء موعد الافطار طلبت من أم ذر أن تأتيها بطعام فتعجبت أم ذر لعدم احتفاظ عائشة بجزء من المال تشترى به طعاما لنفسها .

وكثيرا ما سألت رسول الله عن الجهاد . فيقول لها : جهادكن الحج .

كانت اذا اخطأت تعود للحق بسرعة . خطفت قصعة ضرتها مرة وكسرتها ، ولكنها سرعان ما سألت رسول الله . ما كفارة ما فعلت ؟ قال لها : « اناء مثل اناء » .

وكانت مهذبة رقيقة . جاءها الرسول مرة فى ليلتها وقال لها : ائذنى لى يا عائشة أن أتعبد لربى قالت : يا رسول الله . انى لأوثر هواك وان كنت لا أطيق بعدك .

وكانت عائشة رضى الله عنها تشارك تزويج يتيمات المدينة وتولم لهن .

وكانت تعلم بنات جنسها ما علمت من دين الله تعالى . وبذلك كانت خير مثال لبيت النبوة . وخير ام للمؤمنين . رضى الله عنها وارضاها .

الإسلام والمرأة

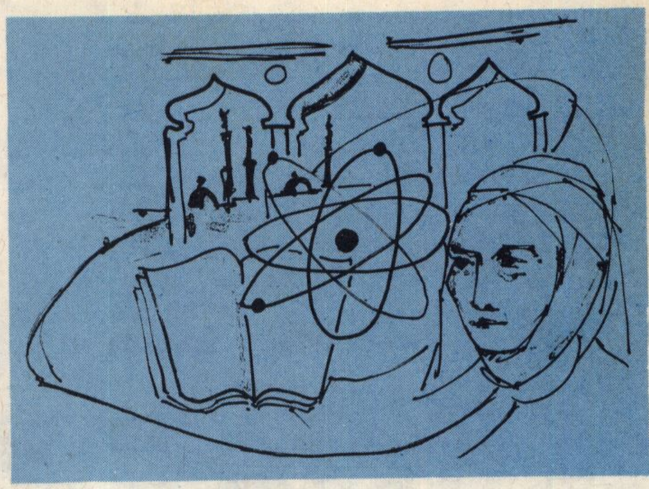

والعصر الحديث

الأستاذ صلاح عزام

أجهزة الاعلام .. تعاود هـذه الأيام الحديث عن الأسرة .. وامتداد عام المرأة .. بعد أن انتهت من الكلام عن عيد الأم .

وتشاء الظروف أن يكون تحت يدى فى هـذه الأوقات وبالذات .. ومصادفة ما رواه لنـا التاريخ عن مؤتمرات عقـدتها أوربا فى عصر النهضة وطوال القرون الأخيرة .. ومنذ القرن الخامس عشر .. وكيف أن رجال الفكر الأوربى كان شغلهم الرئيسى قضية تتمثل فى وصـفية المرأة .. سواء كانت زوجة أو أم .. أو ابنـة وبدأت بسؤال يطرح ومحاولات عديدة للاجابة عليه وهو هل المرأة خير أم شر .. ؟

عام الطفل ..
عام المـرأة ..

وانتهى مؤتمرهم فى القرن الخـامس عشر باعتبار المرأة شرا كلها .. وفى أى موقـع .. ولا كيان لها ولا حق بل ما هو أكثر من ذلك ــ استثناء وحيد وهو السيدة مريم عليها السلام .

ثم جاءت الأبحاث والدراسات (والمطـالب) بعد ذلك لتحديد مكانة المرأة .. التى ظلت فى عرف المجتمع الأوربى الى القرن التاسـع عشر (كمية مهملة) فى كثير من المجتمعات .. بل ويحرم عليها ما يحل للرجل لأنها باختصار (لا شىء) ولا حق لها ولا كيان .. وانما خلقت لتكون طوع أمر الرجل وفى خدمته ..

بل انه حتى ــ يومنا هـذا ــ ترى بعض الولايات فى أمريكا والمقاطعات فى دول أوربا .. أن المرأة فى درجة أدنى من الرجل وتحرم عليها بعض ما للرجال من حقوق .

هذا وغيره .. يحدث فى واقع .. وفكر الغرب والشرق .. وبعد أن ظهر الاسلام منـذ مئات السنين .. ويعرف مفكرو الغرب وعلماؤه معالم الاسلام .. ومكانة المرأة فى الاسـلام وحقوقها .. وواجباتها ..

والغريب المدهش .. اننى اتابع كل ما ينشر فى العالم العربى والاسلامى عن هذه المسميات التىتأتينا من الشرق .. والغرب .. على السواء مثل عام الطفل .. وعام المـرأة .. الخ .. وكأننا نعانى قضية للمرأة أو الطفل أو الانسان فى أى صـورة وهى أمور قـد حسمت بنزول القرآن الكريم وظهور الاسلام وتقرير حقـوق الانسان .. كل انسان .

والأغرب من ذلك كله أن لا تقرأ فى هـــذا المجال لقلم اسلامى ما يرد هـذه الأمور الى نصابها .. فيعرف القارىء العربى .. والأجنبى على السواء بموقف الاسلام من هذه (الوافدات) .

تكريم الاسلام للانسان

والحديث طويل .. فى تكريم الانسان .. بالاسلام .. وهو الأمر الذى سبقنا اليه عبر التاريخ علماء أجلاء .. وأساتذة جزاهم الله خيرا ..

ولكن .. نكتفى ازاء الأفكار المطروحة فى مجتمعنا المعاصر بذكر بعض معالم الاسلام عن المراة .. ككيان .. وعماد بيت و .. قبل كل شىء .

فالمراة لم تر .. ولن تعرف تكريما كهذا الذى حققه لها الاسلام فالقرآن يبدأ بتكريم المراة .. كام لها دورها العظيم والأكبر فى حياة الأبناء .. ويقرن الانبياء بعظمة من ذكرهم مع أمهاتهم . ويضرب فى هذا مثلا رفيعا بمريم ابنة عمران وابنها عيسى عليهما السلام .. حتى تسمى سورة من سور القرآن الكريم (بمريم) .. وأيضا يذكر لنا فى عظمة الخلود أم موسى عليه السلام ..

ويعد هذا التقرير .. ينعى القرآن على الذين يفرقون فى المعاملات بين الذكر والانثى فيقول تعالى (**واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون**) .

وترقى البشرية باقرار القرآن الكريم بأن لا يستأثر الرجل بمال ابويه من دون اخواته فيقول تعالى (**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا**) .

و .. « **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** » .

و .. فوق هذا الضمان وحماية للحياة الكريمة للمراة فى الاسلام يأمرنا الحق تبارك وتعالى (**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**) .

هذه هى الوصفية العامة للمراة كشريك فى حياة الأسرة .. والشق الثانى لابشرية .. فاذا كان الرجل قد تميز لتبتغوا فى أوضاع .. فانما تقرر له هذا بحكم ظروفه الطبيعية .. وأيضا فى مقابل مسئولياته فى الحياة .. وتجاه المراة بالذات والتزاماته نحوها ..

الرجال قوامون على النساء

اذ كما أن للرجل خصائص تجعل له الأولوية دون التميز (العنصرى) بالمعنى المعروف فكذلك أعطى الله تبارك وتعالى للمراة خصائص استحقت بها مكانة عليا .. وهى أن تكون أما .. وبالتالى فرض علينا سيدنا رسول الله أحقية وافضلية صحبتها .. حتى قبل الأب .. وكرر ذلك ثلاثا .. وزاد فى تمجيدها بقوله الشريف (**الجنة تحت أقدام الأمهات**) .

● وقبل أن تنتقل المراة الى مرحلة الأمومة .. فهناك مرحلة وسطى وهى الزوجية .. وأشهد انى ما قرأت ولا يمكن أن يعرف أحدنا دستورا عظيما للحياة الزوجية منذ بدايتها بالخطوبة وحتى نهايتها بالعشرة الزوجية كهذا الذى أعطاه الاسلام (للمراة) .

● فالزوجة فى الاسلام تختار لدينها وخلقها .. وليس لأى اعتبار آخر .. وكل ما عدا ذلك فهو اضافات .. أما الأساس فهو الخلق والدين وبذلك حمى المراة من الضياع فى مجتمع يبحث عن ذات الجمال .. أو الثراء .. أو .. فحسب لأن هذا كله لا يقوم عليه البيت .. ولا يبنى أسرة .. ولا يربى جيلا .. وبالتالى فلا نثرى البشرية بأجيال خيرة .. قوية الايمان .. والخلق . تدفع بالحياة نحو الخير والبقاء والتقدم .

وفوق ذلك .. فلا يضيع فى الزحام .. من لا يكون لديها الجمال المطلوب .. أو المال الوفير .. وهى أمور ليست فى يد البشر .. وانما الذى يسهل الحصول عليه .. هو التمسك بالدين والأخلاق ..

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم (عليك بذات الدين والخلق تربت يداك) .

● وكرمها الاسلام بالأمر بالتيسير فى شئونها فيقول عليه الصلاة والسلام (ان من يمن المراة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها) .

● ثم .. يرفض الاسلام سرية رابطة الزوجية بل يفرض اعلانها واشهارها بين الناس فيقول صلى الله عليه وسلم (اعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف) وفى رواية أخرى (فان فصل ما بين الحلال والحرام الاعلان) .

للمقال بقية ص ١٣٨

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
مفتى جمهورية مصر العربية

موقف الدين من المخدرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعــده ..

بيان الحكم الشرعى فى المسائل الآتية :

١ ــ تعاطى المخدرات .

٢ ــ انتاج المخدرات وزراعتها وتهريبها والاتجار فيهـا والتعامل فيهـا على اى وجه كان .

٣ ــ من يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخــدر .

٤ ــ الربح الناتج عن التعامل فى المواد المخدرة .

٥ ــ التصــدق بالأموال الناتجــة عن التعامل فى المواد المخدرة .

٦ ــ تعاطى المخدرات للعلاج .

٧ ــ التواجد فى مكان معــد لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيها تعاطيها .

ونفيــــــد :

ان الشريعة الاسلامية جاءت رحمة للناس ، اتجهت فى أحكامها الى اقامة مجتمع فاضل تسوده المحبة والمودة والعدالة والمثل العليا فى الأخلاق والتعامل بين أفراد المجتمع ومن أجل هذا كانت غايتها الأولى تهذيب الفرد وتربيته ليكون مصدر خير للجماعة فشرعت العبادات سعيا الى تحقيق هذه الغاية والى توثيق العلاقات الاجتماعية كل ذلك لصالح الأمة وخير المجموع . والمصلحة التى ابتغاها الاسلام وتضافرت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تهدف الى المحافظة على أمور خمسة يسميها فقهاء الشريعة الاسلامية الضرورات الخمس وهى الدين والنفس والمـال والعقل والنسل ، اذ الدين والتدين خاصة من خواص الانسان ولابد أن يسلم الدين من كل اعتداء ومن أجل هذا نهى الاسلام عن أن يفتن الناس فى دينهم واعتبر الفتنة فى الدين أشــد من القتل قال الله سبحانه(١) : **« والفتنة أشد من القتل » .**

---

(١) من الآية رقم ١٩١ من سورة البقرة .

ومن أجل المحافظة على التدين وحماية الدين فى نفس الانسان وتحصينها شرعت العبادات والمحافظة على النفس تقتضى حمايتها من كل اعتداء بالقتل او بتر الاطراف او الجروح الجسيمة والحفاظ عليها من اهدار كرامتها بالامتهان كالقذف وغير هذا مما يمس كرامة الانسان وصون ذاته عما يؤدى بها من المهلكات سواء من قبل ذات الفرد كتعريض نفسه للدمار بالمهلكات المادية والمعنوية أو من قبل الغير بالتعدى والمحافظة كذلك على العقل من الضرورات التى حرص الاسلام على تأكيدها فى تشريعه وحفظ العقل من أن تناله آفة تجعل فاقده مصدر شر وأذى للناس وعبثا على المجتمع ومن أجل هذا حرم الاسلام وعاقب من يشرب الخمور وغيره مما يتلف العقل ويخرج الانسان عن انسانيته وكما قال الامام الغزالى(١) : ((**ان جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وانفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة**)) .

ولقد حرص الاسلام على حماية نفس الانسان وقدمها على أداء الصلاة المكتوبة فى وقتها بل وعلى صوم يوم رمضان ومن أمثلة هذا ما أورده العز بن عبد السلام تقريرا لتقديم واجب على واجب لتفاوت المصلحة منها قوله(٢) : ((تقديم انقاذ الغرقى على اداء الصلوات ثابت لأن انقاذ الغرقى المعصومين عند الله أفضل والجمع بين المصلحتين ممكن ، بأن ينقذ الغريق ثم يقضى ، ومعلوم ان ما فاته من اداء الصلاة لا يقارب انقاذ نفس مسلمة من الهلاك وكذلك لو رأى فى رمضان غريقا لا يمكن تخليصه الا بالفطر فانه يفطر وينقذه وهذا أيضا من باب الجمع بين المصالح لأن فى النفوس حقا لله وحقا لصاحب النفس فقدم ذلك على أداء الصوم دون أصل أى دون أصل الصيام لأنه يمكن القضاء)) .

واذا كان من الضرورات التى حرص الاسلام على المحافظة عليها حفظ النفس وحفظ العقل فانه فى سبيل هذا حرم الموبقات والملهكات المذهبات للعقل والمفسدات له فان أحدا من الناس لا يشك فى أن سعادة الانسان رهينة بحفظ عقله لأن العقل كالروح من الجسد به يعرف الخير من الشر والضار من النافع وبه رفع الله الانسان ففضله وكرمه على كثير من خلقه وجعله به مسئولا عن عمله ولما كان العقل بهذه المثابة فقد حرم الله كل ما يوبقه او يذهبه حرمة قطعية ومن أجل هذا حرم تعاطى ما يؤدى بالنفس وبالعقل من مطعوم او مشروب ومن هذا القبيل ما جاء فى شأن الموبقات والخبائث ((الخمر)) فقد ثبتت حرمتها بالكتاب والسنة والاجماع ففى القرآن الكريم قوله تعالى(٣) : ((**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**)) افادت هاتان الآيتان ان الخمر صنو للشرك بالله وأنها رجس والرجس لم يستعمل فى القرآن الا عنوانا على ما اشتد قبحه وأنها من عمل الشيطان وهذا كناية عن بلوغها غاية القبح ونهاية الشر وأمرنا باجتنابها بمعنى البعد عنها بحيث لا يقربها المسلم فضلا عن ان يلمسها أو يتصل بها بل فضلا عن ان يتناولها وسجلت الآية الأخيرة أثار الخمر السيئة فى علاقة الناس بعضهم ببعض اذ يؤدى الى قطع الصلات والى انتهاك الحرمات وسفك الدماء وبعد هذا الضرر الاجتماعى الضرر الروحى اذ تنقطع بها صلة الانسان بربه وتنزع من نفسه تذكر عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلاة الخاشعة مما يورث قسوة فى القلب ودنسا فى النفس وجرت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك مبينة هذا التحريم ومن هذا قوله(٤) : ((**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**)) .

تعاطى المخدرات :

ومدلول لفظ الخمر فى اللغة العربية والشريعة الاسلامية كل ما خامر العقل وحجبه كما قال عمر بن الخطاب(٥) رضى الله عنه فى الحديث المتفق عليه ، دون نظر الى المادة التى تتخذ منها اذ الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة فى الخمر قاطعة بهذا المعنى ((كل مسكر حرام)) .

وهكذا فهم أصحاب الرسول رضوان الله عليهم وقال عمر هذه المقالة المبينة للمقصود بهذا اللفظ فى محضر كبار الصحابة دون نكير من احد منهم ومن ثم فان الاسلام حين حرم الخمر وقرر عقوبة شاربها لم ينظر الى أنها سائل يشرب من مادة معينة وانما نظر الى الأثر الذى تحدثه فيمن شربها

---

(١) المستصفى للغزالى ج ١ ص ٢٨٨ .
(٢) قواعد الاحكام فى صالح الانام ج ١ ص ٦٣ .

(٣) الآيتان ٩٠ و ٩١ من سورة المائدة .
(٤) أخرجه مسلم — من شرح سبل السلام على متن بلوغ المرام ٢٧ ج ٤ .
(٥) المرجع السابق .

من زوال العقل الذى يؤدى الى افساد انسانية الشارب وسلبه منحة التكريم التى كرمه الله بها بل ويفسد ما بين الشارب ومجتمعه من صلات المحبة والصفاء وقد كشف العلم الحديث عن اضرار جسيمة اخرى يحدثها شرب المسكرات حيث يقضى على حيوية اعضاء هامة فى الجسم كالمعدة والكبد هذا عدا الاضرار الاقتصادية التى تذهب بالأموال سفها وتبذيرا فيما يضر ولا ينفع هذا فوق امتهان من يشرب الخمر بذهاب الحشمة والوقار واحترام الأهل والأصدقاء ، هذه الاضرار الجسمية والأدبية والاقتصادية التى ظهرت للخمر وعرفها الناس هى مناط تحريمها واذا كانت الشريعة انما اقامت تحريمها للخمر على دفع المضار وحفظ المصالح فانها تحرم كل مادة من شأنها ان تحدث هذه الاضرار او أشد سواء كانت مشروبا سائلا او جامدا مأكولا او مسحوقا او مشموما ومن هنا لزم ثبوت حكم تحريم الخمر لكل مادة ظهرت او تظهر تعمل عملها يدل لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم(١) : **« كل مسكر حرام »** اذ لم يقصد الرسول بهذا الا ان يقرر الحكم الشرعى وهو ان كل ما يفعل بالانسان فعل الخمر يأخذ حكمها فى التحريم والتجريم .

واذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة وكذلك المواد المخلقة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل اشد ، فانها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمر وبروحها وبمعناها والتى استمدت منها القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الاسلام وهى دفع المضار وسد ذرائع الفساد .

ومع هذا فقد اخرج الامام أحمد وأبو داود فى سننه(٢) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر » والمفتر كما قال العلماء كل ما يورث الفتور والخمور فى أعضاء الجسم وقد نقل العلماء أجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمختلقة لانها جميعا تؤدى بالعقل وتفسده وتضر بالجسم والمال وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع . قال ابن تيمية رحمه الله فى بيان حكم الخمر والمخدرات(٣) .

« والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ومستفيضة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوتيه من جوامع الكلم كل ما غطى العقل واسكر ولم يفرق بين نوع ونوع ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروبا على ان الخمر قد يصطبغ بها (أى يؤتدم) وهذه الحشيشة قد تداف (أى تذاب) فى الماء وتشرب وكل ذلك حرام وانما لم يتكلم المتقدمون فى خصوصها لأنه انما حدث أكلها من قريب فى أواخر المائة السادسة أو قريبا من ذلك كما انه قد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة » واذا كان ما أسكر كثيره فقليله حرام كذلك فانه يحرم مطلقا بأجماع فقهاء المذاهب الاسلامية ما يفتر ويخدر من الأشياء الضارة بالعقل أو غيره من أعضاء الجسد وهذا التحريم شامل كل انواع المخدرات ما دام تأثيرها على هذا الوجه القليل منها والكثير وقد ذهب بعض الفقهاء الى وجوب حد متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماما لأنها تفعل فعلها بل واكثر منها بل قال ابن تيمية(٤) « ان فيها (المخدرات) من المفاسد ما ليس فى الخمر فهى أولى بالتحريم ومن استحلها وزعم أنها حلال فانه يستتاب فان تاب والا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين » .

وتخلص مما تقدم أن المخدرات بكافة أنواعها واسمائها طبيعية او مخلقة مسكرة وأن كل مسكر من أى مادة حرام وهذا الحكم مستفاد نصا من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما تقدم بيانه وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى من اكل أو شرب أو شم أو حقن لأنها مفسدة ، **ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس ولأن الشرع الاسلامى اعتنى بالمنهيات وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه(٥) ، « اذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » وفى حديث آخر يقول(٦) « لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين » ومن هنا قال الفقهاء أنه يجوز ترك الواجب دفعا للمشقة ولا تسامح فى الاقدام على المنهيات خصوصا الكبائر الا عند الاضطرار على ما ياتى بيانه .**

انتاج المخدرات وزراعتها وتهريبها والاتجار فيها والتعامل فيها على أى وجه كان :

ثبت مما تقدم ان المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها محرمة قطعا بدخولها فى أسم الخمر

(١) من حديث ابن عمر الذى رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجة من كتاب نيل الاوطار للامام الشوكانى ص ١٧٢ جـ ٨ .

(٢) سنن أبى داود ص ١٣٠ جـ ٢ .

(٣) فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ وكتاب السياسة الشرعية له ص ١٣١ .

(٤) فتاوى ابن تيمية ص ٢٥٧ المجلد الرابع .

(٥،٦) الاشباه والنظائر لابن نجيم المصرى الحنفى فى القاعدة الخامسة .

والمسكر فهل انتاجها بكافة وسائله والاتجار فيها وتهريبها والتعامل فيها كذلك يكون محرما ؟

يتضح حكم هذا اذا علمنا ان الشريعة الاسلامية اذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه فعل الوسائل المفضية اليه وهذه القاعدة مستفادة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ففى القرآن تحريم الميتة والدم والخمر والخنزير وفى بيع هذه المحرمات يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الجماعة عن جابر رضي الله عنه(١) : « أن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » وحين حرم الله الزنى حرم دواعيه من النظر واللمس والخلوة بالمرأة الأجنبيه فى مكان خاص لأن كل هذا وسيلة الى الوقوع فى المحرم وهو المخالطة غير المشروعة وفى آيات سورة النور الخاصة بالاستئذان قبل دخول بيوت الغير والأمر للرجال والنساء بغض البصر عن النظر لغير المحارم واخفاء زينة النساء وستر أجسادهن كل ذلك بعدا بالمسلمين عن الوقوع فيما لا يحل وحماية لحرمة المنازل والمساكن ومن هنا تكون تلك النصوص دليلا صحيحا مستقيما على أن تحريم الاسلام لأمر تحريم لجميع وسائله ومع هذا فقد أفصح الرسول عن هذا الحكم فى الحديث الذى رواه أبو داود فى سننه كما رواه غيره عن ابن عباس رضى الله عنه « أن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد يقحم فى النار » ، وقال صلى الله عليه وسلم المروى عن اربعة من أصحابه منهم ابن عمر(٢) : **« لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه »** صريح كذلك فى تحريم كل وسيلة مفضية الى شرب الخمر ومن هنا تكون كل الوسائل المؤدية الى ترويج المدخرات محرمة سواء كانت زراعة أو انتاجا أو تهريبا أو اتجارا فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة الى المحرم ، بل أن الحديثين الشريفين سالفى الذكر نصان قاطعان فى تحريم هذه الوسائل المادية الى اشاعة هذا المنكر بين الناس باعتبار أن اسم الخمر بالمعنى السالف **«ما خامر العقل كما فسرها سيدنا عمربن الخطاب»** شامل للمخدرات بكافة أسمائها وانواعها ولأن فى هذه الوسائل اعانة على المعصية والله سبحانه نهى عن التعاون فى المعاصى كقاعدة عامة فى قوله سبحانه(٣) : **« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »** وفى انتاج المخدرات والاتجار فيها وتهريبها وزراعة أشجارها أعانة على تعاطيها والرضا بالمعاصى معصية محرم شرعا قطعا سيما وان هذه الوسائل مؤداها ومقصودها تهيئة هذه السموم المخدرة للتداول والانتشار بين الناس فهى حرام حرمة ذات المخدرات لأن الأمور بمقاصدها .

من يؤدى الصلاة وهو تحت تأثير المخدر :

وصف ابن تيمية المخدرات وأثرها فى متعاطيها فقال(٤) : « .. وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثه (الديوث الذى لا يغار على أهله) وغير ذلك من الفساد » ولا مراء فى أن المخدارت تورث الفتور والخدر فى الاطراف وقد قال(٥) ابن حجر المكى فى فتاواه فى شرح حديث أم سلمة السالف (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) فيه دليل على تحريم الحشيش بخصوصه فانها تسكر وتخدر وتفتر ولذلك يكثر النوم لمتعاطيها ، ومن أجل تأثير المخدرات واصابتها عقل متعاطيها بالفتور والخدر فانه لا يحسن المحافظة على وضوئه فتنفلت بطنه دون أن يدرى أو يتذكر ولهذا أجمع فقهاء المذاهب على أن من نواقض الوضوء أن يغيب عقل المتوضىء بجنون أو صرع أو اغماء وبتعاطى ما يستتبع غيبة العقل من خمر أو حشيش أو أفيون أو غير هذا من المخدرات المغيبات ومتى كان الشخص مدخرا بتعاطى أى نوع من المخدرات غاب وانعدم تحكمه وسيطرته على أعضاء جسمه وفقد ذاكرتهفلم يعد يدرى شيئا وانتقض وضوؤه وبطلت صلاته وهو بهذه الحال ولا فرق فى هذا بين خدر وسكر بخمر سائل أو مشموم أو مأكول فان كل ذلك خمر ومسكر ولقد أمر الله سبحانه المسلمين بالا يقربوا الصلاة حال سكرهم فقال(٦) **« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .. »** وهذا غاية النهى عن قربان الصلاة فى حال السكر حتى تزول أثره وهو دليل قاطع على بطلان صلاة السكران بمسكر او بمفتر لأنه فى كل أحواله انتقض وضوؤه وانتقض عقله او زال بعد اذ فترت اطرافه وتراخت اعضاؤه واختلطت على السكران او المتعاطى للمخدر ما يقول وما يقرأ من القرآن الكريم ولذا قال الله فى نهيه عن الصلاة حال السكر (حتى تعلموا ما تقولون) اى بزوال حال السكر والفتور والخدر .

---

(١) نيل الاوطار للشوكانى ج ٥ ص ١٤١ وسبل السلام للصنعانى ج ٢ ص ٣١٦ .

(٢) رواه أبو داود فى سننه ج ٢ ص ١٢٨ فى كتاب الاشربة وابن ماجه فى سننه .

(٣) من الآية ٢ من سورة المائدة .

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٢٨ فى حد الشرب.

(٥) ص ٢٣٣ ج ٤ باب الاشربة والمخدرات .

(٦) من الآية رقم ٤٣ من سورة النساء .

الربح الناتج عن التعامل فى المواد المخدرة :

من الأصول الشرعية فى تحريم بعض الأموال قول الله تعالى(١) : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ..**)) أى لا يحل لاحدكم أخذ وتناول مال غيره بوجه باطل كما لا يحل كسب المال من طريق باطل اى محرم وأخذ المال أو كسبه بالباطل على وجهين : الأول : إخذه على وجه غير مشروع كالسرقة والغصب والخيانة والآخر أخذه وكسبه بطرق حظرها الشرع كالقمار أو العقود المحرمة كما فى الربا وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالميتة والدم والخمر المتناولة للمخدرات موضعها العنوانى على ما سلف بيانه فان هذا كله حرام .

وترتيبا على هذا يكون الربح والكسب من أى عمل محرم حرام وبهذا جاءت الأحاديث الكثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها قوله(٢) **((ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه)) .**

وفى هذا أيضا قال العلامة ابن القيم(٣) : **((قال جمهور الفقهاء اذا بيع العنب لمن يعصره خمرا حرم أكل ثمنه بخلاف ما اذا بيع لمن يأكله وكذلك السلاح اذا بيع لمن يقاتل به مسلما حرم أكل ثمنه واذا بيع لمن يغزو به فى سبيل الله فثمنه من الطيبات ..)) واذا كانت الاعيان التى يحل الانتفاع بها اذا بيعت لمن يستعملها فى معصية الله رأى جمهور الفقهاء وهو الحق تحريم ثمنها بدلالة ما ذكرنا من الأدلة وغيرها عليه كان ثمن العين التى لا يحل الانتفاع بها كالمخدرات حراما من باب أولى)) .**

وبهذه النصوص نقطع بأن الاتجار فى المخدرات محرم وبيعها محرم وثمنها حرام وربحها حرام لا يحل للمسلم تناوله يدل ذلك قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما نزلت آية تحريم الخمر(٤) : ((**انما الخمر والميسر ..**)) أمر أصحابه باراقة ما عندهم من خمور ومنعهم من بيعها حتى لغير المسلمين بل ان احد أصحابه قال أن عندى خمرا لأيتام فقال له صلى الله عليه وسلم ((أهرقها)) فلو جاز بيعها أو حل الانتفاع بثمنها لاجاز لهذا الصحابى بيع الخمر التى يملكها الأيتام لانفاق ثمنها عليهم .

---

(١) من الآية رقم ٢٩ من سورة النساء .
(٢) رواه أبو داود فى سننه فى باب الاشربة ج ٢ .
(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٤ ص ٤٧٤ .
(٤) الآية رقم ٩٠ من سورة المائدة .

التصدق بالأموال الناتجة عن التعامل فى المواد المخدره :

وفى القرآن الكريم قول الله تعالى(٥) : ((يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم)) وفى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، ان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال(٦) ((يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)) وقال(٧) ((يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون)) . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب له) وفى الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (والذى نفسى بيده لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده فى النار . ان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث) وفى الحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له أجره وكان أجره (يعنى أثمه وعقوبته عليه) وفى حديث آخر انه قال (من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه او تصدق به أو انفقه فى سبيل الله جمع ذلك جمعا ثم قذف به فى نار جهنم) والحديث الذى رواه الطبرى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى اللهعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الفرز (ركاب من جلد) فنادى لبيك اللهم لبيك نادى مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأذور واذا خرج بالنفقة الخبيثة (أى المال الحرام) فوضع رجله فى الفرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك . زادك حرام وحجك مأذور وغير مبرور) .

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفةقاطعة فى أنه لقبول الأعمال الصالحة عند الله من صدقة وحج وعمرة وبناء المساجد وغير هذا من أنواع القربات لابد وأن يكون ما ينفق فيها حلالا خالصا لا شبهة فيه واذا كانت الأدلة المتقدمة قد أثبتت

---

(٥) الآية رقم ٢٦٧ من سورة البقرة .
(٦) الآية رقم ٥١ من سورة المؤمنون .
(٧) الآية رقم ١٧٢ من سورة البقرة .

ان ثمن المحرمات وكسوبها حرام فلا يحل أكلها ولا التصدق بها ولا الحج منها ولا انفاقها فى اى نوع من انواع البر لأن الله طيب لايقبل الا طيب، بمعنى ان منفق المال الحرام فى اى وجه من وجوه البر لا ثواب له فيما انفق لأن الثواب جزاء القبول عند الله والقبول مشروط بأن يكون المال طيبا كما جاء فى تلك النصوص .

تعاطى المخدرات للعلاج :

الاسلام حرم مطعومات ومشروبات صونا لنفس الانسان وعقله ودفع هذا التحريم فى حال الضرورة فقال(١) **فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه)** وقال(٢) ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم** ﴾ وقال(٣) ﴿ **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) ولقد استنبط الفقهاء من هذه الآيات ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضرورة قواعد يأخذ بعضها بحجز بعض فقالوا الضرر يزال والضرورات تبيح المحظورات ومن ثم أجازوا أكل الميتة عند المخمصة وأساغة اللقمة بالخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه عليها(٤) (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)** وقالوا أيضا أن الضرورة تقدر بقدرها وما جاز لعذر بطل بزواله والضرر لا يزال بضرر وقد اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالمحرم والصحيح من أرائهم هو ما يلتقى مع قول الله فى الآيات البينات السالفات بملاحظة أن اباحة المحرم للضرورة مقصورة على القدر الذى يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العلاج وللتثبيت من توافر هذه الضوابط اشترط الفقهاء الذين أباحوا التداوى بالمحرم شرطين أحدهما : أن يتعين التداوى بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهنة الطب معروف بالصدق والامانة والتدين . والآخر الا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التداوى بالمحرم متعينا ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطى المحرم والا يتجاوز به قدر الضرورة وقد أفتى ابن حجر المكى الشافعى(٥) **حين سئل عمن ابتلى بأكل الأفيون والحشيش ونحوهما وصار حاله بحيث اذا لم يتناوله هلك ؟ أفتى : بأنه اذا علم أنه يهلك قطعا حل له بل وجب لاضطراره لابقاء روحه** كالميتة وعليه التدرج فى تقليل الكمية التى يتناولها شيئا فشيئا حتى يزول اعتياده وهذا ـ كما تقدم

(١) من الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة .
(٢) من الآية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام .
(٣) من الآية رقم ١١٩ من سورة الانعام .
(٤) من الآية رقم ١٦ من سورة النحل .
(٥) نقل هذا ابن عابدين فى حاشيته رد المختار ج ٥ ص ٤٥٦ فى أخر كتاب الحظر والاباحة .

ـ اذا ثبت بقول الأطباء الثقات دينا ومهنة أن معتاد تعاطى المخدرات يهلك بترك تعاطيها فجاة وكلية .

وترتيبا على هذا فاذا ثبت أن ضررا ما حقا محققا وقوعه بمتعاطى المخدرات سواء كانت طبيعية أو مخالفة اذا انقطع فجأة عن تعاطيها جاز مداواته باشراف طبيب ثقة متدين حتى يتخلص من اختياره كما أشار العلامة ابن حجر فى فتواه المشار اليها لأن ذلك ضرورة ولا اثم فى الضرورات متى روعيت شروطها المنوه بها أعمالا لنصوص القرآن الكريم فى آيات الاضطرار سالفة الاشارة هذا وأنه مع التقدم العلمى فى كيمياء الدواء لم تعد حاجة ملحة للتداوى بالمواد المخدرة المحرمة شرعا لوجود البديل الكيمائى المباح .

التواجد فى مكان معد لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها :

وكرم الله الانسان ونأى به عن مواطن الريب والمهانه وامتدح عباده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو فقال سبحانه(٦) (والذين هم عن اللغو معرضون) وقال(٧) (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) وقال(٨) (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) وفى الحديث عن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه (استماع الملاهى معصية والجلوس عليها فسق) وروى أبو داود فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنه قوله (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ..) والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفى المعاصى أيا كان نوعها لأن فى مجالستهم أهدار لحرمات الله ، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة ويعتاد مايفعلون من مآثم كشرب المسكرات والمخدرات كما يجرى على لسانه ما يتناقلونه من ساقط القول ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا وعن اعتياد ارتكاب الخطايا كان أرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى اختيار المجلس والجليس فى قوله(٩) (**انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك(١٠) واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة) رواه**

(٦) من الآية رقم ٣ من سورة المؤمنون .
(٧) من الآية رقم ٧٢ من سورة الفرقان .
(٨) من الآية رقم ٥٥ من سورة القصص .
(٩) من كتاب الترغيب والترهيب ص ٤٩ و ٥٠ ج ٤ .
(١٠) يحذيك يعنى يعطيك .

البخارى ومسلم . فالجليس الصالح يهديك ويرشدك ويدلك على الخير وترى منه المحامد والمحاسن وكله منافع وثمرات أما الجليس الشرير فقد شبهه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بنافخ الكير يضر ويؤذى ويعدى الأخلاق بالأخلاق الرديئة ويجلب السيرة المذمومة وهو باعث الفساد والاضلال ومحرك كل فتنة وموقد نار العداوة والخصام وفى هذا الحديث الشريف دعوة الى مجالسة الصالحين واهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم وفيه النهى عن مجالسة أهل الشر والبدع والفجار الذين يجاهرون بارتكاب المنكرات وشرب المسكرات والمخدرات لأن القرين ينسب الى قرينه وجليسه ويرتفع به وينحدر وتهبط كرامته بدناوة من يجالسهم ، ولقد تحدث القرآن الكريم عن قرناء السوء وحذر منهم ومن مجالستهم واخبر انهم سوء وندامة فى الدنيا والآخرة(١) **(ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا)** واذا كان الجليس يقتدى ويهتدى بجليسه وبمجلسه فان فى جلوس الانسان النقى البعيد عن المآثم والشبهات فى مجالس الأفك والشرب وتعاطى المخدرات **يؤذيه ويرديه فى الدنيا بالمهانة وانتزاع المهانة عنده عار فيه من أقارب وأصدقاء لأن المخدرات كما نقل العلامة ابن حجر المكى(٢) فى فتاواه الكبرى فيها مضار دينية ودنيوية فهى تورث** الفكرة وتعرض البدن لحدوث الأمراض وتورث النسيان وتصدع الرأس وتورث موت الفجاءة واختلال العقل وفساده والسل والاستسقاء وفساد الفكر وافشاء السر وذهاب الحياء وكثرة المراء وانعدام المروءة وكشف العورة وعدم الغيرة واتلاف الكسب ومجالسة ابليس وترك الصلاة والوقوع فى المحرمات واحتراق الدم وصفرة الاسنان وثقب الكبد وغشاء العين والكسل والفشل وتعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا ان اكل لا يشبع وان أعطى لا يقنع .

ومن هنا كان على الانسان أن ينأى عن مجالس الشرب المحرم خمرا سائلا أو مخدرات مطعومة أو مشروبة أو مشمومة فانها مجالس الفسق والفساد واضاعة الصحة والمال وعاقبتها الندم فى الدنيا والآخرة(٣) **(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)** بل ان مصاحبة هؤلاء المارقين على الدين الذين يتعاطون هذه المهلكات اثم كبير ان الله قد غضب عليهم وعلى مجالسهم(٤) **(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم .....)** وفى مصاحبة هؤلاء ومجالستهم معاداة المولى سبحانه وتحد لأوامره قد نهى عن مودة العصاة(٥) **(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)** وهؤلاء قد استغرقوا فى مجالسهم المحرمة المليئة بالآثام فالجلوس معهم مشاركة فيما يرتكبون ومودة معهم مع أنهم غير جديرين بهذه المودة لعصيانهم أوامر الله ورسوله واستباحتهم ما حرم الله ورسوله أولئك حزب الشيطان من جلس معهم فقد رضى بمنكرهم واقر فعلهم والمؤمن من الحق مأمور بازالة الباطل متى استطاع وبالوسيلة المشروعة فان لم يستطع فعليه الابتعاد عن مجالس المنكرات(٦) **ففى الحديث الشريف فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان .**

ففى هذا الحديث النبوى دعوة الى مكافحة المنكرات ومنها هذه السموم المخدرات بعد ان بان ضررها وشاع سوء آثارها وكانت عاقبة أمرها خسرا للانسان وللمال بل وفى المال فمن كان له سلطة ازالة هذه المخدرات والقضاء على أوكارها وتجارها كان لزاما عليه بتكليف من الله ورسوله أن يجد ويجتهد فى مطاردة هذه الآفة ومن لم يكن من اصحاب السلطة فان عليه واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيبين للناس آثارها المدمرة لنفس الانسان وما له ومن الأمر بالمعروف ابلاغ السلطات بأوكار تجارها ومتعاطيها فالتستر على الجريمة اثم وجريمة فى حق الأمة واشاعة للفحشاء فيها وجميع الأفراد مطالبون بالأمر بالمعروف وبالارشاد عن مرتكبى هذه المنكرات ومروجى المخدرات اذ هذه هى النصيحة التى أمر بها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن تميم الدارمى(٧) **(الدين النصيحة : قال له ثلاثا : قلنا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** وفى الحديث (٨) **الذى رواه النسائى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول**

---

(٢) من الآية رقم ٣٨ من سورة النساء .
(٢) ج ٤ ص ٢٣٤ .
(٣) الآية رقم ٣٦ من سورة الزخرف .
(٤) من الآية رقم ١٣ من سورة الممتحنة .

(٥) من الآية رقم ٢٢ من سورة المجادلة .
(٦) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٣ ص ٢٢٣ .
(٧) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٣ ص ٢٢٨ .
(٨) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

(ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقـاب) .

والنصيحة لائمة المسلمين اى للحكام بالارشاد ومعاونتهم على منع المنكرات والآثام لأنهم القادرون على تغييرها بالقوة فلا تأخذنا رحمة فى دين الله اذ التستر على هذه الآثام اعانة لمروجيها على الاستمرار فى هذه المهمة الخبيثة .

وبعد : فقد أوضحنا فيما تقدم اجماع فقهاء المذاهب الاسلامية على تحريم انتاج المخدرات وزراعتها وتجارتها وترويجها وتعاطيها طبيعية أو مخلقة وعلى تجريم أى انسان يقدم على شىء من ذلك بنصوص صريحة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وأنه لا ثواب ولا مثوبة لما ينفق من ريحها فان الله طيب لا يقبل الا طيبا أما الكسب الحرام فانه مردود على صاحبه يعذب به فى الآخرة وساءت مصيرا وبينا حكم مداواة المدمنين باشراف الأطباء المتقنين لمهنتهم ويقدر الضرورة حتى يزول هذا الادمان وانه لا يحل التداوى بالمحرمات الا عند تعينها دواء وعدم وجود دواء مباح سواها كما أوضحنا أن المجالس التى تعد لتعاطى هذه المخدرات مجالس فسق وإثم الجلوس فيها محرم على كل ذى مروءة يحافظ على سمعته وكرامته بين الناس وعند الله وأن على الكافة ارشاد الشرطة المختصة لمكافحة تجارة هذه السموم القاتلة والقضاء على وكارها وأن هذا الأرشاد هو ما سماه الرسول الأكرم بالنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم .

وبعـد :

فان الله الذى حرم هذه الموبقـات المخدرات المهلكات للأنفس والأموال أم الخبائث الخمر وقد آن لنا أن نخشع لذكر الله وما أنزل فى قرآنه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم(١) (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) .

آن لنا أن نجعل هذا الحكم نافذا فى مجتمعنـا حماية لأولادنا ونسائنا أولا وأخيرا طاعة لربنا وفق الله الجميع للتمسك بدينه والعمل بشريعته وهو حسبنا ونعم الوكيل (٢) (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

والله سبحانه أعلم بالصواب .

---

(١) الآية رقم ٩٠ من سورة المائدة .
(٢) الآية رقم ٢٤ من سورة الانفال .

بقية مقال الاسلام والمرأة

● ليس هـذا فحسب .. بل يوم الزفاف يسن اقامة الولائم تعبيرا عن الفرحة .. واعلانا لمكانة الزوجة ، وتكريما لها وفى هذا يأمرنا سيدنا رسول الله (أولم ولو بشاه) .

الاسلام رسم طريق السعادة الزوجية

ولكى تسير الحياة الزوجية فى طريقها السليم وضع لها الاسلام ضوابط ومعالم كريمة تحميها من كل زلل أو قطيعة فيأمرنا الحق تبارك وتعالى فى آيات عديدة بما يجب أن تكون عليـه هـذه العلاقة بقوله تعالى :

(وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .
و .. (فامسكوهن بمعروف) .

ويقول لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فى هذا المجال ومنها :

خيركم خيركم لأهله .. وانا خيركم لأهلى ..

و .. (ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليـه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه) ..

و .. (انى لأبغض المرأة تخرج من بيتهـا تجر ذيلها تشكو زوجها) .

و .. ينهى عليه الصلاة والسلام الرجل عن قسوة معاملة زوجته بقوله الشريف (لا تضرب الوجه) .

ولا تقبح ..

ولا تهجر .. الا فى البيت .

و .. الحديث طويل .. طويل . كما قلت عن مكانة المرأة فى الاسلام .. وبالاسلام . وهذا الذى ذكرناه جزء من كثير .. فهل هنـاك من تشريعات أو أوضاع تجد المرأة فيه نفسهـا وذاتها .. وكيانها .. كما تجده فى الاسلام . ؟ !

مع القراء

يحرره
فؤاد هيبة

نجوت من العالم كله بأربعة !!!

خير ما يجب علينا التحدث عنه والاصرار على تجلية جوانبه ما يحيق بالمجتمع الاسلامى اليوم من شرور وآفات وفواحش ومنكرات بلغت من الضراوة والفتك بالقيم والفضائل درجة أطاحت بوحدتهم ، وفرقت شملهم وجعلت منهم هدفا مستهدفا للغزاة والملاحدة .. وأصبح أمرهم فرطا .. جزاء وفاقا .. نسوا الله فأنساهم أنفسهم .. وماذا بعد الحق الا الضلال . ان حب الدنيا أعمى بصيرتهم ، وحب المال أنساهم ، وحب المنصب أطاح بكرامتهم ، فصاروا عبدة للدرهم والدينار ، وأصبحوا لا يألون جهدا فى جمع المال .. وصدق رسول الله اذ يقول « تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة، تعس عبد القطيفة » ..

ولأمر ما أراد لنا الله عز وجل ، أن نعيش زمانا أصبح الهوى فيه شريعة ، والحرص على المنصب والمال عزا ومجدا ، ورياء الخلق خشية ، والنفاق زهدا ، وترك شريعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فنا وأدبا ، وهكذا ابتلينا بزمان ليس فيه من آداب الاسلام الا اسمه ورسمه .

فكل من فى فؤاده وجع يطلب شيئا يوافق الوجعا

هذا هو المناخ الذى نحياه فى هذا الزمان ، وواجبنا أن نرد عليه ، وأن نحد من غلوائه ، وأن نقوم أفكاره وآراءه « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

أولئك الذين رحبوا بحرص الدنيا عن ارادة الله ، وقهروا الفضائل الانسانية بالشهوات البشرية المجردة من الحياة الربانية ، وقد وجه لهم المولى جل وعلا انذارا علهم يفيقون من غفوتهم فى قوله تعالى شأنه « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » .

وحول هذا المعنى قال شيخ من مشايخ خراسان :

نجوت بأربعة من كل العالم . قيل ما هى ؟ قال :

أولها : أنى عرفت أن لله تعالى على حقا لا يستطيع غيرى أن يؤديه ، فانشغلت بأدائه ..

وثانيها : أنى عرفت أن لى رزقا مقسوما لا يزيد بحرصى فاسترحت من الزيادة .

وثالثها : أنى عرفت أن لى طالبا — أى الموت — لا أستطيع الفرار منه فتهيأت له .

ورابعها : أنى عرفت أن لى الها جل جلاله مطلع فخجلت منه ، وامتنعت عما لا يليق بى عمله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من علم أن الله تعالى ربه وأنى نبيه حرم الله تعالى لحمه ودمه على النار » .

وهذه هى سبل النجاة ، واسس الفلاح، من تمسك بها فاز ومن بعد عنها خاب مسعاه .

ولا يفوتنا فى هذا المجال ايضاح حقيقة لا مجال لانكارها أو السكوت عنها وهى تصور دور العلماء الذين يملكون القدرة والقدوة ، والسلوك الأمثل ، فالاقتداء هو خير هاد من الضلال حيث التطبيق الذى يسعد به من يراه ، ويجذب الى طريقه من شغله هواه .

أما العلماء الغافلون ، فهم أولئك الذين جعلوا الدنيا قبلة قلوبهم ، واتخذوا عبادة السلاطين ، وصيروا بلاطهم طوافهم ، وجعلوا جاه الخلق محرابهم ، ومن ثم صيروا الحقد والحسد مذهبا .

وهناك المداهنون ، الذين يمدحون الباطل لموافقته هواهم ، ويذمون الحق ان جاء مخالفا لأطماعهم .. يطمعون فى جاه الخلق ، ويداهنونهم على الباطل .. ولو علم هؤلاء ما الفقراء من مرتبة عظمى لما كان هذا حالهم من تكالب على الحياة وطلب الجاه والمال .. وهو ما أشار اليه المولى جل وعلا فى كتابه « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » وقوله « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء » وقوله تبارك وتعالى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا » .

وهذه لمحة من لمحات تكريم الفقراء المتقين ومكانتهم عند الله ، وتأتى السنة النبوية مؤكدة وموضحة لهذه المكانة ، فيما يقصه علينا هادى الأمة وكاشف الغمة محمد عليه الصلاة والسلام .

حيث يقول المولى للملائكته « أدنو منى أحبائى : فتقول الملائكة : من أحباؤك ؟ فيقول عز من قائل : فقراء المسلمين » .

ويطيب لى أن أقدم لهؤلاء الذين لا هم لهم سوى جمع المال هذه الصورة البالغة الحكمة فى مفهوم علاقة العبد بأخيه وعلاقة الفقراء بربهم هذه الصورة التى يصورها المولى جل وعلا فى قوله مخاطبا نبيه فى سورة الأنعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » وفى سورة الكهف « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » .

وايضاحا لهذه الصورة الطيبة الكريمة التى تحقق التواجد الانسانى لكافة البشر رغم فقرهم نقدم صورة حية من واقع الحياة حيث كان اللقاء بين الفقير والملك .

فقال الملك للفقير : سلنى حاجة .. قال الفقير : أنا لا أسأل عبدا لعبيدى حاجة !!
قال الملك : كيف ؟ قال الفقير : لى عبدان كلاهما سيد لك : أحدهما : الحرص ، والآخر طول الأمل .

وكما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : الفقر عز لأهله — وعزه هو أن الفقير يكون محفوظ الجوارح من الزلل ، وحفظ الحال من الخلل .

وبهذا يتضح لنا أن الغنى يكون لله تعالى وحده فعال لما يريد ليس لقدرته مانع ، وهو وحده قادر على خلق الضدية وكان ولا يزال دائما بهذه الصفة .

أما غنى الخلق فهو تحقيق معيشه ، أو وجود مسرة ، أو نجاة من آفة ، أو راحة من ألم ، وهذا كله محدث ومتغير ، وأصل الطلب والحسرة .. وموضع العجز والتذليل فالغنى دائما مجاز ، ولله حقيقة « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله » وقوله « والله الغنى وأنتم الفقراء » وبهذا يكون الفقراء مطالبون بالصبر ، والأغنياء بالشكر ، لأن الأغنياء أصحاب صدقة ، والفقراء أصحاب صفة ولا تكون الصدقة أبدا كالصفة .

وها هو ربنا تبارك وتعالى يخاطب أيوب فى شدة صبره « نعم العبد » (سورة ص) ويخاطب سليمان فى استقامة الملك « نعم العبد » .

وليس الفقير من خلا من الزاد ، انما الفقير من خلا من المراد .

ويتعين على المارقين التوبة وهى أيضا دعوة من الله لعباده « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم » .

والى لقاء آخر فى العدد القادم ان شاء الله .

رسالة الشهر :

الحرية فى نظر الاسلام بقلم الأخ عبد الرسول عبد العظيم الزرقانى

لست ادرى أفاق العالم من نومه بعد ؟ ابحث فى الأشياء من حوله عن طاغية يمنع عن الانسان الهواء والماء ؟ اقرأ آيات الحرية وتعلم فى كتابه الخالد . الذى جاء لينقذ البشرية من ضلالها وجهالتها الى أمنها وانسانيتها . لست أدرى بعد . أيستطيع النبات أن ينمو وهو محاصر مبعد عن الهواء . هل يعطينا فى ذلك الوقت الثمار والغذاء أم يحكم عليه بالفناء .. هكذا الانسان هواؤه وترابه هما الحرية التى يتنفس الانسان من خلالها . والتى يناقش بها مشكلاته اليومية والمستقبلية فى السياسة الاسلامية والاقتصاد والاجتماع الاسلاميين ، وهنا وفى هذه الحالة . عندما تكون الحرية مبدأ . وأخلاق ، والتزام بقيم الاسلام . تصح الحرية ويصح مسارها وينمو . وتتضح الأفكار وتحاول أن تتحول الى عمل وتطبيق . فى ميدان الحقل والمصنع . فتكون الفكرة عملية ناضجة فى الميدان الحياتى للانسان .

مفهوم الحرية :

وليست الحرية كما يفهم البعض اليوم : ان لكل انسان أن يصنع ما يشاء وبالطريقة التى يريدها أو أن يضر الانسان بالآخرين فى الفكر والسلوك ، أو أن يفعل المنكرات ما ظهر منها وما بطن ، أو يعتنق فكرا يخالف طريق الاسلام ومنهجه . فالحرية كما قلت : التزام بالقيم ، واتاحة للفرص كى يسمع الراى والراى الآخر . بروح اسلامية صافية طاهرة .. فالحرية أيها المسلم هواء لا يستغنى عنه أحد .. ولا تنمو الشعوب وتتقدم الا من خلاله بشرط أن يلتزم الجميع بهذه القاعدة القرآنية التى تقول (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) فالاسلام يعترف بالحرية مع أولى الأمر فى البلاد المسلمة ويتيح حق مناقشتهم من خلال الاسلام. لكى يصل الجميع الى خدمة الوطن المسلم والى رفاهية الانسان المسلم . وليس الأمر ببعيد عندما قال سيدنا عمر للمراة التى ناقشته (أصابت امراة وأخطأ عمر) الحرية مع الخليفة والتشاور معه من أجل قضايا الاسلام .

والحرية فى الاسلام : تشتمل على أشياء أخرى فضلا عن اشتمالها لحرية التعبير عن الراى السياسى ،والاجتماعى، والانسانى، والاقتصادى الملتزم بالاسلام.فهى مع ذلك تشتمل على حرية الاجتهاد ، لكى تظل الحياة الاسلامية وخاصة (فى جانب المعاملات ، فى عطاء دائم لا ينقطع.

* * *

دعاء مستجاب

● بعث الينا الصديق فوزى محسن منصور من العريش بهذا الدعاء :

« اللهم انى أسألك بنور وجهك العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم ، وقامت به عوالم الله العظيم ان تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة فى نفسى عدد ما فى علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ، واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما واجعله يارب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أكثر من قراءتها واستغفر الله كثيرا .

نرجو أن يتقبل الله منا ببركة هذه الدعاء ، ويوفقنا الى عمل الخير ، ونشر دينه ، ونصرة المسلمين .. آمين ..

* * *

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يلبى رغبات المسلمين

فى جميع أنحاء العالم الاسلامى والعربى

يسر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية أن يلبى رغبات الأخوة المسلمين من قراء منبر الاسلام فى جميع أنحاء العالم الاسلامى وسد احتياجاتهم من الكتب والمراجع الاسلامية ، وقد وافق السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية على تلبية هذه الرغبات بعد اطلاعه على رسائل القراء التى عرضت على سعادته ، وهى الآن فى الطريق الى الوصول الى أصحابها ، وهم :

١ ــ السيد نادى السعيد
الهاشمية . ولاية البويرة ــ الجزائر
٢ ــ جمعية الشباب المسلم بجزر القمر
مسمود . هنزاوان
جمهورية القمر الاتحادية الاسلامية
٣ ــ غبازى عبد الله
النخلة الغربية بلدية الرجاح دائرة الوادى ولاية بنسكرة ــ الجزائر
٤ ــ نور الدين ابراهيم
المدرسة العربية الاسلامية . توجو
٥ ــ الطالب مبارك الحاج عثمان
رقم ب ٤ / ٣ الوسنايا شارع اعيفى ــ نيجيريا
٦ ــ محمد عثمان وعيسى

جمهورية جيبوتى
٧ ـ محمد ناصر بن الحاج عبد الرحمن
نيجيريا
٨ ـ على مرتضى يامين
الجمهورية الجزائرية
٩ ـ عبد الرحمن بن ابراهيم

الجمهورية الجزائرية
١٠ ـ هاشم عزيز على
الجمهورية العراقية
١١ ـ على رضا بارلاق
استانبول
١٢ ـ مكتبة الصفة
الهنـد

***

متابعة مشكورة

● من الصديق الكريم يوسف مصطفى محمد توفيق الادارة العامة لشئون مديريات الزراعة بديوان عام وزارة الزراعة بالدقى .

« قرأت فى العدد الصادر فى ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ فى تفسير سورة النساء للأستاذ أحمد حسين فى الصفحة ٢٠ آية رقم ١٠٨ كما يأتى :

« ها أنتم قد جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا » وتصحيحها هو « ها أنتم هؤلاء جادلتم .. الخ » .

ـ ونحن اذ ننشر التصويب للآية الكريمة ، نشير الى ان هذا خط مطبعى ، وفى نفس الوقت نشكر الصديق الكريم على حسن متابعته .. جزاه الله خيرا .

***

جمعية الشباب المسلم لجزر القمر

● من الصديق هاشم محمد على ص.ب ٤٢٧٤ جامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية يقول :

« لى عظيم الشرف أن أكتب اليكم هذه الرسالة لأحيطكم علما بتأسيس جمعية اسلامية فى جزر القمر تحمل اسم « جمعية الشباب المسلم لجزر القمر » ومقرها فى جزيرة « هنزاوان » بمدينة « موسمود » ويرأسها السيد عبد الله محمد وزير الدولة للعدل والشئون الاسلامية والدينية والنقل والسياحة والتجارة الخارجية ، وأنا أشغل منصب مسئول عن العلاقات الخارجية ورئيس أعلى للمندوبين نأمل العمل على تقوية الروابط الاسلامية مع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لكى تستفيد من خبراتكم ، ونحن سنكون ممنونون ومقدرون لكل ما تقدمونه لنا من عون مادى ومعنوى يساعدنا على مواصلة رسالة جمعيتنا » .

ـ انها حقا لمحاولة جديرة بكل تقدير ، ونحن نرحب بهذه الجمعية الاسلامية كل ترحيب ويسرنا أن نلتقى معها فى ميدان الخدمة الاسلامية ، فى سبيل الله ومن أجل وجهه الكريم، وقد عرضت رسالة الصديق على السيد الأستاذ سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ووافق سيادته على مد الجمعية بكل خبرات المجلس فى مجال الدعوة الاسلامية مادية ومعنوية .

***

اقتراحات القراء

● من الصديق عبد الرحمن غريب هيكل من جزيرة الشعير البحرية مركز القناطر الخيرية قليوبية يعرض بعض المقترحات بالنسبة لكل من مجلة منبر الاسلام والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية :

أولا : فيما يختص بالمجلة .

اعادة باب الفن الاسلامى ، لما له من أثر هام فى نفوس القراء ، حيث يعرفنا بمعالم وأصول أعظم حضارة فى التاريخ ، وهى الحضارة العربية والاسلامية .

ثانيا : فيما يختص بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية :

(أ) اعادة اصدار سلسلة الكتب الاسلامية .

(ب) زيادة طبع سلسلة دراسات فى الاسلام

(جـ) اعادة طبع ما سبق اصداره من كتب اسلامية ودراسات فى الاسلام ، ليتسنى لكل قارىء استكمال مكتبته الاسلامية من هاتين السلسلتين .

(د) اصدار بعض الكتب الاسلامية من آن لآخر بسعر رمزى ومعقول يتراوح بين ١٠ و ١٥ قرشا ، ولكن ذلك فى المناسبات الاسلامية ،

(و) تبادل النشاط الاسلامى والصحفى بين مصر وكافة الدول الاسلامية والعربية .

ـ شكرا لك أيها الصديق على هذه المقترحات البناءة ، أما فيما يتصل باعادة باب الفن الاسلامى للمجلة ، فهو اقتراح وجيه وهادف ، وهو الآن موضع دراسة موسعة تمهيدا لظهوره فى المجلة باذن الله تعالى .

اما المقترحات الخاصة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، فقد عرضناها على المسئولين بالمجلس وهى الآن موضع دراسة .. ولا يسعنا سوى أن نقدم لك تقديرنا الكبير على غيرتك الاسلامية وتتبعك لنشاط المجلس .

بريد التعارف

الاسم : أحمد محمد عمر
السن : ٢٢ سنة
البلد : كفر الشيخ مطوبس
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة والاطلاع والشعر
العنوان : كفر الشيخ مطوبس ابيانة
١ شارع سعد زغلول

الاسم : سامى عبد الحميد بلقاص
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : طالب بمعهد معلمين
طنطا — السنة النهائية
السن : ٢٥ سنة
الهواية : الخطابة وقراءة التفسير
وحفظ الأحاديث
العنوان : شنديد — مركز ايتاى
البارود — البحيرة

الاسم : حسن على حسان
السن : ١٨ سنة
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : طالب بمدرسة دار المعلمين ..
بالصف
الهواية : قراءة الكتب الدينية وحفظ القرآن
الكريم
العنوان : محافظة الجيزة — مركز الصف —
عرب العيايدة

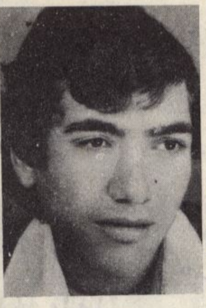

الاسم : شبل السيد صالح الزملة
البلد : ج٠م٠ع
السن : ١٩ سنة
الهواية : ممارسة الألعاب
الرياضية والوعظ
والارشاد
العنوان : أتميده مركز ميت غمر
دقهلية

الاسم : عادل عبد العظيم على القادرى
السن : ٢٣ سنة
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع والبحث والقراءات
الدينية
العنوان : مدينة الحسينية شرقية — منشية
بشارة

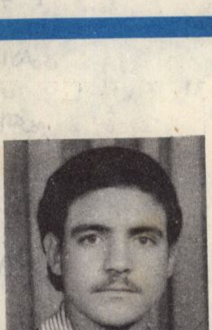

الاسم : هانى ابراهيم عبد القادر
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : موظف
السن : ٢٢ سنة
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
العنوان : دمنهور — منشية افلاقة
— ش النشار

فى هذا العدد :

● لقاء الشهر

من باكستان

مصر وباكستان .. معا على طريق واحد . . . ٢

● مع القرآن الكريم

تفسير سورة النساء

الأستاذ أحمد حسين ٨

واقعية المثل القرآنى

الدكتور أحمد غلوش ١٣

من أساليب القرآن الكريم فى آداب التعلم

الدكتور عبد الحليم حفنى ١٧

● مقام ومقال

أكبر مظاهرة اسلامية .. مليون ونصف

يرحبون بكلمة مصر ورسالة السادات

بقلم رئيس التحرير ٢٠

● الحياة فى ظلال التشريع

حماية الاسلام للدائن والمدين

الدكتور عبد الفتاح الدماصى ٢٦

● من وحى السيرة

طبقات النساء المحدثات [طبقة الصواحب]

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ٣٠

الاسوة الحسنة

الشيخ أحمد كامل الخضرى ٣٤

● حضارة الاسلام

تبعات العلم ومسئوليات العلماء

الأستاذ عبد العظيم منصور ٤٠

سعد والقادسية

الدكتور عبد الغنى الراجحى ٤٣

له الاسماء الحسنى [الرزاق]

الدكتور أحمد الشرباصى ٤٥

الفكر الاسلامى المعاصر بين المحلية والعالمية

الدكتور محمود حمدى زقزوق ٤٨

اصالة المفكر المسلم [ابن باجة]

الدكتورة فوقية حسين محمود ٥١

الاسلام والديانات الاسلامية الاخرى

الدكتور محمد الأنور حامد عيسى ٦١

نشاط مصر التفسيرى للقرآن الكريم

الدكتور محمد ابراهيم شريف ٦٦

نداء المؤمنين فى القرآن

الدكتور محمد محمد خليفة ٧٠

الاعجاز الطبى فى القرآن

الدكتور السيد الجميلى ٧٦

العدل فى الاسلام

الأستاذ عبد الحكيم النجار ٨١

تاريخ الاسلام أكبر شاهد على سماحة الاسلام

الدكتور محمد عبد التواب حامد ٨٣

● التصوف والفلسفة الاسلامية

من أدب الصوفية فى المقامات [الورع]

الدكتور سعد حسن فشوان ٨٨

● الدعوة والشباب

من خصائص الدعوة الاسلامية « فطرية الاسلام »

الدكتور محيى الدين الألوائى ٩٢

واجبنا نحو الشباب

الشيخ محمد حافظ سليمان ٩٤

● كتاب الشهر

حديث الى الشباب

لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر

اعداد ليلى عبد الباقى ٩٨

● العالم الاسلامى انباء وآراء

أخبار العالم الاسلامى

اعداد محمد حسن أبو حطب ١٠٢

● اخلاق ومواقف

اعداد حامد المرسى تقى الدين ١٠٤

● من اقوال الصحف

اعداد أحمد عبد الرحيم السايح ١٠٦

● الشعر الاسلامى

أمة النور جددى العهد

الأستاذ محمد حليم حامد غالى ١١٠

يا الهى

الأستاذ عبد الستار يونس المغنى ١١٢

شخصيات اسلامية

دراسة فى فكر الحكيم الترمذى

الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى ١١٤

ابن عساكر

اعداد مسعد الديب ١٢٠

● نادى القصة والمسرحية

يوسف الصديق [تمثيلية فى حلقات]

الأستاذ بهاء الدين القبانى ١٢٢

● الاسرة المسلمة

التعريف بأمهات المؤمنين

الدكتورة نعمات محمد على ١٢٦

الاسلام .. والمرأة .. والعصر الحديث

الأستاذ صلاح عزام ١٢٩

● الافتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

موقف الدين من المخدرات

الشيخ جاد الحق على جاد الحق ١٣١

● مع القراء

نجوت من العالم كله باربعة !!

يحرره : فؤاد هيبه ١٣٩

● بريد التعارف ١٤٣

شركة النصر للغزل والنسيج والتريكو

الشوربجي

CHOURBAGUI

تقدم أحدث إنتاجها

• من الأقمشة واللينولهات والنوفوتية.

• الملابس الجاهزة الداخلية والخارجية.

• كاش كورسيه - بانتي.

• شراب حريمي ورجالي. كولونات

معارض الشركة

القاهرة :

عدلي - زمالك - مصر الجديدة - غمرة
السوق التجاري بالجيزة - الجزيرة بأرض
المعارض.. وقريبا. شبرا بأرض أغاخان
مودرن سنتر

الاسكندرية :

صلاح سالم - المعمورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

بنك مصر

فرع الحسين للمعاملات الإسلامية

٦٤ شارع الأزهر - القاهرة

أول بنك تجاري مصري يزاول نشاطه طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية

بإشراف أحد علماء الأزهر الشريف

أمواله منفصلة تماماً عن أموال البنك

- يقبل الأموال بالعملة المحلية والعملات الأجنبية من:
  - حسابات جارية تحت الطلب.
  - حسابات توفير بدون فوائد.
  - حسابات استثمارية بعائد.
  - دفاتر استثمار بعائد.
- يقدم الأموال لعملائه بالعملة المحلية والعملات الأجنبية مشاركة في النشاط التجاري والصناعي والزراعي والعقاري من:
  - مشاركة التجار (شركات وأفراد) في عمليات الاستيراد.
  - المشاركة في تمويل البضائع والمواد الخام الحاضرة سواء منتجة محلياً أو مستوردة من الخارج
  - المشاركة في تمويل عمليات المقاولات.
  - المشاركة في تمويل عمليات التوريد بكافة أنواعها سواء للمواد الخام أو المنتجات التجارية المصنعة
  - مشاركة الشركات والأفراد في تمويل عمليات بناء الوحدات السكنية.
  - المشاركة في تمويل عمليات تنمية الثروة الحيوانية والتصنيع الزراعي.
  - مشاركة شركات تصدير القطن والأرز في تمويل عملياتها حتى نهاية عملية التصدير.
- يقدم الخدمات المصرفية الأخرى من:
  - فتح الاعتمادات المستندية استيراداً وتصديراً.
  - شراء وبيع العملات الأجنبية.
  - التحاويل الداخلية والخارجية.
  - إصدار خطابات الضمان المحلية والخارجية.
  - تحصيل الأوراق التجارية.
  - شراء وبيع وحفظ الأوراق المالية.
- يقدم خدماته المصرفية لجميع الأخوة العاملين بالخارج.
- يوزع ناتج الربح الحلال على عملائه المستثمرين وفقاً للشريعة الإسلامية

جميع فروع بنك مصر المنتشرة في أنحاء الجمهورية تخدم فرع الحسين للمعاملات الإسلامية بمركز السلي

أول بنك يبتكر أنظمة تناسب كل فرد

مطابع الأهرام التجارية